

يوم عاشوراء الحسين عليه السلام

الجزء الثالث

عرض وتحليل ثورات الثار حتى سقوط بني أمية

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الدكتور علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٢٧

يَوْمُ الْحُسَيْنِ

الجزء الثالث

عرض وتحليل ثورات الأثر حتى سقوط بني أمية

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

٥ في البدء كلمة:
٩ (١) الأمويون بعد مقتل الإمام الحسين ^(ع)
٤٩ (٢) ثورة التوآيين
٧٥ (٣) ثورة المختار الثقفي
٢٠٥ (٤) ثورة زيد بن علي بن الحسين ^(ع)
٢٥٥ ثورة العباسيين وبداية حكمهم:
٢٩١ المصادر
٢٩٩ الفهرست التفصيلي

في البدء كلمة:

من مشاهد يوم الحسين صلوات الله عليه الثورات التي انطلقت بعد شهادته، وتعرف بـ "ثورات الثأر": لأنها انطلقت ثأراً للحسين ودمه المسفوك ظلماً في كربلاء، ولم تهدأ إلا بزوال حكم بني أمية من أساسه.

كانت ثورة التوابين سنة ٦٥ هـ بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي رضوان الله عليه ومعه خيرة شيعة آل محمد باكورة الثورات، وهي وإن لم تحقق هدفها وتقضي على قتلة الحسين لكنها أذت الحكم الأموي وسببت له إرباكاً في عقرداره، كما أنها أسهمت مساهمة فاعلة في تحفيز نفوس المسلمين (شيعة آل محمد بالخصوص) على الوقوف بوجه الظلم والطغيان الأموي.

ثم تلتها ثورة المختار الثقفي رضوان الله عليه ومعه شيعة آل محمد عليهم السلام بالكوفة سنة ٦٦ هـ، الثورة التي شفت صدور قوم مؤمنين وقضت على الآلاف من قتلة الحسين، وبالخصوص من كان لهم دور بارز في قتل الحسين صلوات الله عليه كابن زياد وابن نمير وابن سعد وابن ذي الجوشن وخولي وحرملة وغيرهم لعنهم الله جميعاً.

ثم ثورة زيد الشهيد بالكوفة سنة ١٢٠ - ١٢٢ هـ، فهي أيضاً ما كانت لتحصل لولا التضحية التي أقدم عليها سبط رسول الله والجود بنفسه وأهل بيته وصحبه يوم عاشوراء من أجل دين الله وتثبيت أركان حاكميته، وكان لها دور كبير في إضعاف الحكم الأموي، بل ذهب بعض المؤرخين إلى أن حكم بني أمية قد انتهى فعلياً بعد أحداث ثورة زيد عليه السلام وهلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ؛ فاستغل بنو العباس حالة الضعف والوهن التي مني بها الحكم الأموي ونشطوا من حركتهم التي انتهت أخيراً بسيطرة أبي مسلم الخراساني على المشرق ثم العراق وصولاً إلى الشام وسقوط حكم بني أمية.

دم الحسين المسفوك ظلماً على رمضاء الطف أوقف في نفوس المؤمنين والصالحين روح الثورة ضد الظلم والباطل والانحراف الأموي، وبعث فيهم الحياة والنهضة بعد طول رقدة وسبات، وما زال صدى يوم الحسين عليه السلام مدوياً بعد شهادته ولا يقف عند

زوال مملكة بني أمية وإنما يتعداه ليقض مضجع كل الطغاة والظالمين حتى يوم البشرية الأخير على هذه الأرض.

في هذا الجزء من "يوم الحسين" نستعرض هذه الثورات. وبالطبع، ليس غرضنا السرد التاريخي ونقل مجريات الأحداث وحسب، ولكن الأهم هو:

- ١- عرض الحقائق كما هي، وتصحيح ما تم تحريفه منها بجهل أو بقصد.
- ٢- استخلاص العظات والعبر؛ لأن كثيراً من الأمور والوقائع التي حدثت في تلك الحقبة هي سنن تتكرر في دنيا الامتحان.
- ٣- الجزء يضم بحوثاً عقائدية مهمة تتناسب مع مجريات الأحداث.

"يوم الحسين" بجزئه الثالث يتضمن حوارات عديدة مع السيد أحمد الحسن في كثير من القضايا والمسائل الحساسة والمهمة لدى كثير من المؤرخين والباحثين في المرحلة التي أعقبت شهادة الحسين صلوات الله عليه بما حوته من أحداث ومتغيرات كبيرة وخطيرة، وكانت إجاباته وتحليلاته الواضحة والبيّنة بمثابة العنبر على الحلقة المفقودة التي كان يتوقف عليها اكتمال الصورة، وتعيد رسم المشهد الإيماني والإسلامي عموماً بشكل سليم ومنطقي ومنصف تماماً.

ولأجل إتمام الفائدة عرضت - قبل الثورات - مجمل الأحداث والوقائع المهمة في الفترة التي توسطت بين شهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ وقيام التوابين بثورتهم سنة ٦٥ هـ لتكتمل الصورة وتسلسل سير الأحداث لدى القارئ الكريم.

والله سبحانه أسأل أن يكتبنا في سجل شيعة الحسين صلوات الله عليه واللاحقين به، ويختتم لنا بخير يوم نلقاه، والحمد لله وحده.

عن الأحداث التي أعقبت شهادة الحسين عليه السلام:

يقول السيد أحمد الحسن:

(فهم هذه الأحداث مهم، ليس فقط لفهم الماضي وما حدث بصورة صحيحة وكما حدث واقعاً، بل لفهم الحاضر والمستقبل واتخاذ الموقف الصحيح على بيّنة وفهم تام لما يحدث الآن من خلال فهم ما حدث سابقاً.

الماضي أو التاريخ ليس كما يروّج بعضهم بأنه بلا قيمة أو كما يرددون ما علاقتنا نحن اليوم بأحداث قبل ألف سنة، وبالطبع هم يرددون هذه المقولة عندما تصب في مصلحتهم وفي الوقت الذي يناسبهم!

لو كانت أحداث الماضي والتاريخ بلا قيمة فلم قصّها القرآن!

من يؤمن بالقرآن لا يصح أن يقول "ما علاقتنا بما حدث"! خصوصاً إذا كان ما حدث يخص أمراً مهماً في الدين وهو الإمامة العامة بغض النظر عن تفصيل فهمها لدى السنة والشيعة وغيرهم.

لهذا، فهم جداً فهم التاريخ وما حدث والانتفاع منه بأقصى ما يمكن، ومهم جداً ترك التعالي والغرور الذي يأخذ بحجزة بعض الناس بحجة التطور الذي نمر به اليوم في حين أنّ السابقين مرّوا بالمراحل التي نمر بها اليوم وبما يناسب زمانهم ووقتهم) انتهى⁽¹⁾.

(١)

الأمويون بعد مقتل الإمام الحسين (ع)

لم يدم حكم يزيد بن معاوية - لعنه الله - طويلاً، إذ كانت مدة حكمه ثلاث سنوات وأشهرين عامي (٦٠ - ٦٤ هـ)، مُلئت بالأحداث الشنيعة؛ حيث افتتح حكمه بقتل سبط الرسول الأكرم وريحانته الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه وأهل بيته وصحبه في كربلاء، ثم أباح مدينة الرسول لجيشه في واقعة الحرة الشهيرة، وختم حكمه بقصف الكعبة بالمنجنيق إثر القتال الذي دار بين جيشه وجيش ابن الزبير!

واقعة الحرة:

- المكان: الحجاز / مدينة الرسول
- الزمان: ذو الحجة سنة ٦٣ هـ

بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام لم يعد هناك ما يحول دون تحقيق عبد الله بن الزبير طموحه بالملك والحكم، وكان قد التحق بمكة إثر رفضهبيعة يزيد كما عرفنا سابقاً، فاستغل مقتل الإمام الحسين عليه السلام ودعا الناس إلى بيعته بعد أن كان يدعوهم إلى الشورى، فتناهى إلى مسامع يزيد ما يقوم به، فعزم على أسره والإتيان به مقيّداً بالسلاسل^(١).

هياً والي يزيد على المدينة^(٢) جيشاً وجعل عليه قائد الشرطة "عمرو بن الزبير"^(٣) للمسير إلى مكة والقضاء على حركة ابن الزبير فيها، إلا أن المحاولة لم تنجح؛ إذ انهار جيش

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٤ - ٣٦٥.

٢- الوالي في ذلك الوقت: عثمان بن محمد بن أبي سفيان، بعد عزل الأشدق سنة ٦١ هـ وعزل الوليد بن عتبة بعده. وكان سبب عزل الأشدق تماهله في مواجهة حركة ابن الزبير في مكة، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٦.

٣- أخو عبد الله بن الزبير، لكنه على خلاف مع أخيه، وكان شديداً عليه وعلى من يميل إليه.

عمرو بن الزبير وتفرّق عنه أصحابه عند وصوله إلى مكة بعد أن ساند أهل مكة وما حولها عبد الله الذي كسب تعاطفهم بحجة الدفاع عن بيت الله وحرمة، وبالنتيجة فشلت مهمة عمرو بن الزبير وتم الإمساك به وجرّاه به إلى أخيه عبد الله فأمر بحبسه ثم دعا كل من كانت له مظلمة أو أذى أصابه من قبل عمرو أن يقتصّ منه فصاروا ينالون منه إلى أن مات أخيراً بنطحة أحد المقتصّين^(١)!

وبعد أن قتل أخاه، دعا عبد الله بن الزبير الناس في مكة والمدينة إلى بيعته وخلع بيعة يزيد وجهاده، وقد تولى عبد الله بن مطيع العدوي (ابن عم عمر بن الخطاب) أخذ البيعة له من أهل المدينة. وفي مكة، باشر ابن الزبير بإخراج الأمويين وأتباعهم منها وتتبع بعض الفارّين منهم وقام بقتل جماعة منهم داخل الحرم^(٢)!

في المدينة، خلع أهلها بيعة يزيد ووثبوا على الأمويين والمقرّبين منهم وكانوا زهاء ألف شخص، فحاصروهم في دار مروان بن الحكم، وهتفوا ضدهم، ثم ضيّقوا عليهم لما بلغهم مسير جيش الشام إليهم، وقاموا بإجلائهم من المدينة^(٣).

بحسب النصوص التاريخية، فإنّ واحدة من أسباب ثورة أهل المدينة وقيامهم بخلع بيعة يزيد وطرده واليه فيها هي اعتقادهم بفسق يزيد وفجوره^(٤)، لا سيما وأنّه كان يجاهر بالفسق علناً ويعلم بحاله أغلب المسلمين. وقد أوضح عبد الله بن حنظلة هذا السبب

١- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥/ ٣٠٤ - ٣١٣.

٢- البلاذري: (قال الهيثم: تحصّن سعد مولى عتبة بن أبي سفيان بالطائف في خمسين رجلاً فاستنزلهم ابن الزبير وضرب أعناقهم في الحرم، فقال ابن عمر: يا سبحان الله ما أحق هذا الرجل، أما إنّه لم يقتل أحداً بالحرم إلا قتل به، وقال ابن عباس: لولقيت قاتل أبي بالحرم ما قتلتته) أنساب الأشراف: ٥/ ٣١٩.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٠، ٣٧٢: مروج الذهب، المسعودي: ٣/ ٢٦٧.

٤- ذكر الطبري مسألة تنصيب عثمان بن محمد بن أبي سفيان والياً على المدينة خلفاً للوليد بن عتبة الذي تم عزله بسبب غلظته، وكان معروفاً عن عثمان حداثة سنة ولهوه وعدم درايته بأموال الحكم، كما أنه قام بإرسال وفد إلى يزيد يضم أشراف أهل المدينة منهم: عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن أبي عمرو بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير وغيرهم، فلما عادوا من الشام قاموا في أهل المدينة: (فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا إننا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنايب ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وإننا نشهدكم إننا قد خلعناهم فتابعهم الناس) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٦٨.

بقوله لأهل المدينة بعد عودته من الشام: (فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمي بالحجارة من السماء ان رجلاً يترك الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي) (١).

كما أنّ حركة ابن الزبير في مكة وتواصله مع أهل المدينة عبر بعض أتباعه كانت هي الأخرى سبباً دفع أهل المدينة إلى خلع يزيد وطرد واليه (٢).

من جهته، كتب يزيد لأهل المدينة كتاباً طلب من واليه (عثمان بن محمد) أن يقرأه عليهم، جاء فيه: (أما بعد، فإني قد نفسيتم حتى أخلفتكم، ورفعتمكم حتى أخرقتكم، ورفعتمكم على رأسي ثم وضعتكم، وأيم الله لئن أثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود، وأيم الله لا يأتيكم مني أولى من عقوبي، فلا أفلح من ندم) (٣).

ثم جهّز جيشاً قوامه اثنا عشر ألفاً بقيادة مسلم بن عقبة المري لغزو المدينة ومعاقبة أهلها على تمردهم، علماً أنّ اختياره السفاح مسلم لأداء هذه المهمة كان بنصيحة سابقة من أبيه معاوية (٤).

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٢٧ / ٤٢٩: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٦ / ١٩.

٢- ذكر بعض المؤرخين أنّ عبد الله بن الزبير هو من نصّب عبد الله بن حنظلة والياً له على المدينة، انظر: الفتوح، ابن أعمش الكوفي: ٥ / ١٥٧.

٣- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٢٩، تحقيق: علي شيري.

٤- قال الحافظ ابن حجر: (وأخرج أبو بكر بن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جويرية بن أسماء سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون ان معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له أن لك من أهل المدينة يوماً فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فاني عرفت نصيحته فلما ولي يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة فأكرمهم وأجازهم فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلع يزيد فأجابوه فبلغ يزيد فجهز إليهم مسلم بن عقبة فاستقبلهم أهل المدينة بجموع كثيرة فهاهم أهل الشام وكرهوا قتالهم فلما نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير وذلك أن بني حارثة أدخلوا قوما من الشاميين من جانب الخندق فترك أهل المدينة القتال ودخلوا المدينة خوفاً على أهلهم فكانت الهزيمة وقتل من قتل وبايع مسلم الناس على أنهم حول ليزيد يحكم في دماهم وأموالهم وأهلهم بما شاء وأخرج الطبراني من طريق محمد بن سعيد بن رمانة ان معاوية لما حضره الموت قال ليزيد قد وطأت لك البلاد

وأيضاً: كان يزيد - لعنه الله - يهدف من إرسال جيشه معالجة تمرّد عبد الله بن الزبير في مكة، وقال لمسلم عند توديعه:

- (أنت أمير الجيش وإن حدث بك حدث فأمر الجيش الحصين بن نمير السكوني، فإذا وردت المدينة فادع الناس ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإن ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً، فما كان بها من مال أورثه أو سلاح أو طعام فهو للجنود) (١).
- (واعلم أنك تقدم على قوم ذوي جهالة واستطالة قد أفسدهم حلم أمير المؤمنين معاوية وظنّوا أنّ الأيدي لا تنالهم، فلا تردن أهل الشام عمّا أرادوه بهم) (٢).
- (... فإذا قدمت المدينة فمن عاقلك عن دخولها، أو نصب لك الحرب، فالسيف السيف، أجهز على جريحهم، و أقبل على مدبرهم، وإياك أن تبقي عليهم) (٣).

بطبيعة الحال، فرح مسلم - أخزاه الله - بالمهمة وكان مريضاً حينها واعتبره رزقاً ساقه الله (وحاشاه) إليه (٤)، وقال لما عرض عليه يزيد الأمر: "وجهني إليهم فوالله لأدعن

ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك الا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه إليهم مسلم بن عقبة فاني قد جربته وعرفت نصيحته قال فلما كان من خلافهم عليه ما كان دعاه فوجهه فأباحها ثلاثاً ثم دعاهم إلى بيعة يزيد وانهم أعبد له فن في طاعة الله ومعصيته) فتح الباري: ١٣ / ٦٠ - ٦١.

وقد ذكر رواية جويرية بن أسماء جملة من المؤرخين، منهم: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٨ / ١٠٤ - ١٠٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٨٠؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٣٤؛ تاريخ خليفة بن خياط: ١٨٢؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٤٢؛ وغيرهم.

وانظر أيضاً: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، قال: (وكان معاوية قد أوصى يزيد فقال له: إن رابك منهم ريب، أو انتقض عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مرة مسلم بن عقبة، فدعا به فقال: سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش (...): الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١١٢ ذكر مثله.

١- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٢٢ - ٣٢٣؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٢.

٢- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٢٣.

٣- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٢.

٤- ذكر ابن قتيبة أنّ يزيد لعنه الله دعا مسلم بن عقبة فقال له: (سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش، وإن شئت أعفيتك، فإني أراك مدنفاً منهوكاً. فقال: نشدتك الله، أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إلي) الإمامة والسياسة: ١ / ٢٣١. مدنفاً منهوك: أي مريض ومتعب.

أسفلها أعلاها" (١) يقصد: "مدينة الرسول" بالرغم من أنّ الله جعلها حرماً آمناً، وأيضاً: حرمتها باعتبارها مهاجر رسول الله ودار رسالته ومهبط وحي الله (٢)!

وفعلاً، سار الجيش الأموي ووصل المدينة وعسكر على أطرافها في موضع يُعرف بـ "الحرّة" شرق المدينة (٣)، وأمهل مسلم بن عقبة أهلها ثلاثة أيام للقبول بحكم يزيد وبيعته وإلا فالحرب، وبعد رفض مطالبه زحف لهم بجيشه، وكان أهل المدينة قد ولّوا أمرهم عبد الله بن حنظلة (٤) والتفّوا حوله وعملوا خندقاً حول المدينة لمنع تقدم الجيش الأموي إلى داخل المدينة، فنشب بين الطرفين قتالاً شديداً أبدى فيه ابن حنظلة وجيشه استماتة وصمود عاليين، لكن الفارق بين الجيشين - عدة وعدداً - كان له دور مؤثر في حسم الأمور لصالح الأمويين وهزيمة جيش ابن حنظلة وقتله مع ولده والكثير من جيشه.

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٠.

٢- الأحاديث في حرمة المدينة كثيرة، وهذا مثال لها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "اللهم ان إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً وإني حرمت المدينة حرماً ما بين مأزمها ان لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخيط فيها شجرة الالغف" صحيح مسلم: ٤ / ١١٧.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من أراد أهل هذه البلدة بسوء (يعنى المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء" صحيح مسلم: ٤ / ١٢١؛ مسند أحمد: ١ / ١٨٠.

٣- نزول الجيش الأموي في موضع "الحرّة" وإتيان المدينة من جهة الشرق كان بمشورة أبداها عبد الملك بن مروان مسلم بن عقبة عندما التقى الجيش الشامي بالأمويين المبعدين من المدينة في منطقة "وادي القرى"، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٣. وكثير من المؤرخين ذكروا مروان وابنه عبد الملك مع الجيش الأموي ليذكر تأره من أهل المدينة على حد قوله، انظر على سبيل المثال: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٢.

٤- حنظلة: هو حنظلة بن أبي عامر، من الأنصار (الأوس)، استشهد سنة ٣ هـ في معركة أحد، إذ اشترك فيها وهو جنب، فأخبر الرسول صلى الله عليه وآله بتغسيل الملائكة إياه، وكان يسّى بـ "غسيل الملائكة"، والأمر معروف ومشهور في كتب المسلمين عموماً. قال الشيخ الصدوق: (واستشهد حنظلة بن أبي عامر الراهب بأحد فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بغسله، وقال: رأيت الملائكة بين السماء والأرض تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضة، وكان يسّى غسيل الملائكة) من لا يحضره الفقيه: ١ / ٩٧.

وأيضاً: ينبغي أن لا نغفل خيانة بعض أهل المدينة (من بني عبد الأشهل) حيث سمحوا بفتح منفذ للجيش الأموي من جهتهم لعبور الخندق؛ طمعاً بالمال والوعود التي أسداها لهم مروان بن الحكم، ومن ثمّ تمكّن الجيش الأموي من العبور ودخول المدينة واستباحتها بما فيها للجند الشاميين.

وقعة الحرّة كانت في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هـ^(١)، طبّق السفاح مسلم بن عقبة وصايا أميره الفاسق حرفياً، حتى إنه بعد انتهاء الواقعة كتب إلى يزيد شارحاً له مجريات الأحداث، ومما جاء في كتابه:

(... فأدخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار، من ناحية عبد الأشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم بما دعاه إليه مروان بن الحكم إلى صنيع أمير المؤمنين، وما تضمن له عنه من قرب المكان، وجزيل العطاء، وإيجاب الحق، وقضاة الذمام، وقد بعثت به إلى أمير المؤمنين، ... وسلم الله رجال أمير المؤمنين، فلم يصب منهم أحد بمكروه، ولم يقم لهم عدوهم من ساعات نهارهم أربع ساعات، فما صليت الظهر - أصلح الله أمير المؤمنين - إلا في مسجدهم، بعد القتل الذريع، والانتهاج العظيم، وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم، وأتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم، وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين)^(٢).

١- روت المصادر التاريخية تفاصيل كثيرة من أحداثها، انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٣ - ٣٨٠؛ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٣ - ٢٤٢؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٦٩ - ٧١، البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٣٨ - ٢٤٤.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٤٠.

ملاحظات تتعلق بواقعة الحرة:

١- اختيار يزيد - لعنه الله - للمجرم مسلم بن عقبة كان بعد اعتذار عبيد الله بن زياد عن المهمة، وقال مقولته الشهيرة: "والله لا جمعتهما للفاسق" يعني بذلك: قتل الحسين عليه السلام وغزو المدينة ومكة^(١).

تصريح ابن زياد واضح في أنّ يزيد هو الأمر بقتل الحسين عليه السلام ولم يكن باجتهاد شخصي من ابن زياد كما يزعم بعض المتعصّبين لبني أمية، وقد ناقشنا هذا الأمر سابقاً^(٢). وأيضاً: واضح في أنّ اشتهار يزيد بالفسق لم يتمكن فاسق مثله ومقرّب إليه من إخفائه، فضلاً عن اشتهاره بالفسق عند عموم المسلمين، حتى إنّ ابن الزبير كان يسميه "السكران الخمير" لكثرة شربه الخمر^(٣).

٢- النصوص التاريخية - وقد تقدم بعضها - واضحة وصريحة في أنّ ما حصل من فجاج وإبادة وانتهاك لحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم في مدينة الرسول على يد الجيش الأموي كان بأمر اللعين يزيد: حيث أطلق يد المجرم مسلم بن عقبة وأباح المدينة له ولجيشه ثلاثة أيام يفعلون فيها ما يحولهم، وهو بفعله هذا لم يُخطئ سيرة أبيه معاوية وسياسته الظالمة التي كان يتبعها جنده - بأمر منه - ضد المسلمين الأمنين في المدن والبلدان التي كانت تخضع لحكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد استعرضنا في الجزء الأول من كتاب "يوم الحسين" ما فعله بسر بن أرطاة وجيشه في غارته على اليمن من فجاج ورزايا، وكذلك غاراتهم العديدة على مدن في العراق كغارة سفیان

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧١.

قال ابن الأثير: (وبعث - أي يزيد - إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة، فقال والله لا جمعتهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم أرسل إليه يعتذر. فبعث إلى مسلم بن عقبة المري وهو الذي سعي مسرفاً...) الكامل في التاريخ: ٤ / ١١١ - ١١٢.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الثاني - بحث: "من قتل الحسين عليه السلام"؟

٣- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٦٩: التنبيه والإشراف، المسعودي: ٤ / ٣٠.

بن عوف الغامدي على هيت والأنبار وقد نصحه معاوية فيها بتخريب القرى وقتل كل من صادفه ممّن ليس على مثل رأيه ونهب أموالهم^(١).

وبخصوص واقعة الحرة، عرفنا - بحسب النصوص التاريخية المتقدمة - أنّ إسناد يزيد مهمة الهجوم على المدينة للمجرم مسلم بن عقبة كان بنصح متقدم من معاوية، وبالتالي فما حلّ بمدينة الرسول من إجرام وانتهاك حرّيات لم تكن صفحة معاوية منه بريئة، والوزير لا يصح قصره على يزيد وجيشه فحسب!

٣- خلّفت واقعة الحرة قتلى كثيرين من أهل المدينة سواء من قريش أو عموم المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين بما فهم صحابة وتابعين وأبناءهم وحفظة قرآن، بل لم يتركوا لهم حرمة وكانوا ينادونهم: "يا يهود"^(٢)!

- (لما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلاراع، شرود يقتلهم أهل الشام من كل وجه، ... ودخل القوم المدينة، فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون)^(٣).
- (فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبع مئة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان)^(٤).
- (قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة. قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حروعبد وغيرهم عشرة آلاف)^(٥).

١- روى الطبري ضمن أحداث سنة ٣٩ هـ، قال: (وجّه معاوية في هذه السنة سفیان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت فيقطعها وأن يغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها فسار...) تاريخ الطبري: ١٠٣ / ٤. وكان من نصح معاوية له أن قال: (إنّ هذه الغارات يا سفیان على أهل العراق ترهب قلوبهم وتجري كل من كان له فينا هوى [منهم] ويرى فرأقهم، وتدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر، وخرّب كل ما مرت به [من القرى]، و اقتل كل من لقيت ممن ليس هو على رأيك، واحرب الأموال، فإنه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب) الغارات، الثقيفي: ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧.

٢- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣٢٧ / ٥.

٣- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٤.

٤- المصدر السابق: ١ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

٥- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٤٢.

- (عن الامام مالك: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن) (١).

بالنتيجة، وفي أقل تقدير، قتل يوم الحرة آلاف من المسلمين حتى إن مروان بن الحكم اعترض على مسلم لكثرة القتل الذي أوقعه بقريش على الرغم من رضاه بقتل الأنصار، إذ قال له: "قد والله سقيتني من دماء هؤلاء القوم، إلا ما كان من قريش، فإنك أنختها و أفنيتها. فقال مسلم: والله لا أعلم عند أحد غشاً لأمر المؤمنين إلا سألت الله أن يسقيني دمه" (٢).

٤- استباح الجيش الأموي المدينة وقاموا بانتهاب بيوت أهلها بشكل فظيع.

- (قال عوانة بن الحكم: دخلوا من قبل بني حارثة إلى المدينة فلم يبق دار إلا انتهبت، إلا دار أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كلباً حمته، ودار امرأة من حمير فإن حمير حمته. وكان أهل الشام يقاتلون أهل المدينة ويقولون يا يهود) (٣).

- (أباح مسلم المدينة ثلاثة أيام حتى كانوا ينفضون صوف الفرش ويأخذونها) (٤).

- (أول دور انتهبت والحرب قائمة دور بني عبد الأشهل، فما تركوا في المنازل من أثاث

ولا حلي ولا فراش إلا نقض صوفه، حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها...) (٥).

٥- قتلوا وأهانوا صحابة وتابعين كثير:

بعض المؤرخين أوصل عدد الصحابة المقتولين يوم الحرة إلى ثمانين صحابياً ولم يبقَ أحد من البدرين بحسب قوله، ومن قريش والأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس من

١- المصدر السابق: ٦/ ٢٦٢.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ٢٣٤.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥/ ٣٢٧.

٤- المصدر السابق: ٥/ ٣٣٤.

٥- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ٢٣٥.

الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف قتيل^(١). كما أنّ بعض الصحابة تم قتله صبراً كما حصل مع معقل بن سنان الأشجعي^(٢).

وهذه مشاهد قتل بعض الصحابة:

- (قال: وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخيّل تسرع في كل وجه قتلاً ونهباً. فقيل له: لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك، فلو أعلمتهم بمكانك؟ فقال: والله لا أقبل لهم أمانا، ولا أبرح حتى أقتل، لا أفلح من ندم، وكان رجلاً أبيض طويلاً أصلع، فأقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول: والله لا أبرح حتى أضرب صلعتك وهو حاسر. فقال عبد الله: شرلك خير لي، فضربه بفأس في يده، فرأيت نورا ساطعاً في السماء، فسقط ميتاً. وكان يومه ذلك صائماً، رحمه الله)^(٣).
- (ثم أتى - أي: مسلم بن عقبة - بمعقل بن سنان، وكان معقل حاملاً لواء قومه يوم الفتح مع رسول الله، فلما دخل عليه قال له: أعطشت يا معقل؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: حيسوا له شربة من سويق اللوز الذي زودنا به أمير المؤمنين، فلما شربها قال له: رويت؟ قال: نعم. فقال مسلم: أما والله لا تبولها من مثانتك أبداً، فقدم، فضربت عنقه، ثم قال: ما كنت لأدعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على إمامك، وكان معقل قد طعن بعض الطعن على يزيد قبل ذلك، فيما بينه وبين مسلم)^(٤).

وهذا مشهد يوضح الإهانة التي تعرض لها أبو سعيد الخدري:

(ولزم أبو سعيد الخدري بيته، فدخل عليه نفر من أهل الشام، فقالوا: أيها الشيخ، من أنت؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا ما

١- انظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٥.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٤١.

٣- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤- المصدر السابق: ١ / ٢٣٧.

زلنا نسمع عنك، فبحظك أخذت في تركك قتالنا، وكفك عنا، ولزوم بيتك، ولكن أخرج إلينا ما عندك. قال: والله ما عندي مال، فنتفوا لحيته، وضربوه ضربات، ثم أخذوا كل ما وجدوه في بيته حتى الصواع وحتى زوج حمام كان له) (١).

واضح أنّ أبا سعيد لم يسلم من إجرام الجيش الأموي، ولم يشفع له كبر سنّه وعدم اشتراكه بالقتال دون تعرّضه للأذى والإهانة، إذ ضربوه ونتفوا لحيته وهبوا بيته (٢).

أيضاً: همّوا بقتل جابر بن عبد الله الأنصاري لما سمعوه يقول: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي، فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله، فترامى عليه مروان فأجاره) (٣).

٦- جرائم بحق النساء والأطفال:

هذه بعض مشاهد الإجرام والفساد الأموي بحق الأطفال والنساء:

- (دخل رجل من أهل الشام على امرأة نساء من نساء الأنصار معها صبي لها، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً. فقال: والله لتخرجن إلي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا. فقالت له: ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة، على أن لا أزي، ولا أسرق، ولا أقتل ولدي، ولا آتي بهتان أفتريه، فما أتيت شيئاً فاتق الله. ثم قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شئ لأفتديتك به. قال: فأخذ برجل الصبي، والثدي في فمه، فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الأرض) (٤).

١- المصدر السابق: ١ / ٢٣٦. الصواع: كوز يشرب به الماء.

٢- لا شك أنّ سبب ذلك: ولاؤه لآل محمد وموقفه الرافض لانحراف الأمويين وظلمهم، فمعروف عن أبي سعيد حبّه وميله لأئمة المؤمنين علي وأبنائه صلوات الله عليهم.

٣- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٦.

٤- المصدر السابق: ١ / ٢٣٨.

- (قال المدائني: وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال. فأرسلت سعدى بنت عوف المريّة إلى مسلم بن عقبة تقول له: أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لإبلانا بمكان كذا وكذا، فقال لأصحابه: لا تبدأوا إلا بأخذ إبلاها أولاً. وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك في الأسارى، فقال: عجلوه لها، فضربت عنقه، وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنتك؟ ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلى ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج فالله أعلم) (١).
- (أباح - مسلم - حرم رسول الله، حتى ولدت الأبيكار لا يعرف من أولدهن) (٢).
- (عن أبي قرّة، قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج) (٣).
- (دخل جنده المدينة فنهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة) (٤).

٧- لما دخل الجزار مسلم بن عقبة وجيشه مدينة الرسول دعا الناس إلى بيعة يزيد وفق مبدأ "العبودية"، أي: أنهم عبيد ليزيد يفعل بهم وبأهلهم وأموالهم ما يشاء:

- (ودخل مسلم المدينة ودعا الناس إلى البيعة على أنهم خول ليزيد يحكم بما شاء في دماهم وأموالهم وأهلهم، حتى أتى بابتن زمة وكان صديقاً ليزيد فقال: أبايع على أتى ابن عمّ أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي، فقدّمه فضرب عنقه) (٥).
- (ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع آية أنك عبد قن ليزيد، فيقول: لا! فيضرب عنقه) (٦).

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٤١ / ٨.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٠.

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١٥ / ٦.

٤- معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٢ / ٢٤٩.

٥- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣٣٥ / ٥ / تاريخ الطبري: ٣٨١ / ٤.

٦- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٠ - ٢٥١.

- (ثم دعى مسلم بالناس إلى البيعة ليزيد، وقال: بايعوا على أنكم خول له، وأموالكم له، فقال يزيد بن عبد الله بن ربيعة: نبايع على كتاب الله، فأمر به فضربت عنقه) (١).

٨- كالعادة، لم تخلُ حرب الإبادة الجماعية التي تعرّض لها المسلمون في المدينة على يد الأمويين من الصبغة العقائدية المنحرفة، وقد مر بنا سابقاً أنّ التحريف وابتداع العقائد الباطلة كان أحد أعمدة السياسة الأموية بشكل عام، وإلا ما معنى أن يقف جرّار على ضحاياه ويشهد لهم بالجنة والعبادة وحسن السيرة والسلوك، في ذات الوقت الذي يعتقد فيه بصلاح حاله وحال أميره الأمر بالإجرام! مع أنّ الله تعالى يقول: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" النساء: ٩٣!

(قال: فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى. فمر على عبد الله بن حنظلة، وهو ماد أصبغه السبابة. فقال مروان: أما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا، داعيا إلى الله. ومر على إبراهيم بن نعيم، ويده على فرجه، فقال: أما والله لئن حفظته في الممات لقد حفظته في الحياة. ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعا جبهته بالأرض، فقال: أما والله لئن كنت على وجهك في الممات لطالما افترشته حيا ساجدا لله. فقال مسلم: والله ما أرى هؤلاء إلا من أهل الجنة. ومر على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود، فلما نظر إليه مروان عرفه، وكره أن يعرفه لمسلم فيحز رأسه. فقال له مسلم: من هذا؟ فقال بعض هذه الموالي وجاوزه، فقال له مسلم: كلا، وبيت الله لقد نكبت عنه لثئ. فقال له مروان: هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد. فقال: ذاك أخزى ناكث بيعته حزوا رأسه) (٢).

حقيقة، وفق ما لدينا من ثوابت الإسلام (قرآناً وسنة) لا أجد مخرجاً عقائدياً سليماً وصحيحاً لفعل مسلم بن عقبة ومروان بن الحكم وشهادتهما لبعض قتلى أهل المدينة بالجنة والعبادة والورع في ذات الوقت الذي يشهدان فيه لأميرهما الفاسق بالخلافة

١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٦ / ١٥.

٢- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٥.

الشرعية واستحقاق الرافض لها للقتل والنهب والسلب! اللهم إلا وفق بدعة: "سيدهم معاوية قاتل سيدنا علي"، أو: "سيدهم يزيد قتل سيدنا الحسين!" وهو منطوق معوج وباطل بكل تأكيد. وبذلك نعرف أنّ من يردد مثل هذه المقولات - قديماً وحديثاً - هو بالحقيقة يعزف على وتر أموي سفياني الأصل وليس من إسلام محمد في شيء إطلاقاً.

ومهما يكن الأمر، بقي الجيش الأموي في المدينة إلى منتصف شهر محرم عام ٦٤ هـ ثم غادرها باتجاه مكة للقضاء على حركة عبد الله بن الزبير، وفي الطريق إليها هلك مسلم بن عقبة إثر علة أصابته. وعهد إلى الحصين بن نمير لتولي مهمة قيادة الجيش^(١)، فدفن هناك ولاحقاً قامت بعض النساء بنهب قبره وصلبه وحرقة لقتله رجالهن^(٢).

ما فعله جيش يزيد في وقعة الحرّة من جرائم كبرى وصفها بعض المؤرخين بـ "الرزء الفظيع"^(٣)، وهي كذلك بالتأكيد، الأمر الذي حال دون إمكانية تبريرها أو إيجاد عذر لها حتى من قبل أشد المتعصبين لبني أمية إلا بالخروج عن الإسلام أو عن دائرة الإنسانية والفترة السويّة بالمرّة^(٤)!

علماء، أنّ يزيد - لعنه الله - بقراره الإجرامي الذي أفضى إلى إباحة مدينة يقطنها مسلمون قتلاً ونهباً، لم يكن الوحيد بين حكام بني أمية، فمثل هذا الفعل صدر من مروان بن الحكم أيضاً لما آلت إليه الأمور، إذ كلّف عبيد الله بن زياد بالمسير إلى العراق مقابل أن يكون ما غلبه من العراق ملكاً له، وأمره بنهب الكوفة ثلاثة أيام إن ظفر بها^(٥)، لكن مروان

١- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٢٣٤. قال: (وشخص - مسلم - عن المدينة وبه السِّل فمات، ودفن بالمشلل، واستخلف على عسكره حصين بن نمير).

٢- انظر: المصدر السابق: ٥ / ٣٣١ - ٣٣٢.

٣- انظر: التنبيه والإشراف، المسعودي: ٣٠٦. قال: (فكان ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها رزءاً بعد قتل الحسين بن علي بن أبي طالب).

٤- يقول ابن كثير، المعروف بتعصّبه للأمويين ودفاعه عنهم: (ثم أباح مسلم بن عقبة، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبّحه الله من شيخ سوء ما أجله - المدينة ثلاث أيام كما أمره يزيد، لا جزاءه الله خيراً، وقتل خلقاً من أشرفها وقزائها وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد) البداية والنهاية: ٨ / ٢٤١.

٥- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥١٣.

هلك قبل حدوث ما تمتّاه، كما أنّ عبید الله بن زیاد غيرَ خطته نتيجة انشغاله بأحداث حصلت بالشام آخرته عن المسير إلى العراق، وأيضاً ذهابه إلى ملاقاته "التوابين" بعد خروجهم من الكوفة ومسيرهم إلى الشام، كما سنعرف.

موقف بقية الحسين في أحداث الحرّة:

لم يكن غالبية أهل المدينة يعتقدون بإمامة علي بن الحسين عليه السلام وعصمته وأنه أحد أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله، بل هم - أعني أهل المدينة - لم يكونوا يعتقدون بمثل هذا المقام لأبيه الحسين عليه السلام كما عرفنا سابقاً، وكان تعاملهم مع آل محمد يقتصر على الاحترام والتبجيل؛ لمكانتهم وقرابتهم من الرسول صلى الله عليه وآله وما كانوا يتمتعون به من علم ودين وخلق محمدي أصيل ورفعة وخصال نبيلة وجيلية يشهد بها الجميع.

وكم سيكون مؤثراً ومجدياً - آخره ودنيا^(١) - لو كان موقف أهل المدينة الراضين للأمويين وإقدامهم على خلع بيعة يزيد المعلن بفسقه وفجوره الآن، كان قد اتخذ قبل سنتين حينما دعاهم الإمام الحسين صلوات الله عليه لنصرته والنهوض معه عندما رفض بيعة يزيد وأعلن ثورته الإلهية التي هزّت أركان حكمه، لكنهم لم ينصروا سبط نبهم وريحانته وأثروا الدنيا أو الخوف على اللحوق به وتركوه يلاقي الحتوف بثلة قليلة أبت إلا أن تشاركه المصير المكتوب!

عموماً، أهل المدينة الآن قرّروا الثورة بوجه يزيد وهو موقف - على كل حال - لا يصح مقارنته بالخضوع والرضوخ للباطل، لكنه أيضاً لم يكن بمشورة الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي كان مأموراً بالإبقاء على نفسه بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام؛ لئلا تخلو الأرض من حجة إلهي ويبطل دين الله، كان كل همّه إتمام الرسالة بإقامة

١- مؤثر في الدنيا: إذ لو نصرروا الحسين وهم أُلوف كثيرة لتغيرت الأحداث ولما انتهت إلى ما انتهت إليه، وبالتالي لما كانت الواقعة قد حلّت في ديارهم وفعلت بهم ما فعلت أصلاً، ومؤثر في الآخرة: إذ سنكتب أسماؤهم في سجل أنصار الحسين، وباله من شرف عظيم، نصراً كان المأل أو شهادة، فكلاهما فتح إلهي لا يلقاه إلا ذو توفيق إلهي عظيم.

الحجة على الخلق وهداية من يطلب الحق والهدى الإلهي من الأمة^(١)، وبالفعل فقد لازمه نفر من الأمة واهتدوا بهديه وعلمه أمثال: سعيد بن المسيّب وأبي حمزة الثمالي وأبي خالد الكابلي وسعيد بن جبيرة وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبان بن تغلب وغيرهم.

دين الله الحق له قيّم (حجة) يسير به لعبور الأحداث والمتغيرات والمستجدات وفق مراد الله الذي يرتضيه ويطلعه عليه بحكمته وفضله، ولا يخطو الحجة الإلهي بالناس خطوة لمواجهة ما يصادفوه في دنيا الامتحان وفق مراد الناس ومشتهياتهم إطلاقاً. لذلك، لم يشترك الإمام علي بن الحسين عليه السلام في أحداث وقعة الحرة واعتزل الناس، وبحسب بعض المؤرخين: إنه أقام في ضيعة له بالقرب من المدينة^(٢)، وبعضهم ذكر أنّ الإمام عليه السلام بقي في المدينة والتجأ إلى قبر جده الرسول صلى الله عليه وآله وساهم بدفع القتل عن بعض المسلمين لما جيء به للمجرم مسلم بن عقبة:

قال: (ونظر الناس الى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به إلى مُسْرِفٍ وهو مغتاض عليه، فتهرباً منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سَلِّني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف إلا شَفَّعه فيه، ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتيني

١- الغرض من تنصيب الحجة والخليفة الإلهي (إمام، رسول، نبي) هو إقامة الحجة على الخلق، قال تعالى: "لِيَأْتِيَ بِكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ" النساء: ١٦٥.

- الإمام علي عليه السلام: "اللهم لا تغل الأرض من حجة لك على خلقك ظاهراً أو خاف مغموراً لئلا تبطل حججك وبيناتك" علل الشرائع، الصدوق: ١/ ١٩٥.

- الإمام الصادق عليه السلام: "لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الامام، وقال: ان آخر من يموت الامام لئلا يحتج أحدهم على الله عز وجل تركه بغير حجة لله عليه" علل الشرائع، الصدوق: ١/ ١٩٦.

- السيد أحمد الحسن: (حيث إنّ تنصيب الخليفة: يهدف إلى إقامة الحجة وقطع العذرو هذا جارٍ سواء كان هناك قابل أم لم يكن هناك قابل، وأيضاً يهدف إلى استنقاذ المكلفين من غفلتهم بتذكيرهم ليقبلوا إرادة الله التي تصلهم من خلال خليفته في أرضه ...) عقائد الإسلام: ٣٦ - الهامش ٤.

٢- انظر مثلاً: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٢.

خير، وتكفييني شره، وقيل لمسلم: رأيناك تسبُّ هذا الغلام وسَلَفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئ قلبي منه رعباً^(١).

وعموماً، الملفت في أحداث المدينة أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان قد أوى عائلة مروان بن الحكم بعد أن رفض عبد الله بن عمرو وغيره إيوائهم عنده؛ علماً أنّ زوجة مروان هي عائشة بنت عثمان بن عفان. ومسألة إيواء الإمام للنساء وأطفال مروان تكشف عن عظيم رحمة آل محمد عليهم السلام وخلقهم الرّباني الرفيع، فهو بالرغم من علمه بموقف مروان العدائي والخبيث الذي صدر منه تجاه أبيه الحسين عليه السلام^(٢)، لكن نفسه الكبيرة أبت إلا إيواء من لجأوا إليه (امرأة وأطفال) داربهم الزمن وحياتهم كانت مهددة بالخطر!

- (لما أخرج أهل المدينة عثمان ابن محمد من المدينة كلّم مروان بن الحكم بن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحمًا وحرمي تكون مع حرمك فقال: أفعل فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم ينبع)^(٣).
- (فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من إخراجهم منها، اجتمعوا إلى مروان، فقالوا: يا أبا عبد الملك ما الرأي؟ قال: من قدر منكم أن يغيب حريمه فليفعل، فإنما الخوف على الحرمة، فغيّبوا حريمهم، فأتى مروان عبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن، بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة، وتغيب عن هذا الأمر، فأحب أن أوجه عيالي معك. فقال ابن عمر: إني لا أقدر على مصاحبة النساء. قال: فتجعلهم في منزلك مع حرمك. قال: لا آمن أن يدخل على حريمي

١- مروج الذهب، المسعودي: ٣/ ٧٠ - ٧١.

٢- حيث كان لمروان بن الحكم دور كبير في التآليب على الإمام الحسين عليه السلام، وكان يدفع الوليد بن عقبة (والي المدينة آنذاك) إلى قتل الإمام إن أصرَّ على رفض البيعة، راجع: يوم الحسين / الجزء الأول: "أحداث بيعة يزيد في المدينة".

٣- تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٢.

من أجل مكانكم. فكلّم مروان علي بن الحسين، فقال: نعم، فضمهم علي إليه، وبعث بهم مع عياله^(١).

- (فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى، فضمّ عيالنا. فقال: لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء. فقام مروان وهو يقول: قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً. ثم أتى علي بن الحسين - عليهما السلام - فسأله أن يضمّ أهله وثقله ففعل^(٢)).

حصار مكة وهدم الكعبة:

الحقيقة، لم يكن الدافع في القتال الذي دار بين يزيد و ابن الزبير في مكة دينياً إطلاقاً، وإنما هو صراع من أجل الملك والحكم الدنيوي لا أكثر، وبالتالي فههدف الجيش الأموي كان القضاء على تمرّد ابن الزبير وإنجاز المهمة التي كلّفهم بها يزيد لعنه الله، كما أنّ ابن الزبير ليس هدفه الأساس الدفاع عن بيت الله وإنما حماية نفسه من القتل فاتخذ بيت الله ترساً له وذريعة يجمع بها الأتباع والمؤيدين، وإلا فهو قد صرّح لأخيه المنذر - لما حاصر الجيش الأموي مكة - فقال: (ما يريد هؤلاء، يعني أهل الشام، إلا أنا وأنت)^(٣).

وعموماً، بعد انتهاء واقعة الحرة وانصراف الجيش الأموي منها إلى مكة، تولّى الحصين بن نمير قيادة الجيش بعد هلاك مسلم بن عقبة، فوصل بجيشه إليها في نهاية محرم عام ٦٤ هـ وضرب عليها حصاراً مطبقاً استمرّ شهرين تقريباً، وكان مسلم أوصى الحصين قبل موته فقال: (واعلم أنّك تقدم على قوم لا منعة لهم ولا عدّة ولا سلاح، ولهم جبال مشرفة عليهم، فانصب عليهم المجانيق فإن عاذوا بالبيت فارمه فما أقدرك على بنائه)^(٤).

١- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٣٠ - ٢٣١.

٢- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ١ / ٥٣.

٣- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٣٨.

٤- المصدر السابق.

من جهته، خطب ابن الزبير بالناس في مكة ودعاهم إلى بيعته والقتال معه دفاعاً عن البيت الحرام (حسب زعمه طبعاً)، فالتف حوله خلق كثير من المكيين ومن حولهم. وفعلاً نشب قتال بين الطرفين في منتصف شهر صفر سنة ٦٤ هـ واستمر عدة أيام، نَقَذ خلالها الحصين بن نمير وصية مسلم بن عقبة ونصب المجانيق على الجبال المشرفة على الكعبة والمسجد الحرام وأمر بضربه بها في مطلع شهر ربيع الأول^(١)، واستمر القتال إلى منتصف الشهر؛ الوقت الذي هلك فيه يزيد لعنه الله. ولما بلغ الحصين بن نمير نبأ هلاك يزيد أوقف الحرب واستأمن قريش وأهل مكة قائلًا: (يا معاشر قريش أنتم ولاة الأمر، وإنما قاتلناكم في طاعة رجل منكم قد هلك، فأذنوا لنا في الطواف، ...) ^(٢)، فأذن لهم ابن الزبير ووضعت الحرب أوزارها وعرض الحصين على ابن الزبير توّلي الخلافة بعد يزيد والذهاب للشام، لكنه رفض ذلك.

وهذه بعض الملاحظات التي حصلت بعد رجوع الجيش الأموي إلى الشام:

١- بالنسبة للكعبة، فقد تصدّعت جدرانها واهتزت أركانها إثر قصفها بالمنجنيق، كما أنّ أحد أصحاب ابن الزبير تسبّب بإحراقها بعد أن حملت الریح جمرة من شعلة كان يحملها فوق رمحه، فتعلّقت بأستار الكعبة فاحترقت هي وما حولها من مساكن قريبة منها، فكان ذلك سبباً في إقدام ابن الزبير على هدمها وإعادة بنائها سنة ٦٥ هـ. ^(٣) علماً، أنّ ابن الزبير غيّر في البناء^(٤)، لكن بناءه لها لم يدم طويلاً؛ إذ تعرّضت للضرر والهدم مرة أخرى في القتال الذي دار بين الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي وبين ابن الزبير

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٨٣.

٢- أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٤٤.

٣- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٤٩؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٨٣.

٤- حيث أدخل الحجر في البيت لحديث عائشة: «قال لي رسول الله لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم فان قريشا حين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفاً» صحيح مسلم: ٤ / ٩٧، وجعل للكعبة بابين باب يدخل منه وباب يخرج منه، ووضع الحجر الأسود بيده، وشده بفضة لأنه كان قد تصدّع، وجعل طول الكعبة ٢٧ ذراعاً بعد أن كانت ١٧ ذراعاً، كما زاد في وسعها ١٠ أذرع، ولطخ جدرانها بالمسك، وسترها بديباج. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٣؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٤٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٧٥.

في مكة سنة ٧٣ هـ حيث قُتل ابن الزبير وصُلب وانتهى أمره، فقام الحجاج بهدم الكعبة وأعاد بناءها على ما كانت عليه سابقاً بأمر من عبد الملك بن مروان (١).

٢- شارك المختار الثقفي إلى جانب ابن الزبير في قتاله مع الجيش الأموي، وبعد انتهاء المعركة انصرف راجعاً إلى العراق (٢)، وسنعرّف لاحقاً سبب انصرافه عنه ورجوعه إلى الكوفة.

٣- دعا ابن الزبير الناس إلى بيعته، وممن أسرع إلى بيعته وهو في مكة: عبيد الله ابن الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر، بينما رفض ابن الحنفية وعبد الله بن عمر وابن عباس ذلك (٣)، ثم أتته بيعة أهل الأفاق في العراق وأجزاء من الشام واليمن وخراسان، فقام بنصيب الولاة فيها (٤)، لهذا يسميه بعضهم بـ "الخليفة" (٥).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٥/ ٣٥؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣/ ٨٣؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٦/ ٢٦٥.

٢- قال ابن كثير: (... فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد، كان المختار يومئذ بالكوفة فبلغ ابن زياد أنه يقول: لأقومن بنصرة مسلم ولأخذن بثأره، فأحضره بين يديه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشرها، وأمر بسجنه، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن، فبعث يزيد إلى ابن زياد: أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن عبيد من السجن، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك، فأخرجه وقال له: إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك. فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول: والله لأقطعن أنامل عبيد الله بن زياد، ولأقتلن بالحسين بن علي على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا.

فلما استفحل أمر عبد الله بن الزبير بايعة المختار بن عبيد، وكان من كبار الأمراء عنده، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشد القتال، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق، نقم على ابن الزبير في بعض الأمور خرج من الحجاز فقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهبئون للصلاة، فجعل لا يمر بملا إلا سلم عليه وقال: أبشروا بالنصر... (البداية والنهاية: ٢٧٣ - ٢٧٤).

٣- بالنسبة إلى ابن الحنفية، كان يرفض بيعة ابن الزبير إلى أن تجتمع عليه الناس، فكان ابن الزبير يكثر من ذمه والوقية فيه، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٤٩.

٤- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٥/ ٣٥٢ - ٣٥٣.

٥- انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ٩٠٦؛ والذهبي، انظر: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٨٨، و٧/ ٢٩. وهؤلاء إنما عدّوه خليفة؛ باعتبار أنّ الخلافة عندهم تقوم على أساس "اختيار الناس" أو "الغلبة" لا بتنصيب من الله كما هو الاعتقاد الحق.

وهكذا، أعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين سنة ٦٤ هـ واتخذ من مكة عاصمة لحكمه، وتحديداً بعد موت معاوية بن يزيد الذي رفض استلام الخلافة بعد هلاك أبيه.

ملاحظة:

لم يدم حكم ابن الزبير طويلاً لأسباب كثيرة منها الثورات الداخلية، وأبرزها ثورة المختار الثقفي في العراق، إضافة إلى تمكّن الأمويين (عبد الملك بن مروان تحديداً الذي خلف أباه مروان في الحكم) من استعادة باقي مناطق الشام وبسط نفوذهم عليها وكذلك مصر ثم العراق والحجاز، وصولاً إلى القضاء على ابن الزبير أخيراً إثر محاصرة الجيش الأموي له بمكة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي وقتله له سنة ٧٣ هـ^(١).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٢٩ - ٣٤.

هلاك يزيد وفوضى الحكم بعده:

هلاك يزيد وما قيل فيه:

هلك يزيد - لعنه الله - في منتصف ربيع الأول سنة ٦٤ هـ بعمر ٣٨ عاماً؛ إذ كانت ولادته سنة ٢٦ هـ^(١). وكان سبب هلاكه سكره وعريدهته ولعبه مع القروذ^(٢).

وأما رأي علماء المسلمين فيه، فهذه جملة من أقوالهم ممّن صرّح بكفره وعدم إيمانه ونصبه وجواز لعنه وذمه عموماً:

١- أحمد بن حنبل: صرّح بكفر يزيد^(٣).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٨٣.

٢- هذه بعض أقوال المؤرخين والمحدثين في سبب هلاك يزيد بن معاوية:

- البلاذري: (عن ابن عيَّاش قال: خرج يزيد يتصيد بحوارين وهو سكران، فركب وبين يديه أتان وحشية قد حمل عليها قرداً وجعل يركض الأتان ... فسقط فاندقت عنقه) أنساب الأشراف: ٥ / ٢٨٧.

- ابن حبان: (وتوفي يزيد بن معاوية بحوارين قريبة من قرى دمشق لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وهو يومئذ بن ثمان وثلاثين وقد قيل إنّ يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغه فمات) الثقات: ٢ / ٣١٤.

- ابن كثير: (وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقروذ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل: إنّ سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقرها فعضته. وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك) البداية والنهاية: ٨ / ٢٥٨.

٣- ذكره عنه ابن حجر والشبراوي، انظر: المنح المكية في شرح الهيمزية، ابن حجر: ٥١٩؛ الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٦٨. قال ابن حجر: (إن يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به علماً وورعاً يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك).

- ٢- ابن القفطي: صرح بكفره^(١).
- ٣- الكيا الهراسي: صرح بكفره ولعنه^(٢).
- ٤- ابن عقيل: صرح بكفره^(٣).
- ٥- ابن الجوزي: استعرض في كتابه "الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد" الأدلة على استحقاق يزيد للعن^(٤).
- ٦- القاضي أبو يعلى، وابن الجوزي: صرحا بكفره^(٥).
- ٧- التفتازاني: صرح بكفره وجواز لعنه^(٦).

١- نقله عنه الباعوني الشافعي، قال: (قال ابن القفطي في تاريخه: إن السي لما ورد على يزيد بن معاوية خرج لتلقيه فلقى الأطفال والنساء من ذرية علي والحسن والحسين، والرؤوس على أسنة الرماح وقد أشرفوا على ثنية العقاب، فلما رأهم أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرق
تلك الرؤوس على ربا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أولا تقل
فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني بذلك أنه قتل الحسين بمن قتله رسول الله (ص) يوم بدر مثل عتبة جده ومن مضى من أسلافه!! وقائل مثل هذا (القول) برئ من الاسلام ولا يشك في كفره) جواهر المطالب: ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١.

٢- نقله عنه الباعوني الشافعي، قال: (وسئل الكيا الهراسي وهو من كبار الأئمة عن لعنة يزيد بن معاوية؟ فقال: لم يك (يزيد من) الصحابة، ولد في زمان عمر بن الخطاب، وركب العظائم المشهورة، (ثم) قال: وأما قول السلف ففيه لأحمد قولان: تلويح وتصريح، وبالمالك أيضا قولان تصريح وتلويح، ولنا قول واحد وهو التصريح دون التلويح، قال: وكيف لا وهو اللاعب بالترد المتصيد بالفهد، والتارك للصلوات، والمدمن للخمر، والقاتل لأهل بيت النبي (ص) والمصرح في شعره بالكفر الصريح) المصدر السابق: ٣٠١ - ٣٠٢.

٣- نقله عنه سبط ابن الجوزي، قال: (وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، ...)، وأضاف لها سبط ابن الجوزي أشعار أخرى، ثم قال: (.. فإن صحت فهو كافر بلا ريب) تذكرة الخواص: ٢٩٠.

٤- ذكر منها: قتله للإمام الحسين عليه السلام وتعديبه على رأسه الشريف وانتهاكه حرمة أهل بيته وسوقهم أسارى، وأيضاً: انتهاك حرمة المدينة وقتل أهلها بواقعة الحرة. انظر: الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، تحقيق: د. هيثم عبد السلام محمد.

٥- نقله عنهما الألوسي في تفسيره: روح المعاني: ٢٦ / ٧٢، قال: (وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي وسبقه القاضي أبو يعلى).

٦- نقله عنه الألوسي في تفسيره، قال: (قال العلامة التفتازاني: لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعدائه) روح المعاني: ٢٦ / ٧٢.

- ٨- السيوطي: صرح بجواز لعنه (١).
- ٩- الاسفرايني: صرح بجواز لعنه (٢).
- ١٠- الألوسي: صرح بجواز لعنه وعدم إيمانه (٣).
- ١١- السمهودي: نقل اتفاق العلماء على جواز لعن قتلة الحسين من غير تعيين (٤).

وقال التفتازاني أيضاً: (وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الأراء إذ تكاد تشهد به الجماد والعجماء ويبكي له من في الأرض والسماء وتهد منه الجبال وتنشق الصخور ويبقى سوء عمله على كر الشهور وممر الدهور فلعنة الله على من باشر أورضي أو سعى ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) شرح المقاصد في علم الكلام: ٣٠٧/ ٢.

١- ذكره عنه الألوسي في تفسيره، قال: (وممن صرح بلعنه الجلال السيوطي عليه الرحمة) روح المعاني: ٢٦ / ٧٢.
٢- قال: (المختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو الحسين القاضي ومن وافقهما) عنه الألوسي في تفسيره، انظر: روح المعاني: ٢٦ / ٧٣.

٣- انظر: روح المعاني، الألوسي: ٢٦ / ٧٢ - ٧٣، في ذيل تفسير قوله تعالى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ" محمد: ٢٢:

قال: (وعلى هذا القول لا توقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة فقد روى الطبراني بسند حسن "اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل" والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين على جده وعليه الصلاة والسلام واستبشاره بذلك وإهانته لأهل بيته مما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله أحاداً).

وقال أيضاً: (الذي يغلب على ظني أن الخبيث لم يكن مصدقاً برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأن مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل حرم نبيه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر؛ ولا أظن أن أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً، ولو سلم أن الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عز وجل عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال إليهم إلى يوم الدين ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين).

٤- قال الشبراوي: (قال السيد السمهودي في جواهر العقدين: اتفق العلماء على جواز لعن من قتل الحسين رضي الله عنه أو أمر بقتله أو أجازه أورضي به من غير تعيين) الإتحاف بحب الأشراف: ٦٣.

- ١٢- الذهبي: صرح بفسقه ونصبه العداء^(١).
 ١٣- ابن حجر الهيثمي: نقل كفر يزيد عن طائفة^(٢).
 ١٤- الحافظ البدخشاني: صرح بكفرولعنه^(٣).
 ١٥- محمد رشيد رضا: صرح بأنه إمام بغي وجور خذله الله^(٤).

١- انظر: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٧ - ٣٨. قال: (كان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقتة الناس. ولم يبارك في عمره. وخرج عليه غير واحد بعد الحسين. كأهل المدينة قاموا لله ...).

٢- قال: (اعلم أن أهل السنة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده فقالت طائفة إنه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه لما جاء رأس الحسين رضي الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبير: * لبت أشياخي ببدر شهدوا * الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر. وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثانياً الحسين وحمله آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه) الصواعق المحرقة: ٢٢٠.

وقد أوضح القندوزي في (بينابيع المودة: ٣ / ٣١) الأبيات التي أضمرها ابن حجر، قال: (يقول مؤلف هذا الكتاب: إن صاحب الصواعق ذكر أول الأبيات ولم يذكر بواقعتها، فإني قد وجدت تمامها، وبيتين مشتملتين على صريح كفره، والأبيات هذه:

لبت أشياخي ببدر شهدوا	وقعة الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل).

٣- قال: (وجعل ينكت رأسه بالخيزران وأنشد أبيات ابن الزبير: لبت أشياخي ببدر شهدوا إلى آخره، والأبيات مشهورة، وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر. والعجب من جماعة يتوقفون في أمره ويتزهون عن لعنه، وقد أجازه كثير من الأئمة منهم ابن الجوزي، وناهيك به علماً وجلالة) نزل الأبرار: ١٥٩ - ١٦٠.

٤- قال: (ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على إمام الجور والبيغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمكر يزيد بن معاوية خذله الله، وخذل من انتصر له من الكرامية والنواصب الذين لا يزالون يستحبون عبادة الملوك الظالمين، على مجاهدتهم لإقامة العدل والدين) تفسير المنار: ٦ / ٣٠٤.

١٦- وأيضاً: روى ابن حجر عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يضرب عشرين سوطاً من يطلق لقب "أمير المؤمنين" على يزيد^(١).

ملاحظات:

الأولى: اقتصر على نقل أقوال بعض علماء أهل السنة؛ باعتبار وضوح الأمر عند الشيعة ولا حاجة لنقل أقوال علماءهم، وكمثال لها: قال الشيخ الصدوق: (واعتقادنا في قتل الأنبياء وقتل الأئمة أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار)^(٢).

الثانية: بحسب الاعتقاد الحق، فإن الإمام الحسين إمام معصوم منصّب من قبل الله تعالى ومنصوص عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، وبالتالي فلا ذرة من الإسلام - فضلاً عن الإيمان - تبقى لمن اعتدى عليه وشارك بقتله، وهذا يعني أنّ يزيد بن معاوية - لعنه الله - ليس بمسلم ولا مؤمن بالله ورسوله حقيقة ومستحق للعن بلا تردد، بل يفترض أن ينتهي جميع المسلمين إلى هذه النتيجة؛ بناءً على الروايات النبوية المتواترة بحق الحسين صلوات الله عليه؛ سواء التي أفردتها فيها الرسول صلى الله عليه وآله بالذكر أو التي ذكره فيها مع أبيه وأخيه السبط بعنوان "العترة، الأل، أهل البيت"، وقد تقدم ذكر بعضها في "التمهيد"^(٣)، حيث وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه أمان للأمة من الضلال وأنه لن يفترق عن القرآن، وأنه ظاهر مطهر من الله ومن أولي القربى الذين تجب مودتهم والصلاة عليهم، وأنه سفينة النجاة، وسيد شباب أهل الجنة، وحبيب الله وحبيب رسوله وثمرة فؤاده وبضعته وسيطه وربحانته، وأنه من الرسول والرسول منه، وأنّ الرسول راضٍ عنه وهو سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه، وكان الرسول كثير البكاء على ما يجري عليه وقد أخبر بذلك منذ ساعة مولده ... إلخ.

١- قال: (قال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال تقول أمير المؤمنين فأمر به فضرب عشرين سوطاً) الصواعق المحرقة: ٢٢١،

٢- الاعتقادات في دين الامامية: ١٠٦.

٣- راجع: يوم الحسين / الجزء الأول - التمهيد: وصايا الرسول بأهل بيته + منزلة الحسين عند الرسول.

النصوص واضحة في أنّ الإيمان بالله ورسوله ورضاهما يدور مدار محبة الحسين (كحد أدنى)، واعتبار المحارب له محارباً لله ورسوله، ولا أقلّ فإنّ ما جرى على الحسين وما لاقاه الحسين وعياله من يزيد والأمويين و أتباعهم من تعدٍ وقتلٍ وأسرٍ مما يؤذي الرسول بالتأكيد، وحكم من آذى الرسول واضح في القرآن الكريم، كما أنّ حكم من قتل مؤمناً متعمداً واضح أيضاً فما بالك بقتل سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة!

قال تعالى:

- "وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" التوبة: ٦١.
- "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا" الأحزاب: ٥٧.
- "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" النساء: ٩٣.

هذا، فضلاً عن الروايات التي لعن فيها الرسول صلى الله عليه وآله يزيد بالاسم أو الوصف، وقد تقدم ذكر بعضها^(١).

معاوية بن يزيد يعترف بالحق:

كان معاوية بن يزيد محبباً لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة وأبنائهما صلوات الله عليهم ويعترف بأحقيتهم بالخلافة، وهو السبب الحقيقي الذي دفعه إلى رفض الخلافة بعد هلاك أبيه^(٢).

١- راجع: يوم الحسين / الجزء الأول - التمهيد.

٢- بعض المؤرخين ذكروا أنّ سبب انصرافه عن الخلافة هو المرض فقط، انظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط: ١٩٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٥٧ / ٢٥٩؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣٥٦ / ٥. والبعض أضاف الدين، انظر: أنساب الأشراف: ٤ / ١٣٩.

روى بعض المؤرخين خطبة معاوية بن يزيد التي تضمّنت اعترافه بالحق وعيبيه على جده معاوية ما فعله مع الإمام علي عليه السلام وما فعله أبوه يزيد مع الإمام الحسين عليه السلام معتبراً أفعالهم خطايا وجرائم.

وأيضاً: ذكر البعض اقتراح مروان بن الحكم عليه بأن يجعل الخلافة بعده شورى كما فعل عمر بن الخطاب، لكنه رفض ذلك معللاً بأنّ أباه يزيد ليس كعمر كما أنّ أهل زمانه ليس فيهم رجال كالرجال الذين اختارهم عمر للشورى!

(ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية، وأمّه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس، فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإننا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجعل كراحتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وان جدي معاوية ابن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله، ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعه، وانقطعت مدّته، وصار في حفرتة رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه.

ثم بكى، وقال: إنّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمه، وحرقت الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها.

فقال له مروان بن الحكم: ستها فينا عمرية! قال: ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً، ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر، ومن لي برجل مثل رجال عمر^(١).

١- انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٥٤؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣/ ٧٣.

ورويت الحادثة بشكل مفصّل أكثر: (قال أبو البقاء الشافعي في كتاب حياة الحيوان: بويع له - يعني: معاوية بن يزيد - بالخلافة يوم موت أبيه، فأقام فيها أربعين يوماً، وقيل: أقام فيها خمسة أشهر وأياماً وخلع نفسه. وذكر غير

واحد أن معاوية بن يزيد، لما خلع نفسه صعد المنبر، فجلس طويلاً ثم حمد الله تعالى و أتى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وآله بأحسن ما يذكر به.

ثم قال: أيها الناس ما أنا بالراغب في الانتمار عليكم، ما أكرهه منكم، و اني أعلم أنكم تكرهونا أيضاً، لأننا بلينا بكم وبليتم بنا، إلا أن جدي معاوية نازع هذا الأمر من كان بهذا أولى منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظيم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدرا، وأشجعهم قلبا، وأكثرهم علما، وأولهم ايمانا، وأشرفهم منزلة، و أقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره وأخوه، زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهله ابنته، وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدها شباب أهل الجنة و أفضلها هذه الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، و ابنا فاطمة البتول عليها السلام، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور.

فلما جاء القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، بقي مرتبنا بعمله، فريدا في قبره، ووجد ما قدمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه، ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي، فتقلد أمركم لهواء كان أبوه فيه، لقد كان أبي يزيد بسوء فعله واسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وآله، فركب هواء واستحسن خطأه، و أقدم على ما أقدم من جرأته على الله تعالى، وبغيه على من استحل حرمة من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت مدته، و انقطع أثره، وضاج عمله، وصار حليف حفرتة، رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال وما قيل له، فهل عوقب بإساءته، وجوزي بعمله، وذلك ظني.

ثم اختنقته العبرة، فبكى طويلاً وعلا نحيبه، ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل أثامكم، ولا أراني الله تعالى جلت قدرته متقلداً أو زاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم، فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه، فقد خلعت بيعتي عن أعناقكم، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى، فقال: عد عني ديني تخدعني، فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها، انتني برجال مثل رجال عمر، على أنه ما كان خير جعلها شورى وصرها عمن لا يشك في عدالته ظلماً، والله لمن كانت الخلافة نعيماً لقد نال أبي منها مغرماً ومأثماً، ولئن كانت شرراً فحسبه منها ما أصابه. ثم نزل، فدخل عليه أقاربه وأمه، فوجدوه يبكي، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك، ثم قال: ويلي ان لم يرحمني ربي.

ثم إن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر القصوص: أنت علمته هذا ولقنته إياه، وصددته من الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده، وحملته على ما وسمنها به من الظلم، وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال بما قال، فقال: والله ما فعلته ولكنه محبوب ومطبوع على حب علي رضي الله عنه، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات. وتوفي معاوية بن يزيد بعد خلع نفسه بأربعين ليلة، وقيل: تسعين ليلة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثمانية عشر سنة، ولم يعقب رحمة الله عليه ورضوانه) كتاب الأربعين، القمي الشيرازي:

ولهذا عدّ بنظر البعض من شيعة أهل البيت عليهم السلام وأنه في بني أمية كمؤمن آل فرعون^(١).

وعموماً، مات معاوية بن يزيد بعد أبيه بأربعين يوماً أو ثلاثة أشهر كما لاحظنا في النصوص التاريخية، بسبب مرضه وقيل: مات مسموماً أو مطعوناً^(٢)، وهو أمر ليس ببعيد نتيجة موقفه من خلافة جده وأبيه واعترافه بالحق لآل محمد عليهم السلام، فانتزى مروان على الخلافة بعده.

سيطرة المروانيين على الحكم:

"الملك لمن غلب": هذا هو شعار مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد^(٣)، فأخذ يدعو لنفسه بعد أن كان - أول أمره - عازماً على مبايعة ابن الزبير في مكة وأخذ الأمان منه لبني أمية لولا ما أشار عليه ابن زياد - الذي وصل الشام هارباً من البصرة - من أنه كبير قرينش ورئيسها وجعله يدعو إلى نفسه بعد أن كان ولداً يزيد الأخرين (خالد وعبد الله) صغيرين، ونصحه بأن يتزوج أم خالد (زوجة يزيد) ليكون خالد في حجره.

١- انظر على سبيل المثال: قاموس الرجال، التستري: ١٠ / ١٤٥.

٢- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٧٣.

٣- روى ابن عساکر: (لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له أعهد إليه فقال لا أتزود مرارتها وأترك لبني أمية حلاوتها فلما مات دعت بنو أمية عثمان بن عنبسة إلى أن يبايعوا له بالخلافة فأبى وقال أنا الحق بخالي يريد عبد الله بن الزبير فقال له مروان بن الحكم إنها ليست ساعة خال عمك لا خالك ولما ووري معاوية بن يزيد في قبره ورفعوا أيديهم عنه قام مروان بن الحكم على قبره ثم قال متمثلاً: إني أرى فتنة تغلي مراجلها* والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا) تاريخ مدينة دمشق: ٤٠ / ١٥.

قال ابن عبد البر: (ووليّ.. أبو ليلى معاوية بن يزيد، وذلك سنة أربع وستين. عاش بعد أبيه يزيد أربعين ليلة، ومات وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وكان موته من قرحة يقال لها السكتة، وكانت أمّه أم خالد بنت هاشم ابن عتبة بن ربيعة، وقالت له: اجعل الخلافة من بعدك لأخيك، فأبى، وقال: لا يكون لي مرّها ولكم حلوها، فوثب مروان حينئذ عليها وأنشد: إني أرى فتنة تغلي مراجلها* والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا) الاستيعاب: ٣ / ١٣٨٩.

وقال ابن حجر: (ان معاوية بن يزيد بن معاوية لما مات دعا مروان لنفسه فأجاباه أهل فلسطين وأهل حمص فقاتله الضحاک بن قيس برمح راهط فقتل الضحاک ثم مات مروان وقام عبد الملك ...) فتح الباري: ١٣ / ٥٩.

من جانب آخر: كانت الشام منقسمة الولاء؛ فبعض عمّال معاوية وابنه يزيد دعوا الناس إلى بيعه ابن الزبير ومنهم الضحّاك بن قيس والنعمان بن بشير، في قبال من كان يدعوهم للبقاء على بيعة بني أمية مثل حسان بن مالك والي الأردن، ما أدى إلى الاقتتال بين الضحّاك بن قيس ومن كان معه وبين مروان بن الحكم وابن زياد ومن كان معهما، فكانت وقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ التي قتل فيها الضحّاك وخلفت مقتلة عظيمة، وكانت الغلبة لصالح مروان وجيشه^(١).

وهكذا استتب أمر الشام لمروان وألقي القبض على النعمان بن بشير في حمص وتم قتله مع زوجته وفرّ العمال الآخرون الذين والوا ابن الزبير من الشام، ثم سيّر مروان جيشه لمصر التي بايع أهلها ابن الزبير وأرجعهم إليه، وتنازع مروان وابن الزبير على فلسطين وآل أمرها أخيراً لمروان^(٢).

وأما أهل خراسان، فإنهم لما بلغهم موت يزيد وابنه معاوية بايعوا سلم بن زياد وولّوه أمرهم ثم نكثوا بيعته فتركها وهرب، ثم غلب عليها عبد الله بن خازم بعد معارك حصلت بينه وبين بعض عمّال بني أمية استمرت سنة كاملة وكان "الملك لمن غلب" على حد قول ابن خازم^(٣).

ملاحظة: حكام بني أمية بعد يزيد - لعنه الله - وموت ابنه معاوية، هم: مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز بن مروان، يزيد بن عبد الملك بن مروان، هشام بن عبد الملك بن مروان، الوليد بن يزيد بن عبد الملك، يزيد بن الوليد بن عبد الملك، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المعروف بمروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية الذي ثار عليه العباسيون وقتلوه سنة ١٣٢ هـ.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤١٢، ٤١٥، ٤١٨؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٤ / ٢٩٣ - ٢٩٧؛ أسد الغابة، ابن الأثير: ٤ / ٣٤٩.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤١٧.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٠ - ٤٢٥.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قد أخبر في يوم الجمل بالبصرة بحكم مروان وبنيه وذكر ما ستلاقيه الأمة منهم:

(أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين إلى أمير المؤمنين عليهم السلام فكلماه فيه، فخلّى سبيله، فقال له: يبايعك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدرني بسبته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر)^(١).

فوضى وقتال من أجل الدنيا والحكم!

هذه نصوص تلخص الفوضى والتكالب على الحكم:

١- (قال يعقوب: وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين، ثم انبعث مسرف بن عقبة إلى مكة قاصداً عبد الله بن الزبير ليقتله بها، لأنه فرم من بيعة يزيد، فمات يزيد بن معاوية في غضون ذلك، واستفحل أمر عبد الله بن الزبير في الخلافة بالحجاز، ثم أخذ العراق ومصر، وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد، وكان رجلاً صالحاً، فلم تطل مدته، مكث أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، ثم مات رحمه الله، فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها، فبقي تسعة أشهر ثم مات، وقام بعده ابنه عبد الملك، فنازعه فيها عمرو بن سعيد بن الأشدق وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك، فضايق به ذرعاً، ولم يزل به حتى أخذه بعدما استفحل أمره بدمشق فقتله في سنة تسع وستين، ويقال: في سنة سبعين، واستمرت أيام عبد الملك حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عن أمره بمكة، بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ إلى

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام / خطبة ٧٣، تحقيق: صبيح الصالح.

الحرم، فلم يزل به حتى قتله، ثم عهد في الامر إلى بنيه الأربعة بعده الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام بن عبد الملك (١).

٢- (عن أبي معشر قال لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم بن الزبير إلا أهل الأردن فلما رأى ذلك رؤوس بني أمية وناس من أهل الشام من أشرفهم وفهم روح بن زنباع الجذامي قال بعضهم لبعض إن الملك كان فينا أهل الشام فينقل ذلك إلى الحجاز لا نرضى بذلك) (٢).

٣- (وثب مروان بن الحكم على بعض أهل الشام وبويع له فبايع الضحاك بن قيس أكثر أهل الشام لابن الزبير وعاد إليه فاقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس بمرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين) (٣).

٤- سنة ٦٥ هـ، بعد هلاك يزيد واختلاف أهل الشام في أمر الخلافة، دعا عبيد الله بن زياد أهل البصرة لبيعته فوثبوا عليه فاستجار عند الأزدي ثم هرب إلى الشام (٤)، وأيضاً: طرد أهل الكوفة والمهم عمرو بن حريث منها، وولّوا أمرهم عامر بن مسعود وقد أقرّه لهم ابن الزبير (٥).

٥- فوضى ومعارك طاحنة في خراسان، كان الأمر فيها لمن غلب على حد قول ابن خازم الذي قاتل بجيشه عمّال بني أمية فيها (٦).

النصوص والأحداث واضحة تماماً في أنّ "الحكم لمن غلب"، فلا "أمرهم شورى بينهم" ولا "بيعة أهل الحل والعقد" ولا هم يحزنون!

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٦/ ٢٦٢.

٢- المعجم الكبير، الطبراني: ٥/ ٨٠.

٣- عمدة القاري، العيني: ٢٠/ ٣٠٧.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٨٧.

٥- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٤٠٣ - ٤٠٤.

٦- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٤٢٠ - ٤٢٥.

حاكمية الناس تجسّدت بأبشع صورها في السنين القريية التي أعقبت مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فمروان يثب على الحكم في الشام ويدعولنفسه ويصرّح بأنّ "الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا"^(١)، وابن الزبير يدعولنفسه في الحجاز، وابن زياد يدعولنفسه في البصرة ثم يثور أهلها عليه فمهرب منها إلى الشام، وأهل الشام لا يريدون خروج الحكم منهم، وأهل الحجاز يطالبون بعودة الحكم لهم، والعراق يغلي وأهله مشتتو الرأي والولاء، لتندلع إثر ذلك التيه والتكالب على الدنيا والحكم معارك طاحنة (بين آل مروان وآل الزبير، وبين الأمويين أنفسهم، وبين آل الزبير وآخرين) راح ضحيتها آلاف المسلمين في سبيل اعتلاء هذا الطرف أو ذاك دفعة حكم الناس والإمرة عليهم!

حقيقة، إنّ من يطّلع على أحداث تلك الفترة المظلمة التي أعقبت شهادة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يقرأ قول من يتبجّح ويصوّر أنّ هؤلاء خلفاء شرعيون وحكام للمسلمين لهم إنجازات ... إلخ، بل بعضهم يعتبرهم (أو لا أقل أطراف منهم) جزءاً من "خير أمة أخرجت للناس"، أقول: إنّ من يطّلع على هذا كله لا ألومه إن تقيّاً أو أصابه غثيان من قبح هذا الهراء!

١- أبو ليلى: كنية معاوية بن يزيد، وتصريحه تقدم ذكره.

الشجرة الملعونة ونزو القردة!

ما آلت إليه الأمور بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام واعتلاء مروان بن الحكم دفّة حكم المسلمين بعد الطليقين معاوية ويزيد كان نتيجة طبيعية لأمة تاهت وضلّت طريق الهدى الذي اختطه رسول الله صلى الله عليه وآله لها، طريق الله المتمثل بحاكمية الله أي: التصديق بالرجل المنصب من قبل الله والمنصوص عليه من قبل رسوله وتمكينه ليتسّى له قيادة الناس وهدايتهم بطريقة مرضية له سبحانه وتعالى.

وإلا فأئى ضياع وأئى نكبة أكبر من أن يحكم الأمة رجل وصفه الرسول صلى الله عليه وآله بـ "الوزغ ابن الوزغ"^(١)، عاش مع أبيه في الطائف بعد أن طردهم الرسول من المدينة وبقياً هناك إلى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة فأرجعها إليهما؛ لأن "الحكم" عمّه ومروان ابن عمّه^(٢)!

• قال ابن كثير: (وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أسلم يوم الفتح، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ومات بها، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد، ولما كان متولياً على المدينة لمعاوية كان يسب علياً كل جمعة

١- وصف الرسول صلى الله عليه وآله مروان عند ولادته بـ "الوزغ ابن الوزغ"، وكمثال للروايات التي ذكرت ذلك: - روى الحاكم النيسابوري بسنده: (عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لا حد مولود الا أتى به النبي صلى الله عليه وآله فدعا له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) المستدرک على الصحيحين: ٤ / ٤٧٩.

- روى الكليني بسنده: (عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما ولد مروان عرضوا به لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو له، فأرسلوا به إلى عائشة ليدعوه، فلما قربته منه قال: أخرجوا عني الوزغ ابن الوزغ، قال زرارة: ولا أعلم إلا أنه قال: ولعنه) الكافي: ٨ / ٢٣٨.

٢- كان لأمية بن عبد شمس عدة أولاد، منهم: حرب (والد أبو سفيان وابنه معاوية ثم يزيد)، وأبو العاص (والد عفان وابنه عثمان، ووالد الحكم وابنه مروان)، وأبو معيط (والد عقبة وابنه الوليد). بهذا يتضح أنّ مروان بن الحكم ابن عم عثمان بن عفان.

على المنبر، وقال له الحسن بن علي: لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال: لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم^(١).

• قال الذهبي: (وكان - أي: مروان - كاتب ابن عمّه عثمان، وإليه الخاتم، فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان، ثم نجا هو، وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان، فقتل طلحة يوم الجمل، ونجا - لا نجي - ثم ولي المدينة غير مرة لمعاوية. وكان أبوه قد طرده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ثم أقدمه عثمان إلى المدينة لأنه عمّه. ولما هلك ولد يزيد، أقبل مروان، وانضم إليه بنو أمية وغيرهم، وحارب الضحّاك الفهري، فقتله، وأخذ دمشق، ثم مصر، ودعى بالخلافة)^(٢).

وفق هذين النصين اللذين وصفا حال مروان، يمكننا ملاحظة:

١- السبب الذي دعا الرسول إلى طرد الحكم بن أبي العاص الأموي وابنه مروان من المدينة - بحسب نصوص المؤرخين - هي إفشاء سر الرسول ونقل أخباره إلى كفّار قريش في مكة (أي: كان جاسوساً لقريش)، علاوة على استخفافه واستهزائه بالرسول^(٣).

٢- مسألة لعن الرسول صلى الله عليه وآله للحكم وابنه مروان سكت عنها الذهبي لأسباب معروفة بطبيعة الحال، إلا أنها ثابتة بروايات صحيحة، ولا يتمكن الذهبي ولا غيره من تغطية شمس الحقيقة بغربال التعصّب، وهذا مثال لها:

- روى أحمد بسند صحيح: (عن عبد الله بن عمرو قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب عمرو بن العاصي يلبس ثيابه ليلحقني فقال ونحن

١- البداية والنهاية: ٨ / ٢٨٤ - ٢٨٥.

٢- سير أعلام النبلاء: ٣ / ٤٧٧.

٣- قال الذهبي: (أسلم يوم الفتح وقدم المدينة فكان فيما قيل يقضي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرده وسبه وأرسله إلى بطن وّج - أي: الطائف - فلم يزل طريداً إلى أن ولي عثمان، فأدخله المدينة ووصل رحمه وأعطاه مائة ألف درهم، لأنه كان عم عثمان بن عفان، وقيل إنما نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لأنه كان يحكيه في مشيته وبعض حركاته) تاريخ الإسلام: ٣ / ٣٦٦.

عنده ليدخلن عليكم رجل لعين فوالله ما زلت وجللاً أتشوف داخلاً وخارجاً دخل فلان يعني الحكم^(١).

- روى أبو يعلى بسند صحيح: (عن أبي يحيى قال كنت بين الحسين والحسن ومروان يتشاوران فجعل الحسن يكف الحسين فقال مروان أهل بيت ملعونون فغضب الحسن فقال أقلت أهل بيت ملعونون فوالله لقد لعنتك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنت في صلب أبيك)^(٢).

أقول: قول مروان لسبطي الرسول: "أهل بيت ملعونون" يؤكد عدم إيمانه بالله ورسوله طرفة عين، وفيه من عناد الله ورسوله ما لا يخفى على سوي فطرة إطلاقاً.

وأيضاً: بحسب رواية ابن كثير في نصّه المتقدم: "لعن الله الحكم وما ولد"، فإنّ اللعن لا يقتصر على الحكم وابنه مروان فحسب، وإنما هو سارفي كل ذرية "الحكم" أي: في ابنه مروان وفي عبد الملك ابنه وهكذا.

٣- خيانة مروان لابن عمّه عثمان، ملخصها: إنّ قسماً من المسلمين الذين ثاروا على عثمان كانوا قد قدموا من مصر ونزلوا المدينة وطالبوا عثمان بعزل واليه الفاسد "عبد الله بن أبي سرح" مقابل تهدئة الأوضاع، واتفقوا مع عثمان على اختيار محمد بن أبي بكر بدلاً منه، وفي أثناء عودة الوفد إلى مصر أرسل مروان إلى ابن أبي سرح كتاباً وختمه بختم عثمان مفاده: "إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم، وأبطل كتابهم، وأقرّ على عمك حتى يأتيك رأيي!" وصادف أن عثر الوفد على الرسول واطلعوا على الرسالة التي يحملها فعادوا بها إلى المدينة وعرضوها على عثمان فأنكرها ولما احتجوا عليه بوجود خاتمه عليها ذكر لهم ان خاتمه مع مروان، فازدادت مطالبتهم حدة وطلبوا منه أن يخلع

١- مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٦٣. وممن صرح بصحة الحديث: العلامة الأرنؤوط حيث قال: (إسناده صحيح على شرط مسلم) مسند أحمد بن حنبل بتحقيق العلامة شعيب الأرنؤوط: ١١/ ٧١ - ٧٢؛ وأيضاً الشيخ الألباني حيث قال: (قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٧/ ٧٢٠.

٢- مسند أبي يعلى: ١٢/ ١٣٥. ولمعرفة صحة سند الحديث، انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني: ١٨/ ٢٦٥، تحقيق: عبد القادر بن عبد الكريم بن عبد العزيز، قال: (درجته صحيح بهذا الإسناد؛ لأن جميع رواه ثقات، وذكره الهيثمي والبوصيري وأبو يعلى والطبراني وأخرجه ابن عساكر...).

نفسه لضعفه وخبث بطانته، لكنه رفض وقال مقولته التي أفضت إلى موته فيما بعد: "لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله"، وهكذا تطوّرت الأمور وفرضوا حصاراً على بيت عثمان ومنعوه من الخروج للصلاة إلى أن آلت الأمور إلى قتله بالنهاية، والسبب كما هو واضح خيانة ابن عمّه مروان بن الحكم^(١).

٤- واحدة من أسباب نقمة كثير من المسلمين على عثمان هي فساد عمّاله المالي والإداري، ومنهم ابن عمه "الخائن" مروان بن الحكم، الذي كان لفساده وخيانتته الأخيرة الدور الأبرز في تأزيم الأوضاع وتصاعد حدّتها، وهذا واضح في تصريح ابن كثير: "ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان" وتصريح الذهبي: "وأجلبوا بسببه على عثمان" بالرغم من ميل الإثنين للأمويين كما هو معروف عنهما. أما مطالبته بدم عثمان بعد مقتله واصطفاه مع الناكثين لقتال وصي الرسول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (البريء من دم عثمان) فهو مجرد مكر ونفاق وسبيل للملك والدنيا، وهو أيضاً خبت ونصب العداء لدين الله وأوليائه لا سيما وأنه كان مولعاً بسبّ علي عليه السلام!

٥- من سفالة الدنيا، أن يتزو الأمويون الطلقاء الملعونون على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عترته الطيبين، وهو أمر كان يعلم به الرسول من خلال وحي الله له وقد أخبر به عترته الأوصياء:

- (يوسف بن مازن الراسي قال قام رجل إلى الحسن ابن علي فقال يا مسود وجوه المؤمنين فقال الحسن لا تؤنّبني رحمك الله فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فسأه ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر نهر في

١- روى ابن شبة النميري بسنده: (عن المغيرة قال: لما رجع أهل مصر عن عثمان رضي الله عنه رأوا راكبا يعارض الطريق فارتابوا، فأخذوه ففتشوه فلم يجدوا شيئا، فقال رجل منهم: لعل حاجتكم في الشنة، فنظروا فإذا كتاب إلى ابن أبي سرح فيه: إذا قدم عليك فلان وفلان فاضرب أعناقهم. فرجعوا فقالوا: هذا خاتمك على هذا الكتاب، أفهنا من التوبة؟! قال: ما كتبته ولا أمرت به، وحلف. قالوا: خاتمك عليه!! قال: خاتمي مع فلان - مروان أو حمران - قالوا: فإننا نتهكم فاخرج عن الولاية حتى نولي غيرك. قال: أما المال فولوه من شئتم، وأما الصلاة فما كنت لأخلع سربالا ألبسنيه الله. قالوا: لا يستقيم أن يكون رجل على الصلاة وأخر على المال، فحصره حتى قتلوه) تاريخ المدينة المنورة: ٤ / ١١٦١.

الجنة ونزلت انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرة من ألف شهر
تملكها بنو أمية فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص * هذا اسناد صحيح^(١).

- (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه كأن بني الحكم يتزورون
على منبره ويتزلون فأصبح كالمتهيض فقال ما لي رأيت بني الحكم يتزورون على منبري نزو
القردة قال فما رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات
صلى الله عليه وسلم. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير
وهو ثقة)^(٢).

- (وأخرج ابن جرير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنى فلان يتزورون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات
وأنزل الله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس * وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على
المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة يعنى الحكم وولده * وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت بنى أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم
أرباب سوء واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فأنزل الله وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك الا فتنة للناس * وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصبح وهو مهموم فقيل ما لك يا رسول الله فقال اني أريت في
المنام كان بنى أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فإنها دنيا تنالهم فأنزل
الله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس * وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه
والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنى أمية على المنابر فساءه ذلك فأوحى الله إليه انما هي دنيا أعطوها
فقرت عينه وهي قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس يعنى بلاء للناس * وأخرج

١- المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٧٠ - ١٧١.

٢- مجمع الزوائد، البيهقي: ٥ / ٢٤٣ - ٢٤٤ : مسند أبي يعلى: ١١ / ٣٤٨.

ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك وجدك انكم الشجرة الملعونة في القرآن^(١).

ولهذا، كان بنو أمية أبغض الأحياء إلى الرسول صلى الله عليه وآله:

(عن أبي برزة الأسلمي قال كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف)^(٢).

١- الدر المنثور، السيوطي: ٤ / ١٩١.

٢- المستدرک علی الصحیحین: ٤ / ٤٨٠ - ٤٨١. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ولا قيمة علمية تُذكر لمن يأتي بعد الحاكم النيسابوري بمئات السنين ويحاول الطعن بالحديث وتضعيفه لمجرد أنّ المضمون لا يعجب مزاجه وتعصّبه لبني أمية، و أقل ما يقال عن مثل هذا الطعن السفيفه أن يُصقق به وجه صاحبه!

(٢)

ثورة التّوابين

التّوابون: هم قوم من الشيعة ثاروا على الحكم الأموي سنة ٦٥ هـ للطلب بئثار الإمام الحسين بن علي عليه السلام والاقتصاص من قتله.

والاسم - كما يلوح منه - فيه تأنيب للضمير وتقريع للنفوس والاعتراف بعظم الذنب المرتكب بحق الإمام الحسين صلوات الله عليه.

الاستعداد للثورة والخروج للحرب:

دوافع الثورة:

الدافع الحقيقي الذي يقف وراء ثورة التّوابين التي قام بها شيعة الكوفة واضح من الاسم الذي اختاروه لأنفسهم، وهو الندم والسعي إلى التكفير عن التقصير والخذلان الذي صدر منهم تجاه الإمام الحسين عليه السلام حيث تركوه يُقتل مع أهل بيته وصحبه بجوارهم في عاشر محرم الحرام سنة ٦١ هـ ولم يحركوا ساكناً لنصرته بعد أن كاتبوه بالقدوم إليهم ووعدوه بالنصرة، فرأوا أنّ هذا "العار" و"الإثم" لا يُغسل إلا بقتل من قتله أو القتل في هذا السبيل.

لوم شيعة العراق (الكوفة تحديداً) لأنفسهم وندمهم على تقصيرهم وتصميمهم على الثورة بدأ بعد مقتل الإمام الحسين مباشرة، لكن سياسة يزيد الظالمة وتهوره الصبياني في التعامل مع الأحداث، وكذلك قسوة عمّاله على الناس وخصوصاً في الكوفة التي يحكمها الطاغية ابن زياد، فرضت عليهم التريث والصبر وانتظار لحظة وهن الأمويين وفتور فورتهم، وهو ما حصل فعلاً بعد هلاك يزيد - لعنه الله - وانصراف ابنه معاوية عن تولّي الخلافة ثم موته بعد أبيه بأيام قلائل؛ ما أدّى إلى نشوب صراع داخل البيت الأموي

والمقربين منه من شخصيات وقبائل، وقد استعرضنا شيئاً منه فيما سبق، فكان الوقت مؤاتياً لبدء الاستعداد للثورة على الحكم الأموي والثأر لدم الحسين المظلوم من قتلته والتكفير عن الذنب المرتكب بحقه^(١)!

هكذا كان يفكر بعض شخصيات الشيعة في الكوفة، يتصدّروهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي ومعه نفر كانوا يعدّون من رؤوس الشيعة وخيار أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهم: المسيب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي، وعبد الله بن وال التبيي، ورفاعة بن شداد البجلي.

اجتمع هؤلاء ومعهم أناس من الشيعة ووجههم في بيت سليمان وتباحثوا أمور الثورة، وولّوا أمرهم سليمان الذي قام خطيباً فيهم فقال: (... أما بعد فإني والله لخائف ألا يكون أحرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور وأولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير إننا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ونمنهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وادهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضاً لنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء

١- روى الطبري عن أبي مختف، في بدء تحرك التوابين، قال: (كان أول ما ابتدأوا به من أمرهم سنة ٦١ وهي السنة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتى مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤... وهلك يزيد وأمير العراق عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة فقالوا قد مات هذا الطاغية والأمر الآن ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقيم فقالوا في ذلك فأكثرنا فقال لهم سليمان بن صرد رويدا لا تعجلوا إني قد نظرت فيما تذكرون فرأيت أن قتلة الحسين هم أشرف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون وعلموا أنهم المطلوبون كانوا أشد عليكم ونظرت فيمن تبعني منكم فعملت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا في عدوهم وكانوا لهم جزراً ولكن بثوا دعواتكم في المصير فادعوا إلى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا وخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٢.

حتى يرضى الله والله ما أظنه رضىا دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل كونوا كأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبهم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فما فعل القوم جثوا على الركب والله ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجمهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه أشحذوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا^(١).

بعد هذا الاجتماع، باشر سليمان بن صرد بجمع التبرعات - بالخفاء - لإعداد الجيش وكلف عبد الله بن وال بذلك، وأيضاً: قام بمكاتبة مجموعة من رؤساء الشيعة في مناطق أخرى مثل: سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن، والمثنى بن خزيمة العبدي في البصرة، طالباً منهم النجدة والمدد، وكلاهما أجاب كتابه بالموافقة على الالتحاق به في الأجل المحدد^(٢). وكان سليمان قد حدّد غرة شهر ربيع الأول سنة ٦٥ هـ موعداً لاجتماع أصحابه في "النخيلة" والمسير إلى الشام^(٣).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٨؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٦٠ - ١٦١؛ ورويت خطبة سليمان بشكل مختصر، قال: (أما بعد، فقد ابتلينا بطول العمر، والتعرض للفتن، ونرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له: "أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير"، وقال علي عليه السلام: العمر الذي أنذر فيه ابن آدم ستون سنة، وليس فينا الا من قد بلغها، وكنا مغرمين بتزكية أنفسنا، ومدح شيعتنا، حتى بلى الله خيارنا، فوجدنا كذابين في نصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عذر دون أن نقتل قاتليه، فعسى ربنا أن يعفو عنا) ذوب النضار، ابن نما: ٧٥.

٢- أما شيعة المدائن، فبعد أن قرأ عليهم سعد بن حذيفة كتاب سليمان، قالوا له بأجمعهم: "نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم"، فكتب إلى سليمان: (أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الامر الذي عليه رأى الملا من إخوانك فقد هديت لحظك ويسرت لرشدك ونحن جادون مجدود معدون مسرجون لمجمون ننتظر الامر ونستمع الداعي فإذا جاء الصرخ أقبلنا ولم نخرج إن شاء الله والسلام).

وأما شيعة البصرة، فقد قرأ عليهم المثنى بن خزيمة كتاب سليمان فسروا بذلك، فكتب إلى سليمان: (أما بعد فقد قرأت كتابك وأقر أنه إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت والسلام عليك).

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٩ - ٤٣١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٦٨.

جاء في كتاب سليمان إلى شيعة المدائن والبصرة: (... إن أولياء من إخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعى فأجاب ودعا فلم يجب وأراد الرجعة فحبس وسأل الأمان فمنع وترك الناس فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجردوه ظلما وعدوا أنا وغرة بالله وجهلا وبعبير الله ما يعملون وإلى الله ما يرجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فلما نظروا إخوانكم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا أن قد خطئوا بخذلان الزكي الطيب وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيرا ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفتى على ذلك أرواحهم فقد جدوا إخوانكم فجدوا وأعدوا واستعدوا وقد ضربنا لإخواننا أجلا يو افوننا إليه وموطننا يلقوننا فيه فأما الاجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة... (١).

لا شك أنّ دافع أي ثورة يمكن معرفته من خلال كلمات القائد والأتباع، وبالرغم من أنّ "الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام وإرجاع الحق لهم" ورد ضمن كلام بعض أتباع سليمان في حديثهم معه أو عند حث الناس على الالتحاق بالثورة (٢)، وبهذا يمكن اعتباره دافعاً آخر للثورة، لكن كلام قائد الثورة "سليمان" – وكذلك كلام رجالات الخط الأول فيها – واضح في التأكيد على "القتل" كهدف وسبيل إلى التوبة وتكفير الذنب والتقصير، ولا شك أنه الدافع الذي ورد التأكيد عليه بشكل أكبر، ومغزى التشبيه بما جرى على بني إسرائيل مع نبيهم الوارد في كلام سليمان المتقدم واضح، علماً أنّ الاقتصار أو التأكيد على هذا الدافع لم يرتضه بعض رجالات الشيعة كالمختار الثقفي، كما سيتضح.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٩.

٢- انظر: رواية الطبري المتقدمة، إذ ورد فيها قولهم له: (فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٢.

وأيضاً: ورد في كلام أحد أتباعه (عبيد الله المري)، وهو يحث جماعة من الناس على الالتحاق بالثورة، قال: (... فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٣.

نظرة عامة على الكوفة:

ذكرنا سابقاً^(١) أنّ الكوفة حاضرة إسلامية كبيرة ومهمة، أنشئت بالأصل كمعسكر رئيسي تتجمع فيه قطعات الجيش الإسلامي في عصور الإسلام الأولى؛ نتيجة تمتعها ببيئة وظروف مؤاتية لأداء هكذا غرض مهم، ثم تو افدت عليها القبائل العربية واستوطنت فيها بعد أن كان الالتحاق بالجيش الإسلامي أمر ضروري ولا يكاد يخلو منه بيت؛ إما نتيجة ضغط الحكام والولاة أو كسبيل للرزق والعيش، وبمرور الوقت بلغ عدد سكان الكوفة مئات الألوف، وبالتأكيد كان لغير العرب حضور كبير فيها أيضاً.

من الناحية الدينية والسياسية، كان الناس في الكوفة – كأى مجتمع إنساني كبير وضخم – ينقسمون إلى فئات متنوعة وطوائف متعددة ومشارب مختلفة ومتناقضة، تماماً كما نلاحظه اليوم في أغلب المجتمعات التي يؤيد قسم منها أحزاب ذات توجهات دينية أو سياسية يمينية وقسم آخر يؤيد أحزاب ذات توجهات دينية أو سياسية يسارية، وقسم ثالث لا يعنيه هذا الأمر شيئاً بقدر ما يعنيه وضعه الشخصي والاقتصادي الخاص، ومثل هذا الانقسام كان موجوداً في الكوفة، فهي بالرغم من أنّ الطابع الإسلامي هو الغالب عليها لكن تجد في أهلها: المتدين وغير المتدين وبين بين، تجد المحب لآل محمد عليهم السلام والمبغض لهم والمحب لبني أمية والمبغض لهم وتجد من لا يعنيه هذا الأمر وكل همه العيش. وعموماً، كانت الكوفة مسرحاً لمختلف الثقافات والاتجاهات التي تليّ طموح أغلب السياسات.

من الطبيعي – والحال هذه – أن يتمكن أي حاكم مهما كان توجهه أن يحكم ويقوم ولايته في الكوفة؛ لأنه بالتأكيد سيجد من يعينوه ويقوم بهم حكمه. فالكوفة التي حكم فيها الإمام علي عليه السلام ما يزيد على أربع سنين، حكمها المغيرة والوليد وزيناد وابنه عبيد الله لعنهم الله سنين طويلة، وبعد الأمويين حكمها آل الزبير ثم تمكن المختار من حكمها سنة ونصف قبل أن يستعيدها منه مصعب بن الزبير (قاتل المختار)، وبعد مقتل

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول – بحث: "وضع الكوفة قبيل ثورة الإمام الحسين عليه السلام".

مصعب حكمها الحجاج الثقفي بأمر من عبد الملك بن مروان، وهكذا. وهذا يعني أنّ الكوفة ليست مدينة شيعية محضة.

وبخصوص وضع الكوفة العام أيام ثورة التوابين، فقد وثب أهلها على عمرو بن حريث المكلف من قبل ابن زياد بإدارة شؤونها في حال غيابه عنها، وأخرجوه من القصر وتراضوا مؤقتاً على عامر بن مسعود الجمحي الذي بايع لعبد الله بن الزبير، ثم أعقب ذلك مجيء والي الكوفة المنصب من قبل ابن الزبير وهو عبد الله بن يزيد الخطمي، وقد علم بحركة التوابين وحثه بعض المقربين منه على قتالهم خشية انفراط عقد الكوفة من آل الزبير، لكنه قرّر أن لا يعترضهم أو يقاثلهم طالما أنّ هدفهم هو الطلب بدم الحسين عليه السلام والمسير إلى قتال من قاتل الحسين في الشام^(١).

اختلاف وجهات النظر في صفوف المحبين:

بالعودة إلى موضوعنا، أعني: استعداد التوابين لثورتهم، أكيد أنّ سكان الكوفة كانوا يتداولون أخبار التوابين وعزمهم على الثورة والخروج لقتال قتلة الحسين عليه السلام، ومتهم المحبين لآل محمد الذين تعنهم قضية الحسين والطلب بدمه أكثر من غيرهم. وطبيعي أنّ موقف المجتمع الكوفي إزاء تحرك التوابين منقسم بين مؤيد بالفعل، وهؤلاء التحقوا بالثورة فعلاً وهم القلة. وبين مؤيد لهم قلباً أو قولاً لا فعلاً؛ لأسباب كثيرة كالخوف والتحجج بالعيال وسوء الحال ونحو ذلك. وبين رافض للفكرة من الأساس ويرى أنّ فيها مزيداً من إثارة الفتن وسفك الدم؛ خصوصاً بعد تزامنها مع الحراك السياسي الذي شهدته الكوفة وأدّى إلى إزاحة عمرو بن حريث ومجيء الوالي الزبيري الجديد. وبين من لا يعنيه الأمر شيئاً، وهم الفئة الأكثر عادة في أي مجتمع ومنه المجتمع الكوفي.

١- حيث قال: (إن قاتلوني قاتلتهم وإن تركوني لم أظلمهم وعلام يقاثلوني فوالله ما أنا قتلتي حسيناً ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه فان هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشرُوا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٤٣٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ١٦٣.

في أجواء كهذه، استمر سليمان بن صرد و أتباعه بالاستعداد والتهيؤ للثورة على مدى عام كامل تقريباً^(١)، ولم يزل يدعو شيعة ومحبي آل محمد عليهم السلام للالتحاق به، حتى اجتمع عنده كثير منهم، في قبال قسم آخر كانوا يميلون إلى المختار الذي وصل الكوفة في منتصف عام ٦٤ هـ قادماً من الحجاز بعد مفارقتة لابن الزبير، في خطوة مفاجئة لم يتمكن كثير من الباحثين عن تشخيص سببها الحقيقي بدقة سوى طرح تخمينات لا تصمد أمام النقاش الجدّي، وسيأتي بحث هذه المسألة لاحقاً:

(فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال ... ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة إني قد جنتكم من قبل المهدي محمد بن علي بن الحنفية مؤتمناً مأموناً منتجباً ووزيراً فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت إليه طائفة تعظمه وتجيبه وتنتظر أمره ومعظم الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون ما يريد هذا يعني سليمان بن صرد إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصبر بالحروب ولا له علم بها ...) (٢).

أقول: بصرف النظر الآن عن دقة الرواية التاريخية أعلاه، لكن المؤكد أنّ المختار وسليمان بن صرد هما رأسا الشيعة في الكوفة؛ سليمان بوصفه صحابياً فقيهاً والمختار بوصفه قائداً سياسياً وعسكرياً، وكما يوجد توافق بينهما في بعض الأمور يوجد أيضاً اختلاف بينهما حيال أمور أخرى، فمثلاً: كلاهما كان عازماً على الطلب بدم الحسين عليه السلام والقصاص من قتلته، لكن الاختلاف كان في التوقيت وإعداد العدة وما شابه، إذ لم تكن رؤيتهما واحدة تجاه هذه التفاصيل.

١- حيث بدأوا بالاستعداد الفعلي للثورة بعد هلاك يزيد وموت ابنه معاوية في ربيع الأول والثاني سنة ٦٤ هـ حتى مطلع ربيع الأول سنة ٦٥ هـ: الوقت الذي حدده سليمان بن صرد موعداً لتجمع جيشه في النخيلة كما عرفنا.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٣٣ - ٤٣٤: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٦/ ٢٩.

وأيضاً: كون المختار قضى فترة في الحجاز بعد خروجه من سجن ابن زياد في الكوفة أمر ثابت ومعروف، لكن المصادر التاريخية لم تنقل كل الحقيقة بل ركزت على أحداث بعينها مثل مسألة بيعته لابن الزبير بشروط ومفارقتة له بسبب عدم الوفاء بها (بحسبهم طبعاً)، بينما الصحيح أنّ المختار ذهب إلى الحجاز يبحث عن مراده ورجع إلى الكوفة بعد أن ظفربه، وسنعرف مراده في البحوث القادمة.

وعموماً، لم يشترك المختار مع التوابين في ثورتهم وحركتهم؛ وكان تقييمه لحركة سليمان يرتكز على أمرين:

الأول: خروج التوابين - وفق المعطيات التي خرجوا بها - شبيه بالانتحار ولا يحق نصرّاً بنظر المختار، وكأنهم يريدون القتل والخلاص من حالة تأنيب الضمير الذي كان يعيشه الكثير منهم جرّاء خذلانهم للحسين صلوات الله عليه، وقد أوضح المختار نظرتة هذه بقوله الذي يصف فيه سليمان: "إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم!"

الثاني: لا شك أنّ الحرب تتطلب حنكة وصفات استثنائية تتوافر في شخصية القائد طبعاً وكسباً، تمكّنه من إدارة الحرب ومعالجة شؤونها بحكمة لتحقيق بعد ذلك أهدافها المرجوة، وسليمان - بنظر المختار - ليست لديه مثل تلك الدراية والفتنة، قال: "ليس له بصير بالحروب ولا له علم بها!"

والسؤال: هل موقف سليمان بإقدامه على الخروج بالطريقة التي خرج بها هو الأصح، أم موقف المختار الذي كان يرى التآني قليلاً ريثما تتهياً العدة والعدد المناسبين وتنضج الظروف أكثر؟

لا شك أنّ الشيء القطعي الذي يمكننا قوله حيال تقييم موقف (سليمان والمختار)، هو: إنّ وحدة الصف - لو كانت متحققة - فإنّ النتائج ستكون أكبر حتماً. وأيضاً: بحسب النتائج المتحققة على الأرض كانت ثورة المختار - ولا شك - محققة لهدفها بامتياز؛ إذ تمكّن من قتل قتلة الحسين عليه السلام؛ الأمر الذي لم تتمكن ثورة التوابين من تحقيقه.

فتحصل بما مر: أنّ موقف شيعة ومحيي آل محمد عليهم السلام لم يكن موحداً، وليس المختار وحده اختار عدم الاشتراك والخروج مع سليمان، وإنما شيعة المدائن

والبصرة أيضاً لم يشتركوا ولم يحضروا في عسكر سليمان بالنخيلة في الموعد المحدد بالرغم من أنه كاتب كبارهم ووعدوه بالنصرة كما لاحظنا. وبالتأكيد كان لكل واحد من الشخصيات التي لم تشترك أتباع ومريدون؛ لا سيما وأن غالبيتهم – كحال الناس عموماً في ذلك الوقت – متطبعون بطابع قبلي وما يفرضه عليهم من عادات وأعراف تحتم عليهم الائتمار بأمر شيخ القبيلة وكبيرها؛ أيّاً كان الموقف المتخذ من قبله، وهذه المعطيات بمجموعها أدت بالنتيجة إلى الفرقة وتشتت الكلمة إبان ثورة التوابين.

الخروج للحرب وتخلّف أكثر المحبين:

في مطلع ربيع الأول سنة ٦٥ هـ، خرج سليمان بن صرد ومن معه من الكوفة إلى "النخيلة"؛ الموضوع الذي حدّده لاجتماع أنصاره وأتباعه، ولما نظر إلى عسكره استقله ولم يرضه العدد، فبعث بعض أصحابه إلى الكوفة بخيل لينادوا في طرقاتها وفي مسجدها الأعظم بالناس: "يا لثارات الحسين"؛ بغية تحشيد وجمع أكبر قدر ممكن من الأنصار. وفعلاً، أتت هذه العملية التي استمرت إلى الليل بنتيجة وازداد معسكر سليمان إلى الضعف وبلغ أربعة آلاف مقاتل، وهي – بلا شك – نسبة ضئيلة جداً من عموم سكان الكوفة آنذاك، بل حتى بين محبي آل محمد عليهم السلام، ولهذا لما دعا سليمان بديوان جنده لينظر فيه فوجده يحصي ستة عشر ألف مقاتل، قال: "سبحان الله ما و افانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفاً"^(١).

بعض المؤرخين يعزو سبب القلة إلى إجماع المختار عن المشاركة وتثبيطه الناس عن الخروج مع سليمان!

أقول: لا شك أنّ موقف وكلام شخصية لها وزنها في الواقع الشيعي الكوفي كالمختار سيترك أثره، بصرف النظر عن حجم ذلك التأثير، لكن ليس من الصحيح قصر السبب عليه فقط، فعلى المستوى الفردي لم يكن المختار الشخصية البارزة الوحيدة التي لم تشترك في ثورة التوابين، وإنما هناك شخصيات بارزة أخرى لم تشترك أيضاً، مثل: كميل بن زياد وصعصعة بن صوحان وسليم بن قيس وإبراهيم بن مالك الأشتر وغيرهم. وعلى

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥١ - ٤٥٢؛ ذوب النضار، ابن نما: ٨٢ - ٨٤.

المستوى الجمعي، فإنّ شيعة البصرة والمدائن - وهم عدد كبير، وكان سليمان يعول عليهم كثيراً - لم يشتركوا ولم يحضروا في الموعد المحدد، وقد لامهم بعض أصحاب سليمان، لكن سليمان اعتذر لهم بعدم النفقة وسوء العدة، قال: "فإني لا أراهم إلا سيسرعون إليكم لو قد انتهى إليهم خبركم وحين مسيركم ولا أراهم خلفهم ولا أقعدهم إلا قلة النفقة وسوء العدة"^(١)! علماً، أنّ توقع سليمان لحوقهم به أثناء المسير لم يكن في محله؛ لأنهم لم يتحركوا إلا بعد انتهاء المعركة، ولما بلغهم نبأ انكسار جيش التوابين عادوا لبلداتهم.

السبب الحقيقي في قلة عدد جيش التوابين يُعزى حقيقة إلى ضعف الجهد المبذول من قبل قيادة الثورة لتجميع أكبر قدر ممكن من الشيعة والمحبين، وسبب آخر: أنّ الناس عموماً يميلون إلى طلب الراحة والدعة والسلامة في الدنيا، وقضية الوقوف ضد الباطل والثورة بوجه الظالم عادة ما يكون لها ضريبة تصل إلى حدّ التضحية بالنفس والمال، وهو ما لا ترغب به نفوس معظم الناس بما فهم كثير ممّن يدعون محبة آل محمد وأولياء الله عموماً من أنبياء ومرسلين. لا سيما ونحن نتحدث عن مسلمين غاليبتهم يعدّون الجيل الثاني في الإسلام بعد جيل الصحابة، أي أنّ إيمانهم لم يكن بمستوى من الرسوخ والثبات الذي يؤهلهم للإقدام والتضحية من أجل المبدأ الحق، وقد عانى المعصوم (كلّ في زمانه ووقته) من مثل هؤلاء كثيراً، بل حتى التوابين أنفسهم لم يكن جميعهم بمستوى إيماني واحد، فقسم منهم كان عال الإقدام في قبيل من كان متردداً؛ يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، وبالتأكيد كان هناك وسطاً بين القسمين، وسنلاحظ بعد قليل انسحاب قسم منهم أثناء مسيرهم إلى كربلاء بل حتى أثناء المعركة. وعموماً، هذا هو حال أغلب الناس في دنيا الامتحان في مسألة التعاطي مع الأحداث والمتغيرات.

وعموماً، فقد انتظر سليمان في "النخيلة" ثلاثة أيام رجاء زيادة عدد جيشه، ثم قام له المسيب بن نجبة فقال: (يرحمك الله إنّه لا ينفعك المكره، ولا يقاتل معك إلّا من أخرجته النيّة والحسبة، ومن فرّ إلى ربّه من ذنبه، فقال سليمان: أيّها الناس إنّنا والله ما نطلب من الغنيمة إلّا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضّة ولا خز ولا حرير، وما هي إلّا سيوفنا

على عواتقنا، ورماحنا بأيدينا وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا، فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا، فنأدى الناس من كل جانب: إننا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجنا) (١).

وبدأوا بالتحرك والمسير نحو الشام.

لماذا الشام؟

بخصوص الوجهة التي كانت قيادة الثورة حدّدتها وعزمت على المسير إليها في الشام، والسبب في ذلك: إنّ مروان بن الحكم – لعنه الله – خلال فترة ولايته القصيرة، بعد أن استتب له الوضع في الشام، عزم على إرسال جيشين؛ الأول: إلى الحجاز للقضاء على حركة ابن الزبير، والثاني: إلى العراق بقيادة عبيد الله بن زياد للسيطرة على الوضع واستعادة الكوفة من آل الزبير الذين أحكموا قبضتهم عليها أيضاً (٢).

سليمان وصحبه كانوا يعلمون ذلك، وبالتأكيد يعلم به والي ابن الزبير في الكوفة، بل والناس عموماً؛ لأن هكذا أمور لا يمكن إخفاؤها عنهم ويتم تداولها بينهم حتماً، وربما هو أحد أسباب ضعف استجابة الناس والتحاقهم بجهة التوابين بعد أن كانت ذاكرتهم مليئة بخزائن هائل من ظلم ابن زياد وقسوته.

أما ما يترأى في النصوص التاريخية – لأول وهلة – من وجود نقاش بين قادة الثورة في معسكر "النخيلة" في مسألة البدء بالكوفة وقاتل قتلة الحسين فيها أو البدء بالشام وقاتل جيش ابن زياد الذي بدء السير فعلاً باتجاه العراق، فالأمر في الحقيقة ليس تردداً في حسم وجهة المسير بقدر ما هو إشارة إلى أنّ قتلة الحسين هم بالأساس جهتين؛ جهة أولى وأساسية وهي جيش الشام وابن زياد، وجهة ثانوية تابعة لها وهي الأقلية التي خرجت

١- أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٦٩: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٣.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٩٠.

من الكوفة وساندت الجيش الأموي في قتل الحسين عليه السلام، وهذا هو الواقع الصحيح الذي اتهمنا إليه سابقاً^(١).

وإليه أشار السيد أحمد الحسن بقوله:

(الجيش الذي قاتل الحسين عليه السلام عدد كبير جداً، وكان أغلبه من خارج الكوفة، وعدد كبير منهم من الشام. نعم، هناك عدة ألوف من الكوفة. فالكوفة معسكر لجمع وتدريب الجيش في ذلك الوقت، وكان فيها جيش من خارج الكوفة والتحق بهم عدد كبير من الشاميين. لا شك أنّ يزيد الذي عرف بثورة الحسين وأرسل ابن زياد إلى الكوفة، فإنه سيمده بجيش مخلص لمعاوية ويزيد حتى يتمكن من السيطرة على الكوفة والعراق عموماً، وكانت واحدة من الأمور التي استعملت لتفريق الناس عن مسلم بن عقيل - كما هو معروف تاريخياً - هو تهديد أهل الكوفة وعشائرها بجيش الشام القادم، لماذا يهددونهم؟ يهددونهم لأنه فعلاً هناك جيش شامي كبير قادم، والناس كانت تمر بطريق الشام وتنقل الأخبار لأهل الكوفة. أما الآلاف التي أرسلها ابن زياد مع ابن سعد والحصين وشبث وغيرهم إلى كربلاء لحرب الحسين عليه السلام فليس جميعهم من أهل الكوفة. نعم، أهل الكوفة كانوا من ضمن الجيش)^(٢).

وقال أيضاً: (هناك جيش شامي ومن بلاد أخرى وكانوا هم الغالبية، وأما الكوفيون فكانوا أقلية. نعم، لا إشكال أن يكون بعض الكوفيين في المقدمة ولهذا كان يخاطبهم الحسين عليه السلام وأصحابه وينكرون أسماءهم، لكن الإشكال في ادعاء أنّ الجيش أو غالبية الكوفة، والصحيح أنّ غالبية الجيش من خارج الكوفة انتهى)^(٣).

وكمثال للنصوص التاريخية التي ناقش فيها قادة الثورة وجهة مسيرهم: قول عبد الله بن سعد بن نفييل الذي ذكر فيه المسير إلى الشام لقتال عبيد الله بن زياد، فعقب سليمان

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الأول - بحث: "عدد الجيش وهويته".

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

ومن كان معه بالقول: "الرأي ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفييل أن نسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ومن قبله أئتنا!"

ثم أضاف ابن نفييل رأياً آخر، فقال: "إني قد رأيت رأياً إن يكن صواباً فالله وفق وإن يكن ليس بصواب فمن قبلي فإني ما ألوكم ونفسي نصحاً خطأ كان أم صواباً إنما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشرف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الأقتال والأوتار، فقال سليمان بن صرد: فماذا ترون فقالوا والله لقد جاء برأي وإن ما ذكر لكم ذكر والله ما نلقى من قتلة الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غير ابن زياد وما طلبتنا إلا ههنا بالمصر" أي الكوفة!

فقال سليمان: "لكن أنا ما أرى ذلك لكم إن الذي قتل صاحبكم وعبي الجنود إليه وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضى فيه حكيم هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا إلى عدوكم على اسم الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية فتنتظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحليين وما عند الله خير للأبرار والصدّيقين إني لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحليين القاسطين والله لو قاتلتم غداً أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه أو رجلاً لم يكن يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا فتهياً الناس للشخص" (١).

الاقتراح الثاني الذي طرحه ابن نفييل يشير إلى الجبهة الثانية التي شاركت بقتل الحسين، أما مسألة المسير إلى الشام والبدء بقتال ابن زياد وجيشه فهو أمر محسوم بالنسبة لهم. وبالتالي، فلا ملامة على قيادة الثورة من هذه الناحية.

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٣ - ٤٥٤؛ ذوب النضار، ابن نما: ٨٤.

من جهته، نفى السيد أحمد الحسن أن تكون جهة المسير لدى قيادة ثورة التوابين مهمة، بل كانت قيادة الثورة مصممة على الذهاب إلى الشام لقتال ابن زياد وجيشه؛ لأنهم الطرف الأساسي في قتل الحسين عليه السلام، قال:

(علم أهل العراق بخروج الجيش الأموي لمهاجمة الكوفة، لهذا كان خروج سليمان وجيشه لملاقاة الجيش الأموي الذي قاده ابن زياد، ولم يكن خروج شيعة الكوفة بقيادة سليمان بن صرد صدفة. هم - أي التوابون - كانوا يعتبرون الجيش الأموي هو المتهم الأول بمباشرة قتل الحسين عليه السلام، والمتهم الثاني هو ابن سعد وبعض من اشترك معه من قبائل الكوفة، وهذا هو الحق. لهذا كان ترددهم بين البدء بقتلة الحسين في الكوفة وهم قلة أم الذهاب إلى قتال قتلة الحسين من جيش الشام وهم الأساس والأكثرية ممن اتخذوا عداء آل محمد وسبهم ديناً لهم) انتهى^(١).

والي الكوفة يحاول تجبير الثورة لصالح آل الزبير:

معلوم أنّ العداوة بين بني أمية وآل الزبير كانت لأجل الحكم والدنيا، وهو أمر واضح تاريخياً وتقدمت الإشارة إلى بعض الأحداث التي تؤكد ذلك.

ومما يؤكد ذلك أيضاً: أنّ والي ابن الزبير في الكوفة (عبد الله بن يزيد الخطمي) لما علم بمسير ابن زياد بجيشه إلى العراق، حاول استغلال حماسة التوابين والاستفادة من جمعهم لضمهم إلى صفوفه لمحاربة بني أمية، والهدف - كما هو واضح - تقوية سلطان ابن الزبير وليس حباً بالحسين ولا القصاص من قتلته، وإلا فهو - أي الوالي الزبيري - كان يأوي بعض قتلة الحسين عنده في القصور وعلى رأسهم اللعين عمر بن سعد الذي هجر بيته وسكن قصر الإمارة خلال فترة عسكرة التوابين بالنخيلة؛ خوفاً من أن يقتحموا عليه داره ويقتلوه^(٢)!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٤.

وعموماً، قرّر عبد الله بن يزيد الذهاب إلى "النخيلة" بمعية رفيقه إبراهيم بن محمد بن طلحة "مسؤول الخراج" ومعهما جمع من الشرطة ووجهاء الكوفة، وكان حريصاً على عدم اصطحاب أي شخص معروف عنه اشتراكه بقتل الحسين عليه السلام؛ لئلا يثير حفيظة التوابين، فوصلوا إلى معسكرهم والتقوا بسليمان وصحبه وعرضوا عليهم أن يضع سليمان وصحبه أيديهم بيد الوالي وينضمّوا إلى جيشه، ويتم قتال الأمويين بجيش واحد كبير، وأيضاً: كمحاولة لاستمالتهم، عرضوا على سليمان خراج بعض المناطق له ولأصحابه خاصة دون بقية الناس. علماً، أنّ الوالي وصاحبه فعلاً ذلك؛ لأنه بلغهما نبأ مسير عبيد الله بن زياد - لعنه الله - بجيش نحو العراق كما قلت. لكن سليمان وأصحابه لم يستجيبوا لعرض الوالي الزبيري وقرّروا المسير إلى الشام وملاقاة ابن زياد؛ لأنهم بالأساس كانوا يرون القتال تحت راية ابن الزبير ضلالاً وانحرافاً عن الحق^(١).

علماً، أنّ محاولة الوالي هذه لم تكن الوحيدة، فبعد مسير التوابين نحو الشام وبلوغهم الأنبار، بعث لهم كتاباً دعاهم فيه إلى الرجوع؛ لقلّة عددهم. وواضح من صيغة الكتاب أنّه كان يخشى على ذهاب الكوفة من آل الزبير؛ حيث صرّح لهم بأنهم أعلام المصر وأنّ قتلهم يُجرئ أهل الشام على من وراءهم، وطلب منهم - مرة أخرى - أن يجتمعوا معه على قتال الأمويين. لكن سليمان وصحبه رفضوا العرض أيضاً؛ لنفس السبب المتقدم، وقد ورد هذا في كلام سليمان إذ قال لأصحابه: "إنّا وهؤلاء مختلفون إنّ هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً وإنّا إن نحن ظهروا ردّدنا هذا الأمر إلى أهله وإن أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا إنّ لنا شكلاً وإن لابن الزبير شكلاً"^(٢).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٥؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٦٩.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٩.

زيارة قبر الحسين (ع) والانطلاق نحو الشام:

تحرك سليمان بجيشه من "النخيلة" في الخامس من ربيع الأول سنة ٦٥ هـ، وأول ما ابتدأوا به في مسيرهم هو المرور بكربلاء لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام وتجديد العهد به.

أثناء المسير إلى كربلاء، تخلف جمع كثير (بلغوا الألف شخص) من جيش سليمان، وبالتأكيد فإن أحد أسباب ذلك هو الخوف نتيجة قلة العدد؛ خصوصاً بعد عدم التحاق شيعة البصرة والمدائن بهم، ولما بلغ سليمان نبأهم، قال: "ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً إن الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم وخصم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم" (١).

ولما انتهى انتهوا إلى قبر الحسين عليه السلام صاحوا صيحة واحدة وبكوا بكاء مرّاً وتمنّوا أنهم كانوا أصيبوا معه، وباتوا يومهم وليلتهم يصلون ويستغفرون، ومما قالوه (٢):

- اللهم ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتلهم وأولياء محبهم).
- (يا رب أنا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت الثواب الرحيم وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفره لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

وفي تلك الحال، أنشد عبد الله بن زمعة أبيات لعبيد الله بن الحر:

تبیت النشاوی من أمیة نوماً وبالطف قتلی ما ینام حمیمها
وما ضیع الاسلام إلا قبيلة تأمر نوكاها ودام نعیمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم إذا أعوجَّ منها جانب لا یقیمها

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦/ ٣٦٩.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦/ ٣٧٠.

فأقسمتُ لا تنفك نفسي حزينه وعيني تبكي لا يجف سجومها
حياتي أو تلقى أمية خزبة يذل لها حتى الممات قرمها^(١)

ثم ودّع سليمان قبر الحسين عليه السلام، وقال: (الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده)^(٢).

أقول: صحيح أنّ اللحوق بالحسين صلوات الله عليه والشهادة معه تحتاج إلى توفيق إلهي عظيم، لكن الله سبحانه - بمقتضى رحمته وحكمته وعدالته - فتح الباب للجميع على حدٍ سواء لنيل ذلك المقام الرفيع، المقام الذي يتطلب - بطبيعة الحال - مستوى عالٍ من الإخلاص والشجاعة التي تؤهل صاحبها لنيل درجة اللحوق بالحسين، فالله سبحانه ينزل توفيقه على العبد بمقدار الإخلاص الصاعد منه إليه، فهو سبحانه لم يوفق أحداً ويحرم آخر جزافاً؛ وحاشاه سبحانه، وإنما كان التوفيق - وكذا عدم التوفيق - باستحقاق، وبالتالي فالملام في عدم نيل اللحوق بالحسين هو الإنسان نفسه نتيجة تقصيره وعدم توفّر مستوى من الإخلاص والشجاعة لديه، وبالنتيجة فهو من حرم نفسه اللحوق بالحسين وليس الله تعالى.

وعلى أي حال، أتمّ التوابون مسيرهم حتى بلغوا مشارف قرقيسيا، وكان فيها زفر بن الحارث الكلابي وقومه متحصنين؛ لأنه كان يترقب هجوم الجيش الأموي على المدينة نتيجة موقفه من بني أمية وبيعته لابن الزبير بعد هلاك يزيد بن معاوية، فعرض على سليمان وصحبه أن يفتح لهم المدينة ويتحصّنوا معهم فيها، أو أن يعسكروا على بابها ويعسكر هو وقومه إلى جانبهم ويكونوا يداً واحدة عند قدوم العدو، فرفض سليمان الاقتراح محتجاً بأنّ مثل هذا الأمر قد عرضه قومه عليه وعلى صحبه ولم يقبلوه، ولما رأهم عازمين على المسير زوّدهم بالطعام والمياه والأعلاف وودّعهم وأبلغهم بمسير الجيش الأموي من الرقة وكثرة عدده وعدّته ونصحهم بالإسراع في المسير وبلوغ "عين الوردة" قبل وصول الجيش الأموي لها، ونتيجة علمه بأساليب الحرب المتبعة في ذلك الزمان نصّحهم

١- انظر: ذرّب النضار، ابن نما: ٨٤ - ٨٥. نوکاها: أحمقها، سجومها: سيلانها، قرمها: سيدها.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٦.

ببعض الأمور التي ينبغي عليهم فعلها ليتمكنوا من الصمود ومواجهة العدو، وأوضح لهم كيفية معالجة بعض الثغرات والنواقص التي كانوا عليها (١).

وفعلاً، جدّ التوّابون في مسيرهم وطوّوا المنازل مسرعين حتى وصلوا إلى عين الوردة وعسكروا في موضع فيها قبل وصول جيش الشام بخمسة أيام.

معركة عين الوردة:

تعبئة سليمان لصحبه ووصاياه:

- المكان: الشام / عين الوردة
- الزمان: جمادي الأولى سنة ٦٥ هـ

لما بلغ سليمان نبأ اقتراب الجيش الأموي من "عين الوردة"، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر جملة من آلائه، ثم قال: (أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير إليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ولقاء الله معذرين فقد جاءوكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيزهم فإذا لقيتموهم فأصدقوهم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا يوليئهم امرؤ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم (٢) إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد ابن نفيل فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال فإن قتل عبد الله ابن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد رحم الله امرء صدق ما عاهد الله عليه) (٣).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٩ - ٤٦٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٣٧٠.

٢- أي: من المسلمين.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٦٢؛ وانظر: ذوب النضار، ابن نما: ٨٦.

ثم بعث سليمان المسيب بن نجبة بأربعمائة مقاتل وأمره بملاقاة أول عسكر الشام والغارة عليهم إن وجد سبيلاً لذلك، فذهبوا وتمكّنوا من مباغته أول كتيبة متقدمة تابعة لعسكر ابن ذي الكلاع والإغارة عليهم، فقتلوا جمعاً منهم وجرحوا آخرين وفرّ قسم منهم من المعسكر، فألحقوا بهم الهزيمة وغنموا منهم وعادوا إلى سليمان^(١).

التقاء الطرفين بعين الوردة ومقتل قادة الثورة:

علم عبید الله بن زياد بالغارة التي تعرّض لها عسكر ابن ذي الكلاع، فهياً اثنا عشر ألفاً من جنده - وقيل: عشرين ألفاً - بقيادة الحصين بن نمير وبعثهم لملاقاة جيش التوابين، فالتقى الطرفان في "عين الوردة".

عباً سليمان بن صرد أصحابه وكان عددهم ثلاث آلاف ومائة مقاتل^(٢)، فجعل عبد الله بن سعد بن نفيّل على الميمنة، والمسيب بن نجبة على الميسرة ووقف هو في القلب، وأقبل ابن نمير - لعنه الله - بالألوف التي كانت معه يزحف نحو التوابين، فعرض أهل الشام على التوابين الدخول في طاعة أميرهم الفاسق عبد الملك بن مروان^(٣)، وعرض التوابون على أهل الشام تسليمهم عبید الله بن زياد وخلع بيعة عبد الملك بن مروان مقابل طرد آل الزبير من العراق وإرجاع الأمر لآل محمد عليهم السلام^(٤)، فرفض كل طرف ما عرضه عليه الآخر، واندلعت المعركة إلى الليل وكان الظفر في يومها الأول لصالح سليمان وجنده الذين تمكّنوا من إرجاع خطوط الشاميين الأولى إلى معسكرهم!

استمر القتال يومين آخرين وكثر القتل والجرح من الطرفين، وكان النقص يبين في جهة التوابين لقلّة عددهم، وفي ظهريوم الجمعة (ثالث أيام المعركة) حاصر أهل الشام

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٣ - ٢٦٤؛ ذوب النضار، ابن نما: ٨٦ - ٨٧، وفيه: أن عدد أصحاب غارة ابن نجبة كان أربعة آلاف، وأعتقد أنّ رواية الطبري (٤٠٠ مقاتل) أدق؛ لأن جيش التوابين كله أقل من أربعة آلاف، ونفسه ابن نما صرح بأنّ عددهم ٣١٠٠ فقط.

٢- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٨٧.

٣- تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد هلاك أبيه مروان الذي لم تدم خلافته سوى تسعة أشهر.

٤- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٨٨.

التوايين من كل جانب، ونظر سليمان بن صرد ما حلَّ بأصحابه فنزل من فرسه ونادى بمن بقي منهم:

(عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فإلى ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتد مصلته بالسيوف وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميمهم بالنبل واكتنفهم الخيل والرجال فقتل سليمان بن صرد رحمه الله رماه يزيد ابن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ثم أخذ الراية فشد بها فقاتل ساعة ثم رجع ثم شد بها فقاتل ثم رجع ففعل ذلك مرارا يشد ثم يرجع ثم قتل رحمه الله) (١).

وبعد مقتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفييل وقال: "رحم الله أخوي منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" يعني: سليمان والمسيب. وفي هذه الأثناء، وصل إليهم بضعة فرسان بعثهم سعد بن حذيفة بن اليمان، وقالوا: (أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة فقال عبد الله بن سعد بن نفييل: ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء قال: فنظروا إلينا فلما رأوا مصارع إخوانهم وما بنا من الجراح بكى القوم وقالوا وقد بلغ منكم ما نرى إنا لله وإنا إليه راجعون قال: فنظروا والله إلى ما ساء أعينهم فقال لهم عبد الله بن نفييل: إنا لهذا خرجنا) (٢).

ثم قاتل عبد الله بن سعد بن نفييل بمن معه أهل الشام ساعة قتالاً شديداً حتى قُتل رحمه الله، وحمل الراية بعده عبد الله بن وال وقال لمن بقي معه: (من أراد الحياة التي

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٦٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٨٢ - ١٨٣.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٦٦. وبحسب رواية ابن نما الحلي: فإنَّ النجدة كانت مدداً وصلهم من البصرة والمدائن وقوي به عزمهم وكثر عددهم فاستمر القتال واشتد، انظر: ذوب النضار: ٩٠.

ليس بعدها موت والراحة التي ليس بعدها نصب والسرور الذي ليس بعده حزن فليقترب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواح إلى الجنة رحمكم الله^(١)، فقاتل حتى قُتل رحمه الله.

ثم إن القلة التي بقيت من التوايين انقسموا على رأيين، قسم يرى الاستمرار بالقتال حتى يردوا مورد أصحابهم الذين مضوا إلى الله وكانوا يعتبرون الانسحاب رجوع إلى الدنيا وعودة إلى خطاياها، وهؤلاء قاتلوا حتى قتلوا، وقسم يرى الانسحاب من أرض المعركة؛ لعدم جدوى القتال نتيجة قلة من بقي وكثرة العدو. هذا، ولم يكن بقي من قيادات الصف الأول غير رفاعه بن شداد، فنظر إلى من بقي من صحبه وما حلَّ بهم من الجراح فقرر الانسحاب بهم ليلاً من أرض المعركة^(٢).

وفي صباح اليوم التالي، بعث الحصين بن نمير من يستطلع له وضع الجبهة فلم يجد في عسكر التوايين أحداً، وهكذا انتهت معركة عين الوردة بمقتل سليمان بن صرد وصحبه رحمهم الله، ولم يسلم من قيادات الصف الأول للثورة سوى رفاعه بن شداد الذي عاد بمن نجي إلى الكوفة.

وفي طريق العودة، استقبله سعد بن حذيفة بن اليمان والمثنى بن خزيمة العبدي ومن كان معهما من شيعة المدائن والبصرة؛ إذ كانوا قد بلغوا "هيت" في مسيرهم لنجدتهم، فواسوا رفاعه وصحبه بالبكاء والنعي على قتلاهم، ثم تفرق كل قوم إلى مدينتهم.

بالنسبة إلى رفاعه بن شداد ومن معه، فقد عادوا إلى الكوفة فوجدوا المختار الثقفي محبوساً في سجن والي آل الزبير، فكتب المختار وهو في السجن كتاباً وبعث به إلى رفاعه جاء فيه: (أما بعد فمرحباً بالعصب الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنا ما خطا خاطٍ منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتمم من

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٦٧.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٦٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٨٥؛ ذوب النضار، ابن نما: ٩١.

أعداء الدين والمقيد من الأوتار فأعدّوا واستعدوا وأبشروا واستبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحليين والسلام^(١).

ثورة التوابين؛ نتائج ودروس:

نتائج الثورة:

صحيح أنّ ثورة التوابين انتهت بمجزرة راح ضحيتها قادة الثورة والكثير من الأتباع رحمهم الله ولم تتمكّن من الاقتصاص من قتلة الحسين الشهيد عليه السلام، لكنها كردة فعل مباشرة على مقتل الإمام الحسين عليه السلام استطاعت أن تحقق جملة من الأهداف:

١ - كسر حالة الجمود والخنوع للباطل والحكم الأموي المنحرف الجائر، وهذا بحد ذاته كان أمراً ينشده الإمام الحسين صلوات الله عليه ويهدف إلى زرعته في النفوس التي كانت تعيش حالة الموت السريري والاستسلام لواقع منحرف ومزري على المستويين الديني والإنساني كما تقدم بيانه سابقاً عند استعراض حال المسلمين قبيل قيام الإمام الحسين بثورته. حالة الخنوع والخضوع للباطل لم تعد هي السائدة في المجتمع الإسلامي بعد يوم عاشوراء، ولله دركّ يا حسين!

٢ - كان مقدراً لدم الحسين المسفوك ظلماً أن يكون مشعلاً يثير درب الثائرين على الباطل على طول المسير، فالقائمون على مشروع إبليس (حاكمية الناس) - الذي يقف بالضد من حاكمية الله (خط الأنبياء والرسل) - وهم بنو أمية في زمانهم كانوا يمتنون النفس بالملك الدائم المستمر والمستقر بعد أن عمدوا إلى تغييب الحسين - جسداً - في

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٧١. الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٨٥ - ١٨٦؛ ورواه ابن نما بمضمون أكثر اختصاراً، انظر: ذوب النضار: ٩٢.

ثرى كربلاء، لكن فاتهم أنّ نجوم سماء الظهيرة أقرب لهم من بلوغ هذا التميّ الشيطاني، فلا قرار ولا ثبات لمشروع إبليس وبني أمية بعد يوم الحسين^(١)!

عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي عليهما السلام فنزع الله ملكهم، ..." ^(٢).

وثورة التوايين – على الرغم من أنها لم تقضي على قتلة الحسين – لكن يكفينا أنها كانت الثورة الأولى بعد مقتل الحسين عليه السلام التي رفعت اسمه ومظلوميته مبدأً وشعاراً وثاراً، وهو فعل يسهم بدوام ذكر الحسين بدون أدنى شك، ودوام ذكره أمر مطلوب ويقع في صميم دين الله؛ لأنّ دوام ذكر الحسين يعني بالضرورة دوام واستمرار حاكمية الله بالحياة والاتقاد، ولهذا يهاب الطغاة – كل الطغاة – ذكر الحسين، بأبي هو وأمي!

لا شك أنّ التوايين قصروا مع إمامهم المظلوم وخذلوه، وأنّ خسارة عدم اللجوء به لا تعوّض، لكن أن يعترف المقصّر بالخطأ ويسعى للتكفير عنه ويساهم بتخليد ذكر إمامه الشهيد من خلال الثورة على قاتله الظالم، بالتأكيد أنه أفضل من أن يكتفي باللوم وندب الحظ دون أن يحرك ساكناً أو يفعل شيئاً، فهو مهما فعل لا يستطيع أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ويصحح موقفه الخاطئ، وبالتالي عليه أن يتدارك ما أمكن فالشيء في

١- لا قرار لمشروع إبليس وبني أمية بعد يوم الحسين حتى وإن قُدر لبعض ملوكهم الحكم حفنة أيام زائلة في دنيا الامتحان، بقي فيها الحسين يطاردهم في يقظتهم ومنامهم إلى أن انتهوا إلى المأل الحتمي الذي كان ينتظرهم: مزيلة الدنيا، وعذاب الآخرة! فقد أكد الواقع أنّ الثورات التي أعقبت مقتل الحسين لم تهدأ إلا باقتلاع مروان الحمار آخر ملوك الأمويين وزوال حكم بني أمية من أساسه.

ولا قرار لمشروع إبليس وبني أمية (ومن على شاكلتهم) بعد يوم الحسين؛ لدوام حاكمية الله بالأوصياء من ذريته، ودوام حاكمية الله بهم يعني أنّ حاكمية الناس لا ثبات فيها ومصيرها القلع من الجذور لا محال، وهو ما وعد الله بتحقيقه على يد القائم من ولد الحسين.

٢- ثواب الأعمال، الصدوق: ٢٢٠.

عمل الخير مهما كان ضئيلاً أفضل من اللاشيء، لا سيما وأنّ الإمام المعصوم في ذلك الوقت (علي بن الحسين عليه السلام) كان موتوراً بأبيه وبترقب القصاص من قتلته (١).

بكل الأحوال، لا يمكن أن يذهب دم الحسين هدراً، أو أن تُطفأ نار ظليمته الكبرى أو تبرد حرارتها في القلوب، ومن يسهم بإحياء ذكره ومظلوميته فهو يضرب الباطل بمقتل، وهو عمل كبير ومحمود بالتأكيد، وهذا ما فعلته ثورة التوابين، فهي إن كانت انتهت بمجزرة راح ضحيتها أغلب الثائرين رحمهم الله، لكن مبدأهم وشعارهم لم ينته، وأنينهم على الحسين الشهيد لم ينته، وقد مرّ بنا بعض كلامهم وخطبهم بهذا الخصوص، كيف! وهذا قول أحد الثائرين المملوء المأ على مصيبة الحسين، يقول وهو يحث جمعاً من الناس على الثورة:

(... ألم تروا ويبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نبيكم أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة واستضعافهم وحدته وترميلهم إياه بالدم وتجراهموه على الأرض لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضاً وغادروه للضباع جزراً فله عينا من رأى مثله والله حسين بن علي ماذا غادروا به ذا صدق وصبروذا أمانة ونجدة وحزم ابن أول المسلمين إسلاماً وابن بنت رسول رب العالمين قلت حماته وكثرت عداته حوله فقتله عدوه وخذله وليه فويل للقاتل وملامة للخاذل إن الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح الله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيّل العثرة إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته وإلى جهاد المحليين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا) (٢).

١- ولهذا سجد عليه السلام شكراً لله لما بلغه ما فعله المختار الثقفي بقتله الإمام الحسين عليه السلام ودعا له بالخير، كما سيتضح.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٢ - ٤٣٣.

من دروس الثورة:

بالتأكيد، تركت ثورة التوابع لنا دروساً وعِبَر كثيرة، أعرض بعضاً منها بغرض الفائدة؛ لأنها عظمت وعبرت نفع أهل كل زمان:

١- فرقة وتشتت أتباع الحق في الآراء والمواقف يؤدي إلى الضعف والتصدع، وبالتالي عدم التمكن من قطف الثمار المرجوة من حركتهم وجهادهم؛ لأنها ثمار تتأتى - غالباً - من وحدة الكلمة وصفاء القلوب. ليس هذا فحسب، وإنما قد تؤدي الفرقة إلى الفشل وضياح الجهود في كثير من الأحيان وتبقى الثورة ضد الباطل مجرد تكفير عن تقصير ومحاولة لتسجيل موقف لا أقل ولا أكثر بالرغم من أحقية المبدأ والهدف!

٢- في مسير نصرته المبدأ الحق (دين الله)، جعل الشهادة هدفاً أوحده ليس هو الخيار الأفضل دائماً، والأفضل منه جعل الأولوية للنصر، أي يرتب الهدف هكذا: النصر أو الشهادة^(١)، والأفضل من هذا كله أن يسعى المؤمن بكل ما أوتي بإخلاص وتفانٍ دون أن يطلب شيئاً ويترك لله أن يختار له، فالخير فيما يختاره هو سبحانه.

٣- كذلك في مسير نصرته المبدأ الحق، ولضمان نجاح المهمة، لا بد من توفر عنصرين أساسيين، هما: حسن تدبير القيادة، وطاعة القاعدة للقيادة الإلهية، ولا شك في أنّ العنصر الأول متوفر دائماً في حال حضور الإمام المعصوم وتوليّه الإشراف على المهمة سواء كان بنفسه أو عبر من ينصبّه.

٤- على الأمة المؤمنة أن تدرك الحقيقة التالية جيداً: أنها إذا أرادت النجاة والعزة والرفعة في الآخرة والدنيا فلا خيار أمامها سوى اللجوء بإمامها الحق وطاعته ونصرتة والتسليم لأمره، وبخلاف ذلك ستكون هزيلة وممزقة ومثيرة للشفقة. وأيضاً: ستكون نهبة للذئاب بطبيعة الحال، وقد رأينا حال التوابع وكيف كان الوالي الزبيري يسعى لاستغلالهم وقوداً لمصلحته، أو كيف أثاروا شفقة زفر الكلابي "والي قرقيسيا"؛ لعدم

١- باعتبار أنّ النصر (انتصار المبدأ الحق) فيه رفعة لدين الله بالضرورة، أما الشهادة ففيها رفعة للشخص نفسه ولا تلازم بالضرورة رفعة المبدأ الحق.

خبرتهم ببعض الأمور، بل حتى وضعهم أثناء المعركة كان مأساوياً جداً وصل الحال ببعضهم أنه استأمن رجالاً من أهل الشام المجرمين على ولده الذي حضر معه المعركة ليوصلوه إلى الكوفة بعد مقتله^(١)!

لا شك، أنّ هذا ما كان ليحصل في زمن التفافهم حول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولأنه يحصل لو كانوا قد التفوا حول الإمام الحسين عليه السلام، بل ولن يحصل مثل هذا في حال التفت الأمة حول إمام زمانها الحق في كل وقت!

(٣)

ثورة المختار الثقفي

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي. أحد رموز شيعة آل محمد ومحبيهم في الكوفة، بل يمكن اعتباره مع سليمان بن صرد أبرز شخصيتين شيعيتين في العراق ككل في ذلك الوقت.

ولد في الطائف في مطلع هجرة الرسول صلى الله عليه وآله، ونشأ في ظل أسرة معروف عنها الشرف والرفعة بين العرب^(١)، قتل أبوه (القائد أبو عبيد بن مسعود) في معركة الجسر التي حدثت بين المسلمين بقيادة أبي عبيد والفرس بقيادة رستم سنة ١٣ هـ، وكذا قتل فيها عمّه (عروة بن مسعود)، وكان عمر المختار ثلاثة عشر عاماً، وأما عمّه الآخر (سعد بن مسعود) فقد كان من خيار أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وعامله على المدائن، فأسرة المختار - كما نرى - معروف عنها الشرف والدين والولاء لآل محمد صلوات الله عليهم.

روى بعض المؤرخين: (قدم أبو عبيد الثقفي من الطائف وكان رجلاً صالحاً وندب عمر الناس إلى أرض العراق فخرج أبو عبيد إليها فقتل وبقي ولده بالمدينة وكان المختار يومئذٍ غلاماً يُعرف بالانقطاع إلى بني هاشم ...) (٢).

١- قال ابن أبي الحديد في قوله تعالى: "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم": (فأحد الرجلين العظيمين بلا شك الوليد بن المغيرة، والآخر مختلف فيه، أهو عروة بن مسعود، أم جد المختار بن أبي عبيد) شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٩٦. هذا يعني أنّ المختار منحدر من أسرة رقيقة القدر عند العرب.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٨ / ٢٣٥.

ومما يكشف ولاء المختار وأسرته أيضاً: أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه صادق المختار يوماً في طفولته فأجلسه على فخذه ومسح على رأسه وقال: "يا كيس" مرتين، والكيس هو الفطن وحسن الفهم والتدبير:

(عن الأصمغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسخ رأسه ويقول: يا كيس يا كيس) ^(١).

ربما لأجل ذلك صار المختار يُلقَّب بـ "كيسان"، كما هو المعروف عنه.

المختار قبل الثورة:

اعتقال المختار الأول:

ذكرنا سابقاً، أنّ الإمام الحسين عليه السلام أرسل - أيام تواجده في مكة - مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة، فنزل في دار المختار الثقفي وكانت الشيعة ومحبو آل محمد عليهم السلام يتوافدون عليه للبيعة، ثم تحوّل مسلم منها إلى دارهاني بن عروة بعد وصول ابن زياد - لعنه الله - إلى الكوفة. وبعد اعتقال السلطات الأموية هاني بن عروة المرادي، قام مسلم بن عقيل بمن معه في الكوفة وحاصر قصر الإمارة. وكان المختار ومجموعة من المبايعين خارج الكوفة، ولم يكونوا على علم بقيام مسلم، ثم دخل المختار الكوفة ومن معه بعد مقتل مسلم، فاضطر للدخول تحت راية الأمان التي عقدها ابن زياد لعمر بن حريث الذي شفع لدى ابن زياد في دفع القتل عن المختار، وفعلاً لم يقتله ابن زياد لكن أمر بسجنه بعد أن شتر عينه بالقضيب، وبقي المختار في السجن إلى ما بعد مقتل الإمام الحسين صلوات الله عليه.

طلب وهو في السجن من ابن عمّه زائدة بن قدامة أن يذهب إلى عبد الله بن عمر (زوج صفية أخت المختار) بالمدينة ليتوسط له عند يزيد - لعنه الله - ويفرج عنه، وفعلاً وصل

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤١.

كتاب عبد الله بن عمر إلى يزيد فكتب إلى ابن زياد: (أما بعد، فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك) (١).

أطلق ابن زياد - لعنه الله - سراح المختار وأمهله ثلاثة أيام لترك الكوفة، فخرج منها نحو الحجاز.

الطلب بدم الحسين (ع) همُّ المختار الأول:

(عن ابن العرق مولى لثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبيسطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد فلما استقبلته رحبت به وعطفت إليه فلما رأيت شتر عينه استرجعت له وقلت له بعد ما توجهت له ما بال عينك صرف الله عنك السوء قال خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى فقلت له ماله شلت أنامله فقال المختار قلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضائه إرباً إرباً قال فعجبت لمقالته فقلت له ما علمك بذلك رحمك الله فقال لي ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه يا ابن العرق ان الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكان قد انبعثت فوطئت في خطامها فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل إن المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي فوريك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام قال فقلت له سبحان الله وهذه أعجوبة مع الأحداث الأولى فقال هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة قال: ثم إنه وقف فأقسم عليّ لما انصرفت فأخذت بيده فودّعته وسلّمت عليه وانصرف عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الانسان يعني المختار مما يزعم أنه كائن أشئ حدث به نفسه فوالله ما أطلع الله على الغيب أحداً وانما هو شئ يتمناه فيرى أنه كائن فهو يوجب رأيه فهذا والله الرأي الشعاع فوالله ما كل ما يرى الانسان انه كائن يكون قال: فوالله ما

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٨/ ٢٩٧.

مت حتى رأيت كل ما قاله قال: فوالله لئن كان ذلك من علم ألقى إليه لقد أثبت له ولئن كان ذلك رأياً رآه وشيئاً تمنّاه لقد كان (١).

وأيضاً: قول المختار لصقعب بن زهير الأزدي، لما صادفه عند خروجه من الكوفة إلى الحجاز وقد سأله عن جرح عينه، قال: (قال: فعل بي ذلك عبيد الله بن زياد، قتلتني الله ان لم أقتله، اقطع أعضائه، ولأقتلن بالحسين عليه السلام عدد الذين قتلوا بيحيى بن زكريا عليه السلام وهم سبعون ألفاً).

ثم قال: والذي أنزل القرآن، وبين الفرقان، وشرع الأديان، وكره العصيان، لأقتلن العصاة من أزد عمان، ومذحج وهمدان، وفهد وخولان، وبكروهزان، وتعل ونهبان، وعبس وذبيان، وقبائل قيس عيلان، غضبا لابن بنت نبي الرحمن، نعم يا صقعب. وحق السميع العليم، العلي العظيم، العدل بنت نبي الرحمن، نعم يا صقعب. وحق السميع العليم، العلي العظيم، العدل الكريم، العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، لأعركن عرك الأديم، بني كندة وسليم، والاشراف من تميم، ثم سار إلى مكة (٢).

هذه نماذج من أقواله بعد الإفراج عنه من سجنه الأول بالكوفة. واستمرت ثقته بأنه المدرك لثأر الحسين عليه السلام تزداد كما سنراها في مجمل أقواله ووعوده التي قطعها للشيععة ومحبي آل محمد عليهم السلام عموماً وهو يدعوهم لنصرتهم ويعدهم للثورة بعد رجوعه إلى الكوفة قادماً من الحجاز.

والسؤال الآن: من أين اكتسب المختار كل هذه الثقة بنفسه، بحيث إنَّ القارئ لكلامه يجد بوضوح أنّ الرجل كان يعرف تماماً أنه الطالب بدم الحسين عليه السلام والمقتص من قاتليه، بل وأنه سينتصر في أداء هذه المهمة الكبرى والجليلة؟

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣: قاموس الرجال، التستري: ١٠/ ١٢.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ٦٩ - ٧٠: الفتوح، ابن أعثم: ٥/ ١٤٦ - ١٤٧: العوالم، عبد الله البحراني: ٦٧٢ - ٦٧٣.

لا شك أنّ السبب في ذلك ما بلغه من إخبار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بذلك، وقد لاحظنا سابقاً ما أخبره به ميثم التمار لما اجتمعا معاً في سجن عبيد الله بن زياد لعنه الله:

ذكر ابن حجر قصة مقتل ميثم التمار، ومما جاء فيها: (٨٤٩٣- ميثم التمار الأسدي: ثم حج في السنة التي قتل فيها فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقال له هذا كان أثر الناس عند علي قال ويحكم هذا الأعجمي فقيل له نعم فقال له أين ربك قال بالمرصاد للظلمة وأنت منهم قال إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أي فاعل بك قال أخبرني أنك تصليني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال لنخالفنه قال كيف تخالفه والله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله ولقد عرفت الموضوع الذي أصلب فيه وأني أول خلق الله ألجم في الإسلام فحبسه وحبس معه المختار بن عبيد فقال ميثم للمختار: إنك ستفلس وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك فلما أراد عبيد الله أن يقتل المختار وصل يريد من يزيد يأمره بتخليه سبيله فخلاه وأمر بميثم أن يصلب ... وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام^(١).

من المعلوم أنّ ميثم التمار - رحمه الله - أحد الصفوة الذين لازموا أمير المؤمنين عليه السلام وصحبوه، وقد أطلعه الإمام على حاله وكيفية مقتله ومن يقتله، بل معروف عن ميثم أنه ممن اختصهم الإمام وأطلعهم على بعض علم المنايا والبلايا، وبالتأكيد كان من ضمن ما أطلعه عليه هو العمل الذي سيتوقف له المختار، وإلا فمن أين عرف ميثم ذلك! وبدوره نقل ميثم ذلك الإخبار إلى المختار لما صادفه في السجن.

(قال أمير المؤمنين عليه السلام: فكما أن بعض بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا، وبعضهم عصوا فعذبوا، فكذلك تكونون أنتم. قالوا: فمن العصاة يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: الذين أمروا بتعظيمنا أهل البيت، وتعظيم حقوقنا، فخالفوا ذلك، وعصوا وجحدوا حقوقنا واستخفوا بها، وقتلوا أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أمروا

بإكرامهم ومحبتهم، قالوا: يا أمير المؤمنين وان ذلك لكائن؟ قال عليه السلام: بلى خبرا حقا، وأمرنا كائنا، سيقتلون ولدي هذين الحسن الحسين عليهما السلام.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: وسيصيب [أكثر] الذين ظلموا رجزا في الدنيا بسيف [بعض] من يسلط الله تعالى عليهم للانتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز. قيل: ومن هو؟ قال: غلام من ثقيف، يقال له المختار بن أبي عبيد^(١).

الإمام عليه السلام يسمي المختار باسمه ويعتبر فعله أمراً كائناً وحتماً، ويصفه بأنه "انتقام" من الله يُسلط على قتلة الحسين عليه السلام، و"رجز": أي عذاب.

و أيضاً: كون المختار هو الرجل الموعود بقتل قتلة الحسين يمكن ملاحظته في خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

قال عليه السلام: "ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين القلة والذلة، وهيمات ما أخذ الدنية، أبي الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأندرت، ألا إني زاحف بهذه الأسرة، على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشأ يقول:

فإن هُزم فهزّامون قدماً وإن هُزم فغير مهزّمينَا
وما إن طَبْنَا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

ألا! ثم لا تلبثون بعدها إلا كريت ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحي، عهد عهدته إليّ أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم تم كيدوني جميعاً فلا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقمهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا [قتله] بقتلة وضربة بضربة، ينتقم لي

١- تفسير الإمام العسكري: ٥٤٧: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٣٣٩ - ٣٤٠.

ولأوليائي ولأهل بيتي وأشيعاي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير" (١).

هذا كان كلام الإمام الحسين في أواخر لحظات حياته، وواضح أنه صلوات الله عليه يتوعد قتلته بـ "غلام ثقيف" الذي سيسقي قتلته كأساً مصبرة، يسقي كل واحد منهم جزاءه الذي يستحقه؛ قتلة بقتلة وضربة بضربة، وهذا بالضبط ما فعله المختار بقتلة الحسين كما سنرى.

بالتأكيد، إنَّ هذه الإخبارات كانت قد بلغت مسامع المختار وأخذت من نفسه مأخذاً كبيراً، فصار الطلب بدم الحسين شغله الشاغل وهمّه الأول.

التحاف المختار بابن الزبير:

بحسب المنقول تاريخياً في المصادر، فإنَّ المختار وصل إلى مكة والتقى ابن الزبير لقاءً عابراً، ثم غيَّب نفسه في الطائف سنة كاملة، عاد بعدها إلى مكة مرة ثانية، وجرى بينه وبين ابن الزبير لقاءً انتهى ببيعة المختار لابن الزبير وفق شروط قبل بها ابن الزبير (٢).

شهد المختار مع ابن الزبير حصار مكة الأول الذي فرضه عليها الجيش الأموي بقيادة الحصين بن نمير، وكان من ضمن المقاتلين الذين أبلوا بلاء عظيماً في قتال الجيش الأموي؛ خصوصاً بعد قصف الكعبة واحتراقها، فكان يكشف جموع الشاميين الذين كانوا يتمنّون الظفر به لكنهم لم يتمكّنوا من ذلك، وكان أشد الناس على أهل الشام (٣).

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٨ - ١٠.

٢- قال المختار لابن الزبير: (إني قد جئتك لأبايعك على ألا تقضي الأمور دوني وعلى أن أكون في أول من تأذن له وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك ... فقال له ابن الزبير فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٥: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧٠.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٤ - ٤٤٦، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧١: تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ٦١.

بعد هلاك يزيد وانصراف الجيش الأموي إلى الشام، مكث المختار مع ابن الزبير فترة قليلة ثم قرّر الرجوع إلى الكوفة؛ لأنه لم ينل مراده عند ابن الزبير^(١)؛ لا سيما وقد علم بأن طائفة من الناس (المحبين لأمير المؤمنين وأبنائه عليهم السلام) في الكوفة لا يرغبون بابن الزبير وبحاجة إلى من يجمعهم، فكان يقول: "أنا أبو إسحاق أنا والله لهم أنا أجمعهم على مر الحق وأنفي بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد"^(٢).

وأيضاً: سمع سلمة بن مرثد وقد سأله عن الناس بالكوفة، فقال سلمة: "هم كغنم ضل راعيها فقال المختار: أنا الذي أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها"^(٣).

هذا مجمل ما ذكره المؤرخون عن المختار في تلك الفترة منذ لحظة خروجه من الكوفة إلى الحجاز حتى وقت رجوعه منها إلى الكوفة في منتصف شهر رمضان سنة ٦٤ هـ.

أقول: لا شك أنّ الباحث في شخصية المختار يجده رأساً من رؤوس الشيعة في العراق، وهذا أمر لا يتأتى للشخص في ظرف يوم وليلة، فالرجل معروف عنه ولاؤه لأمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين عليهما السلام سنين طويلة. ثم قرر النهوض مع مسلم (رسول الحسين) وفتح له بيته، وهو فعل أقل ما يقال عنه إنه تحدّى صراخ للسلطات الأموية وعقوبته عندهم الإعدام بلا تردد. وبعد شهادة الحسين عليه السلام لاحظنا أنّ همّ المختار الأول منذ لحظة خروجه من الكوفة منصبّ على الطلب بدم الحسين وأهل بيته ممن قتلهم، وقد عبّر عن ذلك وهو في طريقه إلى الحجاز، فلا يعقل - والحال هذه - أن ينقلب فجأة ويتحوّل إلى رجل دنيا من الطراز الأول ويقرّر مبايعة ابن الزبير مقابل منصب طلبه منه ثم تخلى عنه لأنه لم ينل ذلك المنصب!

١- قال ابن نما: (وذكر المدائني عن رجاله أنّ المختار لما قدم على عبد الله بن الزبير لم يرّ عنده ما يريد، ... فخرج المختار من مكة متوجّهاً إلى الكوفة) ذوب النضار: ٧٨.

٢- هذا ما قاله لهاني بن أبي حية وقد سأله عن أهل الكوفة، ولما سمع هاني منه قوله، قال له: (ويحك يا ابن أبي عبيد إن استطعت ألا توضع في الظلال ليكن صاحبهم غيرك فإنّ صاحب الفتنة أقرب شيء أجلاً وأسوأ الناس عملاً فقال له المختار إنني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة ثم وثب فخرج وركب رواحله فأقبل نحو الكوفة) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧١.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٨؛ الفتوح، ابن أعثم: ٦ / ٢٠٧.

بلاشك، التاريخ الموجود بأيدينا، إضافة إلى التزوير والتحريف الذي حصل فيه، لم ينقل لنا كل شيء؛ لأسباب كثيرة لست الآن بصدد استعراضها، لكنها حقيقة واقعية ومثبتة، على أنّ ما سأذكره الآن له من الشواهد ما يكفي لإثبات واقعيته:

١- المختار رجل شيعي، والشيعي يعرف جيداً أنه لا بد من وجود إمام فوق رأسه، ولا يمكن أن يخلو منه زمان، فهو كان يعتقد بأمر المؤمنين صلوات الله عليه ثم بعده ولده الحسن ثم بعده الحسين. ثم إنّ الحسين عليه السلام استشهد في كربلاء بلا أن تحضره الشيعة وتستمع منه اسم الوصي والإمام من بعده، فأمر ولده الوصي (علي السجاد عليه السلام) كان محاطاً بالكتمان حفظاً عليه من القتل، وقد رأينا سابقاً أنّ الحسين أعلم أخته زينب عليها السلام بذلك، بل وأوصى ظاهراً لابنته فاطمة تمويهاً على الأعداء.

٢- كما اشتبه ابن الحنفية في مصداق الإمامة ثم تراجع وصحح اعتقاده لاحقاً، يمكن أن يكون المختار اشتبه أيضاً واعتقد أنّ ابن الزبير مصداقاً لها ويستحق البيعة؛ خصوصاً وأنه قرشي والسيدة خديجة عمّة أبيه الزبير، والرسول وأمير المؤمنين ولدا عمّة أبيه الزبير، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ابنة عمّة أبيه الزبير، فالرجل ليس عادياً من جهة النسب.

أضف إليه: إنّ ابن الزبير في ذلك الوقت (قبل موت يزيد) كان يدعو الناس للأخذ بثأر الحسين ويؤلّمهم على يزيد^(١)، وهو وإن كان غير صادق في نيته كما بان لاحقاً في مآل أمره لكن المختار لم يظن به سوءاً، وبالنتيجة فالمختار من هذه الجهة اعتقد - خطأً - بأنه وجد ضالته عند ابن الزبير، ثم سرعان ما فارقه لما لم ينل مراده عنده:

(وذكر المدائني عن رجاله أنّ المختار لما قدم على عبد الله بن الزبير لم يرّ عنده ما يريد، ... فخرج المختار من مكة متوجهاً إلى الكوفة)^(٢).

١- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٧٧.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ٧٨.

مراد المختار: معرفة الإمام الحق الذي يرجع إليه في دينه وأموره كلها بعد الحسين عليه السلام، وأول موارد الرجوع هو استئذانه بأمر الثورة والقيام للأخذ بثأر الحسين صلوات الله عليه من قاتليه، وليس مراد المختار مجرد منصب وجاه معين لا يضيف له شيئاً فوق ما عنده؛ لأنه علم برأسه وليس بحاجة إلى ما يرفعه من هذه الناحية.

المختار فارق ابن الزبير ونقض بيعته له؛ لأن ابن الزبير بعد موت يزيد صار يدعو ويطلب الملك لنفسه ولا يعنيه أمر الحسين عليه السلام بشيء أصلاً:

(وكان عبد الله بن الزبير قبل موت يزيد يدعو الناس إلى طلب ثأر الحسين عليه السلام وأصحابه، ويغريهم بيزيد، ويوتئهم عليه، فلما مات يزيد - لعنه الله - أعرض عن ذلك القول، وبأن بأنه يطلب الملك لنفسه لا للثأر)^(١).

والأهم من ذلك: أنّ المختار فارق ابن الزبير؛ لأنه وجد إمامه الحق، أما كيف؟

باختصار أقول، وتفصيله يأتي لاحقاً: في فترة تواجد المختار بالحجاز كان محمد بن الحنفية يتواجد بمكة أحياناً، وكان المختار يلتقيه ورآه طامحاً لها وادعائها له بعض من كان حوله فصار يحثه على تويي الأمر وتكفل الطلب بدم الحسين عليه السلام، إلى أن تدخل الإمام علي بن الحسين عليه السلام ونصح عمّه وبين له الحق، حينها أذعن للحق واعتقد به^(٢)، وبالتأكيد عرف المختار هذه الحقيقة التي كان ينشدها وبيحث عنها،

١- ذوب النضار، ابن نما: ٧٧.

٢- روى الكليني بسنده: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليهما السلام فخلا به فقال له: يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن عليه السلام، ثم إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلي على روحه ولم يوصي، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سني وقد يبي أحق بها منك في حادثك، فلا تنازعي في الوصية والإمامة ولا تحاجني، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك قال أبو جعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي

واستحصل الإذن الشرعي بالثورة على قاتلي الحسين والطلب بدمه، وهو ما كان يسعى إليه، لكن حفظاً على حياة الإمام بقي تواصل المختار ظاهراً مع ابن الحنفية وهو ما نلاحظه بكثرة في النصوص التاريخية الآتية.

الإعداد للثورة:

وصل المختار إلى الكوفة بهمة عالية بعد نيل مراده وتأييد الإمام المعصوم لهضته، وصار يقصد بعض أحيائها المعروف عن أهلها حيم وولاؤهم لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وكلما مرّ بمجلس سلم عليهم وقال:

- "أبشروا بالفرج، فقد جنتكم بما تحبون، وأنا المسلط على الفاسقين، والطالب بدم ابن بنت نبي رب العالمين" (١).
- "أبشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون" (٢).

(... فأقبل حتى مر بيبي بدءاء فوجد عبيدة بن عمرو البدي من كندة فسلم عليه ثم قال أبشروا بالنصر واليسر والفلج إنك أبا عمرو على رأى حسن لن يدع الله لك معه مأثماً إلا غفره ولا ذنباً إلا ستره قال وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حباً لعلي رضي الله عنه وكان لا يصبر عن الشراب فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة بشرك الله بخير إنك قد بشرتنا فهل أنت مفسر لنا قال نعم ... ثم قال لي القني في الرجل

بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عزوجل وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: يا عم لو كنت وصياً وإماماً لأجابك، قال له محمد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين عليهما السلام بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي الامام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد ان يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عزوجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي عليهما السلام إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام) الكافي: ١ / ٣٤٨.

١- الفتوح، ابن أعمش: ٦ / ٢٠٧؛ ذوب النضار، ابن نما: ٧٨ - ٧٩.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٨؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧١.

وبلغ أهل مسجدكم هذا عني أنهم قوم أخذ الله ميثاقهم على طاعته يقتلون المحلين ويطلبون بدماء أولاد النبيين ويهدمهم للنور المبين ثم مضى^(١).

وبمجرد وصوله إلى داره صارت شيعة آل محمد عليهم السلام ومحبيهم تقصده وتأتيه فيها.

أغلب المؤرخين ذكروا أنّ المختار كان يُعرّف الشيعة ومحيي آل محمد عليهم السلام بأنه مرسل من قبل محمد بن الحنفية للطلب بدم الحسين عليه السلام^(٢)، لكنهم لم يبينوا حيثيات الاتفاق بين المختار وابن الحنفية الذي أرسله بموجبه إلى شيعة العراق واقتصر على ذكر نصوص التواصل بين الطرفين بعد ورود المختار الكوفة وما تلاه من أحداث حتى مقتله رضوان الله عليه، بل بعضهم اتهمه بالكذب أي أنّ اتفاقاً وإرسالاً مثل هذا لم يحصل والمختار ادعاه كذباً، وحاشاه!

وأيضاً: بحسب بعض النصوص التاريخية، فإنّ المختار دعا لبيعته وسليمان وصحبه مشغولون بالتهيؤ لثورتهم وكان معظم الشيعة مع سليمان، لكنه - أي المختار - لم يباشر بحركته وكان ينتظر ما يؤول إليه أمر التوايين الذين كانوا يتحركون بحذر وخفاء؛ تحسباً من ردود أفعال السلطات الأموية والزييرية^(٣).

ونحن بدورنا أوضحنا أنّ اهتداء ابن الحنفية لإمام زمانه وتعرّفه عليه أدى بالنتيجة إلى أن يعرف المختار إمام زمانه وهو الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وهذا هو الأمر المهم والمغيّب في نصوص المؤرخين سواء كان بقصد أوبدونه، ولهذا سنرى لاحقاً أنّ المختار كان يبعث إلى الإمام رؤوس قتلى قتلة أبيه، وكان يوصل إليه أموال الخمس، وروي عنه أنه كان يسجد شكراً لله إن صادف فعله موافقة إرادة الإمام!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٨.

٢- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٧٩؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٩؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧٢.

٣- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ٧٩؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠.

والأمر الآخر المهم: إنَّ ما عرفه المختار من الحق نقله إلى بقية رؤوس الشيعة بالكوفة، وعلى رأسهم سليمان بن صرد وغيره من كبار الشخصيات، بل سيتضح أنَّ المختار هو السبب في تعرف شيعة العراق على إمامة علي بن الحسين عليه السلام، بنص حديث الإمام المعصوم، فانتظر.

اعتقال المختار الثاني:

بعد خروج التوايين (سليمان بن صرد وصحبه) من الكوفة قاصدين الشام، التقى عمر بن سعد وشبث بن ربعي وآخرين بوالي الكوفة من طرف ابن الزبير (عبد الله بن يزيد الخطمي) والمقربين منه وعلى رأسهم إبراهيم بن محمد بن طلحة (مسؤول الخراج) ^(١) وأخبروهم بأنَّ بقاء المختار في الكوفة طليقاً فيه خطورة عليهم، بل خطورته أشد من سليمان بن صرد، لا سيما وأنَّ الأخير خرج من الكوفة بجماعته لقتال الأمويين والمختار لا زال فيها طليقاً وينوي الوثوب عليكم!

أخذ الوالي بنصيحة ابن سعد وشبث ومن معهم لعنهم الله، فما شعر المختار إلا وقوات السلطة تحيط بداره، وطلب إبراهيم (حفيد طلحة) من الوالي أن يوثق المختار ويمشي حافياً إلى الحبس، فلم يقبل الوالي، ثم قال إبراهيم للمختار: "ليس هذا بعشك فادرجي ما أنت وما يبلغنا عنك يا ابن أبي عبيد!" فقال له المختار: "ما الذي بلغك عني إلا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك"، ثم اقتادوه إلى السجن ^(٢)!

١- إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، وطلحة هورفيق الزبير في نكت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام والخروج عليه مع عائشة في واقعة الجمل بالبصرة، وإبراهيم هذا (حفيد طلحة) عينه عبد الله بن الزبير مسؤولاً على خراج الكوفة، وكان يحمل حقدًا على المختار وشيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومحبيه عموماً.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٠: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧٢ - ١٧٣: ذوب النضار، ابن نما: ٨٠.

قول المختار لإبراهيم: "كغش أبيك وجدك"، فيه تعريض بأبيه محمد وجده طلحة بن عبيد الله الذي نكث ببيعة الإمام علي عليه السلام وخرج عليه بالبصرة مع من خرج، وأصرّ ابنه محمد - وكان شاباً حينها - إلا أن يكون معه، والاثنان قتلا يوم الجمل^(١).

وعموماً، لما أودعوا المختار في السجن كان يزوره بعض أصحابه وينظرون إليه وهو مقيد، فيقول لهم:

(أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتّار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بتّار النبيين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى)^(٢).

ردد المختار مثل هذا الكلام على بعض أصحابه الذين كانوا يلتقوه؛ تشجيعاً لهم، ومعروف عن المختار أنه كان يسجع في كلامه، والملفت أنّ الرجل يتحدث بكل ثقة أنه مدرك طلبه، وكيف لا يكون كذلك وقد وعده الإمام المعصوم بذلك!

١- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤ / ٣٦٨.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٠ - ٤٥١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧٣؛ ذوب النضار، ابن نما: ٨٠ - ٨١.

المختار ثائراً للطلب بدم الحسين (ع):

المختار يبدأ بالتحرك وهو في السجن:

بعد رجوع رفاعة بن شداد ومن بقي من التوابين إلى الكوفة، بدأ المختار بمكاتبتهم وهو في السجن، ووعدهم بأنه سيدرك الثأر من عدوهم بعد خروجه من سجنه، ووصل كتابه إلى رفاعة والمثنى بن خزيمة العبدي وسعد بن حذيفة ويزيد بن أنس والأحمر بن شميظ وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد وغيرهم من كبار الشيعة والمحبين آنذاك، وأرسلوا له ابن كامل ليخبره باجتماعهم عليه وانتظار أمره فسُرَّ بذلك^(١).

لا شك أنّ المختار مقبل على أمر خطير جداً، فالمعروف عن شيعة العراق أنهم عانوا من السطات الأموية بشكل كبير، بل حتى الزيرية في الفترة القصيرة التي حكموا فيها الكوفة والبصرة، وأمر التوابين انتهى بمذبحة راح ضحيتها قادة الثورة وأغلب الثوار، والأمل معقود الآن بالمختار، ليس فقط لأجل الطلب بدم الحسين عليه السلام وهو غايته ومناه بل غاية ومنى كل مؤمن، بل لأن وضع شيعة ومحيي آل محمد بات على المحك أيضاً؛ فالوضع لا يحتمل تكرار الهزيمة، وتكرارها يعني القضاء على التشيع في العراق تقريباً، أو لا أقل إصابة الباقين منهم باليأس تماماً! وهذا بالتأكيد يضيف حملاً إضافياً على كاهل المختار فوق ثقل مهمة الطلب بدم الحسين نفسها!

عموماً، أولى خطوات المختار كانت كتابة رسالة من قبله إلى زوج أخته "عبد الله بن عمر" يدعوه فيها للتوسط عند والي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعامله على الخراج إبراهيم بن محمد بن طلحة للإفراج عنه، ولما بلغهما كتاب ابن عمر طلبا من المختار كفاء مقابل تخلية سبيله، فجاء كثيرون لكفالاته فاختاروا منهم عشرة أشراف معروفين وطلبوا يمينه بأن لا يبيعهما بغائلة أو يخرج عليهما ما كان لهما سلطان في الكوفة، مع ألف بغير، إضافة إلى عتق جميع مماليكه إن فعل ذلك، فقبل المختار وخرج إلى داره^(٢).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٧: ذوب النضار، ابن نما: ٩٢ - ٩٣.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٨: ذوب النضار، ابن نما: ٩٣.

(ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه واتفق رأيها على الرضى به وكان يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر: السائب بن مالك الأشعري ويزيد بن أنس وأحمر بن شميطة ورفاعة بن شداد الفتياي وعبد الله بن شداد الجشعي قال: فلم تزل أصحابه يكثرُونَ وأمره يقوى ويشتد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة) (١).

عبد الله بن مطيع والي الكوفة الجديد:

بعد وصول عبد الله بن مطيع العدوي (ابن عم عمر بن الخطاب) إلى الكوفة صعد منبرها وخطب بالناس موضحاً أنه يريد أن يسير بهم وبفئتهم كسيرة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، فاعترضه السائب بن مالك (أحد أصحاب المختار) وطلب أن يسير بهم بسيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لا غير، وأيده بعض الحاضرين، فبهت ابن مطيع وقال: "نسير بكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ونزل" (٢).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٨ - ٤٨٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٢: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥٢ / ٦.

٢- روى الطبري عن حصيرة بن عبد الله الأزدي، قال: (إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وتغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ولأقيمنا دراً إلا بصعر المرتاب فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال أما أمر ابن الزبير إياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا وأن لا يقسم إلا فينا وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنها إنما كانت أثرة وهوى ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا وإن كانت أهون السيرتين علينا ضراً وقد كان لا يألو الناس خيراً فقال يزيد بن أنس صدق السائب بن مالك وبررنا مثل رأيه وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٩ - ٤٩٠.

خلا بعض المتملقين بالوالي وأخبره أنّ السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار الثقفي، والمختار وضعه مريب ويخطط لأمر ما في الكوفة فلو دعوته وقمت بسجنه حتى تستقيم لك الأمور!

وفعلاً، أرسل ابن مطيع زائدة بن قدامة ومعه رجل آخر من همدان ليبلغا المختار بالحضور، وكاد أن يأتي معهما لولا أنّ ابن عمه قدامة قرأ قول الله: "وإذ يمكركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"، ففهمها المختار واعتذر عن الذهاب معهما لعله أصابته وطلب منهما أن يبلغا الوالي بمرضه، ففعلاً ذلك وأبلغاه فصدّقهما ولهى عن المختار^(١).

من جهته، تابع المختار حركته والتحضير لثورته بهدوء، واستمر يجمع أصحابه في دور حوله تمهيداً للثورة التي سعى جاهداً أن تكون في مطلع محرم الحرام سنة ٦٦ هـ، لولا التردد الذي أصاب بعض المبايعين له والشبهة التي علقت بأذهانهم، وكانت الشبهة تتعلق بشرعية المشاركة مع المختار في ثورته وقيامه، والملفت أنها سرت إلى كثيرين!

فلو تأملنا الحال وجدناه هكذا: المختار لديه إذن من إمام معصوم مظلوم حياته مهددة بالخطر ولا يستطيع أن يصرح بإذنه له بشكل مباشر وواضح لكل أحد وكان يكتبني بالإرجاع إلى ابن الحنفية؛ حفظاً على حياة الإمام المعصوم، وهو - بالكاد - يريد جمع الشيعة والمحبين لإنجاز المهمة في ظل ظروف أمنية وسياسية معقدة تعيشها الكوفة التي لا يزال قتلة الحسين يعيشون فيها بل هم المقربون من الوالي الزبيري وبهم يثق وعليهم يعتمد! ومن جهة أخرى: كثير من الشيعة تم إبادتهم في "عين الوردية" التي لم يمض عليها عام، بل المختار نفسه تم الإفراج عنه من سجنه الثاني بعد اللتيا والتي، وبمجرد أن تيسرت الأمور وأراد المباشرة بثورته وتحديد موعد لانطلاقها حصلت الفتنة والشبهة لدى بعض أصحابه ما أدى إلى تأجيل أمر القيام في الكوفة لشهر ونصف تقريباً!

فعلاً محنة.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩٠ - ٤٩١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٣.

تردد بعض المبايعين في شرعية ثورة المختار:

بعض الأفراد الذين كانوا قد بايعوا المختار، يرأسهم عبد الرحمن بن شريح (أحد وجهاء الكوفة في وقته)، اجتمعوا في بيت سعر الحنفي، فاقترح عبد الرحمن الذهاب إلى محمد بن الحنفية وسؤاله عن أمر المختار إن كان مبعوثاً منه حقاً، وهل يرخص في اتباعه أم ينهى عن ذلك، محتجاً بأن سلامة الدين أهم من الدنيا، فوافقه على ذلك، فقررُوا الذهاب إلى الحجاز ولقاء ابن الحنفية، وقد علم كثير من الشيعة والمحبين بالأمر وصاروا ينتظرون عودتهم واستعلام الأمر منهم!

وبعد ذهاب الوفد إلى ابن الحنفية ولقائهم به، بدأ عبد الرحمن بن شريح بالكلام فقال: (أما بعد فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة وعظم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عم بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكرك ما دعانا إليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وإن نهيتنا عنه اجتنبناه)، ثم تكلم بقية الوفد وهو يستمع.

بعد فراغهم، تكلم ابن الحنفية وقال: (أما بعد فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل فإن الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم فله الحمد وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة أهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكان أمر الله مفعولاً وكان أمر الله قادراً مقدوراً وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(١)).

أما "ابن نما" رحمه الله، فقد ذكر أن ابن الحنفية قال للوفد: (قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين، فلما دخل ودخلوا عليه خبره بخبرهم الذي جاءوا لأجله. قال:

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٩١ - ٤٩٢: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢١٤.

يا عم، لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت. فخرجوا، وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية^(١).

الشرعية التي كان المختار يستند إليها بطريقة ذكّية تؤدي الغرض وتجنّب الإمام المعصوم الخطر، صار الشك والشبهة عند بعض المؤمنين – غير المبرر طبعاً – سبباً في اضطرار الإمام المعصوم إلى لقاء وفد الكوفيين بنفسه لإطفاء نار شبهتهم والقضاء عليها؛ لأن بقاءها وسريانها يؤدي إلى فشل مهمة المختار حتماً!

وعموماً، فهم الوفد من الكلام أنهم مأذونون بالهوض مع المختار، فرجعوا إلى الكوفة وأخبروا أصحابهم بذلك، وكانوا قد قصدوا منزل المختار قبل منازلهم فأعلموه بما انتهوا إليه، فطلب منهم أن يقوموا بجمع الشيعة له بعد أن كانوا سبباً في إدخال الريب والتردد عليهم، فجمعوا له من كان قريباً من داره فخطب فيهم ودعاهم إلى قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيهم.

ثم قام عبد الرحمن بن شريح بعده، فقال: (أما بعد يا معشر الشيعة فانا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة فقدمنا على المهدي بن علي فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا إليه المختار منها فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه فأقبلنا طيبة أنفسنا منشحة صدورنا قد أذهب الله منها الشك والغل والريب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم واستعدوا وتأهبوا)^(٢).

وقام بعده بقية أعضاء الوفد فتكلموا بنحو كلامه، فاستجمع أمر الشيعة والمحبين على المختار.

١- ذوب النضار، ابن نما: ٩٧.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٤٩٣؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢١٤ – ٢١٥؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ٢١/ ١٦.

ملاحظة:

نحن لما نتحدث عن وضع الشيعة ومحبي آل محمد عليهم السلام في الكوفة وطريقة تفاعلهم مع حركة المختار وهو يعدّ العدة للقيام بثورته، ينبغي أن لا نغفل أنهم – أي المحبين – طائفة محدودة من أهل الكوفة قياساً ببقية سكان الكوفة وقبائلها الذين يبلغ عددهم مئات الألوف بعد معرفتنا بأنها حاضرة إسلامية كبيرة تضم مختلف الاتجاهات والتيارات، بل حتى المحبين لا نتوقع استنفار سوى ثلثه منهم مع المختار لا جميعهم؛ الأمر الذي لم يتوفر للإمام المعصوم فما بالك بمن سواه!

ومن ثمّ لك أن تتصور الوضع هكذا: المختار ومعه بعض المحبين مشغولون بالإعداد للقيام والطلب بدم الحسين، أما سائر الناس (وهم العموم الغالب في المدينة) فهم مشغولون بحياتهم وتحصيل أرزاقهم وتديير شؤونهم وأعمالهم الخاصة، وقسم منهم يعمل في أجهزة السلطة بالتأكيد، ولهذا تمكّن ابن مطيع من تجميع الألوف منهم لقتال المختار ووضحه عند إعلان قيامه وثورته كما سيتضح.

التحاق إبراهيم بن مالك الأشتر بالمختار:

بحسب النصوص التاريخية: فإنّ بعض أصحاب المختار تكلموا معه وحذّروه من أنّ أشراف الكوفة سيصطفون مع ابن مطيع (الوالي الزبيري) والقتال معه عند قيامه في الكوفة، ونصحوه بالسعي لكسب إبراهيم بن مالك الأشتر وضمّه إلى جانبه لتقوى شوكته؛ لمكانة إبراهيم وقوة عشيرته، وهو أمر بالتأكيد لا يخفى على المختار، فطلب منهم أن يلتقوه ويعلموه بعزم الشيعة على القيام والطلب بدم الحسين صلوات الله عليه، وفعلاً التقوه وتحديث معه الأحمر بن شميطة وذكّره بمكانة أبيه مالك رضوان الله عليه ووفائه، فقال إبراهيم لما سمع كلامه: "إني قد أجبتمكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولّوني الأمر فقالوا أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك

سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي (١) وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشترو لم يجهم".

رجعوا إلى المختار وأخبروه بما جرى، وبعد ثلاثة أيام خرج المختار ومعه مجموعة من أصحابه وسار بهم حتى وقف على باب إبراهيم بن مالك الأشتري، ولما دخلوا عليه كلمه المختار وأخرج له كتاباً بعثه إليه محمد بن الحنفية يدعوه فيه لنصرة المختار، فلما قرأه وشهد له شهود من الحاضرين أنّ الكتاب من ابن الحنفية إليه بايع المختار، لكن بقي في نفسه شيء من تلك الشهادة بالرغم من بيعته له (٢).

١- أي الإمام.

٢- روى عامر الشعبي حادثة ذهب المختار إلى إبراهيم، وكان هو أبوه ضمن الحاضرين، قال: (... فقال المختار.. أما بعد فان هذا كتاب إليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرتنا وتؤازرنا فان فعلت اغتبطت وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهدي محمدا وأوليائه عنك قال الشعبي وكان المختار قد دفع الكتاب إلي حين خرج من منزله فلما قضى كلامه قال لي ادفع الكتاب إليه فدفعته إليه فدعا بالمصباح وفض خاتمه وقرأه فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتري سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبني الذي ارتضيته لنفسني وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معك بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك ان نصررتي وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصرومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام على الوفاء بذلك على عهد الله فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقبله أبدا والسلام عليك فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب قال قد كتب إلي ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم فما كان يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه قال له المختار إن ذلك زمان وهذا زمان قال إبراهيم فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلي فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميظ وعبد الله بن كامل وجماعتهم قال الشعبي إلا أنا وأبي فقالوا نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي إليك فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه فقال أبسط يدك أبايعك فيسقط المختار يده فبايعه إبراهيم ... وخرج معنا ابن الأشتري فركب مع المختار حتى دخل رحله فلما رجع إبراهيم منصوراً أخذ بيدي فقال انصرف بنا يا شعبي قال فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله فقال يا شعبي إني قد حفظت انك لم تشهد أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق قال قلت له قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشايخه المصروفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متهم غير أنني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم وأحب تمام ذلك الامر فلم أطلععه على ما في نفسي من ذلك فقال لي ابن الأشتري اكتب لي أسماءهم فاني ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب ابن مالك الأشعري ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شميظ الأحمسي ومالك ابن عمرو النهدي حتى أتى على أسماء القوم ثم

ومهما يكن، فقد ساند إبراهيم بن الأشتر المختار في مسألة الإعداد للثورة، ودعا عشيرته ومن يقبل قوله لبيعة المختار، وصار يختلف إليه كل مساء لتدبير الأمور والاستعداد للقيام، وكان المختار قد حدّد منتصف شهر ربيع الأول سنة ٦٦ هـ موعداً لانطلاق ثورته في الكوفة.

ابن مطيع يتخذ التدابير وابن الأشتر يتعجل الثورة:

بعد أن تناهى إلى مسامعه عزم المختار على الثورة في الكوفة، دعا ابن مطيع بعض رجاله ووجهاء الكوفة المقربين منه ونشرهم مع كتائب الشرطة في أرجاء الكوفة والأماكن المهمة فيها، وطلب من كل واحد منهم أن يكفيه قومه والجهة المكلف بها، والملفت أنّ بعضاً منهم كان معروفاً عنه اشتراكه بقتل الإمام الحسين صلوات الله عليه، كشمربن ذي الجوشن وزحربن قيس وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، لعنهم الله (١).

مُلئت الكوفة بعسكر ابن مطيع، وكان إبراهيم بن الأشتر أراد الذهاب ليلاً إلى بيت المختار قبل موعد الثورة بيوم، وكان معه جماعة قاموا بإخفاء دروعهم، فأرأوا كتائب الوالي وعسكره منتشرين في الطرقات، فطلب منه صحبه أن يسير بهم في طرق فرعية بين البيوت لئلا ينتبه لهم العسكر، لكنه رفض ذلك:

(عن حميد بن مسلم قال: وكان إبراهيم فتى حدثاً شجاعاً فكان لا يكره أن يلقاهم فقال والله لأمرنّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ولأرعبن به عدونا ولأرئبهم هوانهم علينا قال: فأخذنا على باب الفيل على دار هبارثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح

كتب شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرة على قتال المحليين والطلب بدماء أهل البيت وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل ابن عبد وهو أبو عامر الشعبي الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي و عامرين شراحيل الشعبي فقلت له ما تصنع بهذا رحمك الله فقال دعه يكون قال ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه و أقبل يختلف إلى المختار) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩٥ - ٤٩٦. وانظر أيضاً: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٥ - ٢١٦: ذوب النضار، ابن نما: ٩٨ - ١٠٠.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩٦ - ٤٩٧، ٥٠٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٧.

فقال لنا من أنتم ما أنتم فقال له إبراهيم أنا إبراهيم بن الأشتر فقال له ابن مضارب ما هذا الجمع معك وما تريد والله إنَّ أمرك لمريب وقد بلغني أنك تمر كل عشية ههنا وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه فقال إبراهيم لا أبا لغيرك خل سبيلنا فقال كلا والله لا أفعل ومع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان يكون مع امرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه وكان لابن الأشتر صديقا فقال له ابن الأشتر يا أبا قطن ادن مني ومع أبي قطن رمح له طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلي سبيله فقال إبراهيم وتناول الرمح من يده إن رمحك هذا لطويل فحمل به إبراهيم على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحترأسه فنزل إليه فاحترأسه وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع.....^(١).

فور وصول إبراهيم بن الأشتر إلى دار المختار أبلغه بما جرى وطلب منه أن يعجل بالقيام هذه الليلة ولا ينتظر إلى الغد، فاستبشر المختار خيراً بمقتل إياس بن مضارب، وقيل بما أشار عليه إبراهيم بن الأشتر.

وانطلقت ثورة الطلب بدم الحسين المظلوم بنداء: "يا لثارات الحسين!"

ويا لها من لحظات!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩٧ - ٤٩٨. وانظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٧؛ ذوب النضار، ابن نما: ١٠١ -

ثورة المختار في الكوفة:

- المكان: العراق / الكوفة
- الزمان: ربيع الأول سنة ٦٦ هـ

أمر المختار بإشعال النار في الهرادي ورفعها إيداناً بدعوة الثوار إليه، وطلب من بعض أصحابه أن ينادوا: "يا منصور أمت"، "يا لثارات الحسين"، ثم لبس درعه وسلاحه ونهض على اسم الله ثائراً للطلب بدم الحسين من قاتليه!

نهض المختار برجاله، واقتراح عليه إبراهيم بن الأشتر أن يأذن له بالسير إلى رؤوس العسكر المنتشرين في الكوفة لأنهم بالتأكيد يمنعون من وصول أنصار المختار إليه، ويبقى المختار ينتظر من يأتيه، فوافق وطلب منه أن لا يبدأهم بقتال إلا إذا قاتلوه، فدخل إبراهيم الكوفة وطاف في سككها، فاعترضته خيل زحرين قيس الجعفي فشدّ عليهم وكشفهم وهو يقول: "اللهم إنك تعلم إنا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا"، ثم اعترضه سويد بن عبد الرحمن المنقري وكان يرجو أن يتمكن من القضاء عليه ويحظى بجائزة ابن مطيع، فقال إبراهيم لأصحابه: "يا شرطة الله أنزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله"، فنزلوا وشدوا عليهم وضربوهم حتى ولوا منهزمين، فتمكن إبراهيم وصحبه من فتح سكك الكوفة، وقال لأصحابه: "سيروا بنا إلى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحششته ونكون من أمره على علم...".

أقبل إبراهيم ومن معه نحو دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون إذ جاءهم شبت بن ربي وحجار بن أبحر العجلي بمن معهم، وبينما هم يقتتلون قدم إبراهيم بن الأشتر من جهة القصر فتنادوا أنّ إبراهيم قد جاءهم من ورائهم فانهزموا وتفرقوا في الأزقة والسكك، فرجع شبت - لعنه الله - لأمره خائباً طالباً منه أن يبعث الأمراء والقادة لقتال المختار وتدارك وضع الكوفة.

ولما بلغ المختار مشورة شبت بن ربي على ابن مطيع خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر "دير هند" بالكوفة وطلب من أحد أصحابه أن ينادي في بعض الأحياء التي لم تكن قد خرجت معه، فنادى:

- "يا لثارات الحسين"

- "يا منصور أمت"

فخرجوا من الدورينادون: "يا لثارات الحسين" ثم ضاربوا عسكرا بن مطيع حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في عسكره، وانضم لهم جماعة آخرين، وهكذا أخذ عدد أنصار المختار يزدادون شيئاً فشيئاً حتى فاق عددهم ثلاثة آلاف مقاتل قبل حلول الفجر من مجموع اثني عشر ألفاً كانوا قد بايعوه^(١).

في صبيحة اليوم التالي، استجمع ابن مطيع أمره وبعث شبت بن ربعي بثلاثة آلاف مقاتل وراشد بن إياس بن مضارب بأربعة آلاف مقاتل إلى المختار وهو في معسكره، ولما بلغ المختار خبر مسيرهم إليه أرسل إبراهيم بن مالك الأشتر في نحو من ألف مقاتل لمواجهة راشد بن إياس، وبعث نعيم بن هبيرة بثلاثمائة مقاتل لمواجهة شبت بن ربعي.

تمكن شبت - لعنه الله - من قتل نعيم بن هبيرة وهزيمة صحبه نتيجة الفارق العددي وأقبل زاحفاً نحو المختار حتى أحاط بعسكره وأردفه ابن مطيع بألفين آخرين بقيادة يزيد بن الحارث بن رؤيم، ولم يكن مع المختار من رجاله حينها غير يزيد بن أنس، فخرج المختار مع الرجالة وولّى خيله يزيد بن أنس، فأخذ يرفع همم أصحابه ويقول لهم:

"يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم إذا والله لا يدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولتروا منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منه إلا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدراك على هامهم فتيسروا للشدة وتهبأوا للحملة فإذا حركت رايتي مرتين فاحملوا".

أما إبراهيم بن الأشتر فقد ذهب بمن معه لملاقاة راشد بن إياس في أربعة آلاف، ونادى بصحبه: "لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة ولرب فئة قليلة قد غلبت

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٩٨ - ٥٠٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢١٨ - ٢٢٠.

فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"، وطلب من صاحب رايته أن يمضي قدماً واشتد القتال، فبصر أحد جند إبراهيم براشد بن إياس فحمل عليه فقتله، فانهزم أصحاب راشد. وبعث إبراهيم من يخبر المختار بمقتل راشد وانهزام الجمع ويبشرهم بالفتح، فكبروا واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الوهن والضعف.

أقبل إبراهيم ومن معه مسرعين نحو المختار، وكلما اعترضته جماعة من عسكريين مطيع هزمهم حتى اقترب من شبت وصحبه وحمل عليهم، وكان يزيد بن أنس (صاحب المختار) أمر أصحابه بالهجوم على شبت أيضاً، فانكشف جيش شبت وهربوا في الأرزقة والسكك خائبين.

ولما بلغ ابن مطيع مقتل راشد بن إياس وانهزام شبت ومن معه انهيار، فتحته عمرو بن الحجاج الزبيدي - لعنه الله - على ندب الناس والسير بهم لقتال المختار، وقال: "و أنا أول منتدب فاندب معي طائفة ومع غيري طائفة". وفعلاً، قام ابن مطيع فخطب في الناس فقال: "أيها الناس إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فينكم وإلا والله ليشارككم في فينكم من لا حق له فيه والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محريكم عليهم أمير منهم وإنما ذهاب عزمكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون ثم نزل".

وتمكن المختار وصحبه من دخول الكوفة من بعض أحيائها، فسقوهم أهل الحي الماء فشرّبوا إلا المختار فإنه كان صائماً، وأراد أن يقيم عسكره في ذلك المكان لكن ابن الأشرار أشار عليه بالتقدم نحو القصر، وقال: "قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا سرينا فوالله ما دون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كبير امتناع فقال المختار ليقم ههنا كل شيخ ضعيف وذو علة وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا ففعلوا".

سار المختار و قدّم ابن الأشرار أمامه، وكان ابن مطيع بعث عمرو بن الحجاج بألفي رجل لاعتراضهم، فأرسل المختار يزيد بن أنس لصدّه وقاتله وطلب من ابن الأشرار أن يستمر في سيره ولا ينشغل بهم، و أقبل شمربن ذي الجوشن - لعنه الله - بألفين فسرح لهم المختار

سعيد بن منقذ الهمداني وجماعة فقاتلوهم، وطلب من إبراهيم أن يستمر في التقدم ولا ينشغل بهم، وما زال ابن الأشتر مستمراً بالتقدم نحو القصر والمختار في أثره، وإذا هوبنوفل بن عبد الله بن مخرمة في خمسة آلاف:

قال حصيرة بن عبد الله: "إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه حتى إذا دنا منهم قال لهم أنزلوا فنزلوا فقال قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ثم امشوا إليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم أن يقال جاءكم شبت بن ربيعي وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال فسعى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حراسي سيف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب قال حصيرة فإني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود وقد شد بها على القباء وقد كفر بالقباء على الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدى لكم عمي وخالي قال فوالله ما لبثهم أن هزمهم فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه فقال له ابن مساحق يا ابن الأشتر أنشدك الله أتطلبني بثأر هل بيني وبينك من إحنة فحلى ابن الأشتر سبيله وقال له اذكرها فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكناسة ثم أثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثاً".

توَّى حصار ابن مطيع ومن كان معه في القصر ثلاثة من رجالات المختار، هم: إبراهيم بن الأشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميطة، وأما المختار فبقي معسكراً في جانب السوق، وفي ثالث أيام الحصار أشار شبت بن ربيعي - وكان مع ابن مطيع في القصر - على ابن مطيع بأن يأخذ لنفسه ولهم الأمان من المختار، فرفض ثم نصحوه أن يفر من القصر بزي النساء متخفياً ليلاً ويستتر ببعض بيوت الكوفة ثم منها إلى صاحبه (ابن الزبير). وفعلاً، هرب ابن مطيع في المساء وحلّى القصر، وفتح أصحابه الباب وسألوا ابن الأشتر الأمان فقبل فخرجوا وبايعوا المختار^(١).

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٠٠ - ٥٠٦: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٢٠ - ٢٢٥؛ ذوب النضار، ابن نما: ١٠٣ - ١٠٧.

المختار أميراً في الكوفة:

بيعة أهل الكوفة للمختار:

في اليوم التالي، قام المختار وخطب في الناس ودعاهم إلى بيعته وذكّرهم بأنه الطالب بدم ابن رسول الله، وجعله - أي الطلب بدم الحسين عليه السلام - شرطاً في بيعته (١).

(حدثنا المدائني، عن رجاله: أن المختار بن أبي عبيد الثقفي رحمه الله ظهر بالكوفة ليلة الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله والطلب بدم الحسين بن علي عليهما السلام ودماء أهل بيته رحمة الله عليهم والدفع عن الضعفاء) (٢).

(فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحليين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سلمنا) (٣).

ومهما يكن، فقد بايع الناس المختار، وأحسن السيرة فيهم ما أمكن، وقسم ما وجدته في بيت المال على المقاتلين الذي اشتركوا معه في الثورة، واستعمل على شرطته عبد الله

١- روى الطبري خطبته، قال: "الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه إلى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس إنه رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقليل لنا في الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية وبعدا لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلاً ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها ... وجعل يقول تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحليين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سلمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم" تاريخ الطبري: ٤ / ٥٠٧ - ٥٠٨.

وذكر ابن نما خطبته بنحو رواية الطبري، لكن باختلاف قليل، قال: "... ألا فهلموا عباد الله إلى بيعة المهدي، ومجاهدة الأعداء، والذب عن الضعفاء من آل محمد المصطفى، وأنا المسلم على المحليين، المطالب بدم ابن بنت رسول رب العالمين..." ذوب النصار: ١٠٧ - ١٠٨.

٢- الأمالي، الطوسي: ٢٤٠.

٣- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٢٦.

بن كامل الشاكري، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة. وعين شريحاً فترة قصيرة في القضاء ثم جعل مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود.

وأيضاً: باشر بإرسال عمّاله إلى مناطق مختلفة، فبعث عبد الله بن الحارث (أخو إبراهيم بن الأشتر لأمه) إلى أرمينية، ومحمد بن عمير بن عطاردي إلى أذربيجان، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى الموصل، وإسحاق بن مسعود إلى المدائن، وسعد بن حذيفة بن اليمان إلى حلوان، وآخرين إلى مناطق أخرى.

وبالنسبة للموصل، فقد كان ابن الزبير ولى عليها محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، فلما جاءه عبد الرحمن بن سعيد من طرف المختار تنحى عن الموصل وسلّمها له بدون قتال واستقر هو في تكريت فترة ثم جاء الكوفة وبايع المختار^(١).

وفي البصرة، حاول المثنى بن خزيمة العبيدي أن يأخذ له البيعة من أهلها لكنه لم يفلح^(٢)، وكان والي البصرة حينها الحارث بن أبي ربيعة "القباع" من طرف ابن الزبير، ثم عزله وولى عليها أخاه مصعباً، فكان يأوي قتلة الحسين ومن اشتركوا في قتاله وأعانوا عليه من الكوفيين المعروفين بانحرافهم عن علي وأبنائه عليهم السلام.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٠٩، ٥١٠: ذوب النضار، ابن نما: ١٠٩ - ١١٠.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٦: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٤.

قدوم ابن زياد إلى الموصل:

في أواخر سنة ٦٦ هـ، قصد عبید الله بن زياد الموصل بأمر من عبد الملك بن مروان، فكتب عامل المختار فيها (عبد الرحمن بن سعيد) إلى المختار يخبره بأن ابن زياد وجّه بخيله ورجاله إلى الموصل فاضطر إلى تركها والانحياز إلى تكريت، فانتدب المختار يزيد بن أنس لمهمة الموصل وقتال اللعين ابن زياد، فقال يزيد: "سرح معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم وخلصني والفرج الذي توجهنا إليه فإن احتجت إلى الرجال فسأكتب إليك"، فخرجوا من الكوفة وخرج معهم المختار يشيعهم، فقال لهم يزيد: "سلوا الله لي الشهادة وأيم الله لأن لقيتهم ففاتني النصر لا تفتني الشهادة إن شاء الله".

اقترب يزيد بن أنس بجيشه من الموصل وبلغ الخبر ابن زياد وعلم أن عددهم ثلاثة آلاف، فقال: "فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين"، وساروا لقتال أصحاب المختار، وكان يزيد بن أنس مريضاً يتكى على بعض صحبه، فقال لأصحابه: "يا شرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوكم تظفروا وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العدري فإن هلك فأميركم سعربن أبي سعرا الحنفي".

احتدم القتال بين الطرفين ويزيد بن أنس محمولاً على سرير من شدة المرض وهو مع هذا يتحامل على الألم أحياناً ويقوم بتوجيه جنده، وكان الظفر لأصحاب المختار؛ إذ تمكنوا من قتل ربيعة بن المخارق (قائد جيش ابن زياد) بعد انهزام أصحابه، ثم حاول عبد الله بن حملة (قائد شامي) ومن معه الكرة مرة أخرى بعد أن جمع الفارين وأعاد تعبئتهم لكن جيش المختار تمكن من هزيمتهم وقتلوا وأسروا المئات منهم، ورجع الباقين إلى ابن زياد خائبين.

وبعد انتهاء المعركة، اشتد بيزيد بن أنس المرض فمات رحمه الله، وكان قد أوصى بقيادة الجيش إلى ورقاء بن عازب الأسدي، فكسر موته قلوب أصحابه، وانسحب منهم جماعة، فقال ورقاء: "يا قوم ماذا ترون إنه قد بلغني أن عبید الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام"، وكان يرى في موت قائد الجيش حجة مناسبة للانسحاب بدلاً من مواجهة غير متكافئة، فوافقه أصحابه وتم الانسحاب.

تناول الناس في الكوفة هذا الحدث المهم، وبالرغم من غياب التفاصيل عنهم إلا أنهم عرفوا أنّ أمير الجيش مات، بل أشيع بينهم (بقصد كما سيتضح) أنه قُتل، والانسحاب تم، وعبيد الله بن زياد لم يُقتل، لذلك أوجفت قلوب الناس خيفة وانتشرت الإشاعات بينهم، فانتدب المختار إبراهيم بن الأشتر للمسير إلى ابن زياد وجمع له سبعة آلاف مقاتل - وقيل: اثنا عشر ألفاً - على أن يضيف لهم جيش يزيد بن أنس إذا التقاهم في الطريق^(١).

خرج المختار مع إبراهيم يشيِّعه ماشياً وإبراهيم راكباً يسير بجيشه، ولما سأله إبراهيم أن يركب وهو الأمير، فكان يرد عليه أنه يبتغي الأجر في سيره معهم ويحب أن يصيب قدميه الغبار في نصر آل محمد والطلب بدم الحسين عليه السلام!

(وشيِّع المختار إبراهيم بن مالك ماشياً، فقال: اركب يرحمك الله، وقال المختار: إني لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحب أن تتغبر قدماي في نصر آل محمد صلى الله عليه وآله، والطلب بدم الحسين عليه السلام ثم ودعه وانصرف، وبات إبراهيم بموضع يقال له: حمام أعين، ثم رحل حتى وافى ساباط المدائن)^(٢).

وللإنصاف أقول: لو كان هذا الموقف من المختار فقط لكفى في الرد على كل من يحاول الطعن في عقيدة هذا الرجل الشريف!

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٥١٤ - ٥١٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٢٨ - ٢٣١؛ ذوب النضار، ابن نما: ١١٠ - ١١٣.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ١١٣.

انقلاب فاشل يقوده قتلة الحسين:

بعد خروج إبراهيم بن الأشتر بجيشه من الكوفة، بانت القلة والضعف في جهة المختار، فاستغل "الجرذان = قتلة الحسين" الفرصة وخرجوا من الأقبية والحفر التي كانوا يستترون فيها خوفاً من سطوة المختار وانتقامه منهم، ولم يبق مشتركاً بقتل الحسين إلا وخرج مجاهراً بعداوة المختار ناقضاً بيعته ومؤلباً الناس عليه بحجج مختلفة، بعد أن أشاعوا أنّ جيشه انكسر في الموصل وأن قائد الجيش (زيد بن أنس) قُتل ولم يمت!

كان من حججهم: أنّ المختار تأمر ببدون رضا منهم، وأنه زعم تأييد ابن الحنفية له وهو لم يحصل، وأنه أحدث أموراً جعلت العبيد تعصي مواليها، وحرّم الناس أموالهم بعد أن قرّب الموالي منه وجعل لهم نصيباً من الفيء، وكان هذا الأمر هو الأهم بالنسبة لهم.

مثل هذا الكلام بدأ يتفشى بين الكثير من الناس في الكوفة، وقسم منهم كانوا يجتمعون في دار شبت بن ربيعي، ولما بلغ المختار كلامهم، أرسل على شبت وقال له: "إن أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن إليه من الايمان فقال شبت ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك فخرج فلم يرجع إلى المختار"، وأجمع رأيهم على قتاله^(١).

لم يكن الأمر بالنسبة لهم مسألة "مطالب" بقدر كونه حركة استباقية والقيام بانقلاب عسكري على المختار لإسقاط حكمه والتخلص منه، والسبب في ذلك واضح، فالمختار لم يفتأ عن التصريح بأنه ثار لأجل الطلب بدم الحسين عليه السلام والاقتصاص من قتلته، وحتى في كلامه الأخير مع شبت أكد ذلك، لذلك اجتمع "قتلة الحسين" وخططوا للانقلاب؛ لعلمهم بأن المختار سيقبض منهم في نهاية الأمر:

(قدامة بن حوشب قال: جاء شبت ابن ربيعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبت فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار وسأله أن

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥١٨؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣١.

يجيهم إلى ذلك وقال فيما يعتب المختار إنه تأمر علينا بغيررضى منا وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فحرب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسبايته البراءة من أسلافنا الصالحين قال فرحب بهم كعب بن أبي كعب وأجابهم إلى ما دعوه إليه^(١).

لكنه - أي: كعب الخثعمي - اقترح عليهم أن يترثوا حتى خروج إبراهيم بن مالك الأشتر نحو الموصل، فيكون الوقت مناسباً، وفعلاً بعد خروج إبراهيم بجيشه من الكوفة وثب كل من: شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وعمرو بن الحجاج، وزحر بن قيس، ويزيد بن الحارث بن رؤيم، وعبد الرحمن بن سعيد، وكعب بن أبي كعب الخثعمي، وعبد الرحمن بن مخنف، وحسان بن فائد وغيرهم لعنهم الله، ومعهم بعض الجماعات من القبائل الكوفية في أماكن متعددة من الكوفة وانتشروا فيها ومسكوا الطرق وقتلوا بعض أصحاب المختار قتلاً شديداً، إلى أن آل الأمر إلى محاصرة المختار ومن معه ومنعوا من وصول الغذاء والماء لهم إلا القليل.

اضطر المختار أن يؤجل حسم المعركة مع ابن زياد، وأن يبعث إلى إبراهيم بن الأشتر بالرجوع فوراً بمن معه إلى الكوفة، وبعث رسلاً إلى بعض الانقلابيين يخبروهم بأنهم إن كانوا يتحججون بعدم تأييد ابن الحنفية له فيمكنهم أن يبعثوا من قبلهم وفداً إليه ويسألوه، كذلك متأهم بتحقيق بعض مطالبهم أو النظر فيها، وكان غرض المختار من هذه العروض كسب الوقت بغية وصول ابن الأشتر وجيشه إليه. وفعلاً، طوى ابن الأشتر الطريق في سير حثيث، وفي صبيحة اليوم الثالث دخل الكوفة بجيشه^(٢).

إنها اللحظة التي ينتظرها المختار!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥١٨.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٥١٨ - ٥١٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣١ - ٢٣٢.

المختار ينتقم من قتلة الحسين:

بمجرد وصول إبراهيم بن الأشتر بجيشه إلى الكوفة، عبأ المختار أصحابه، وكان الانقلابيون جبهتين كبيرتين: جبهة مضرب بقيادة شيبث بن ربعي، وجبهة أخرى لأهل اليمن كان فيها شمربن ذي الجوشن، فسار إبراهيم ومن معه إلى جبهة شيبث، وسار المختار إلى الجبهة الثانية وقدم أمامه بعض أصحابه، واحتدم القتال في الجبهتين في الشوارع والطرق والأحياء التي تنتشر فيها عساكر الانقلابيين.

ثم إن إبراهيم بعث إلى المختار بشرى هزيمة جبهة شيبث، كما أن أصحاب المختار في الجبهة الأخرى تمكنوا من قتل بعض قادة الانقلابيين وأصابوا آخرين، وأسروا المئات منهم، ولما جاءوا بهم إلى المختار قال: "انظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً!"

وأمر مناديه ينادي: "إنه من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد" (١).

كان المختار يقول لأصحابه: "اطلبوا لي قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المصر منهم" (٢).

قال النضر بن صالح: (وخرج أشراف الناس فلققوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين بئس ناصر آل محمد أنا إذا الكذاب كما سموني فاني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به ورمحاً طعنهم به وطالب وترهم والقائم بحقهم انه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم وأن يذل من جهل حقهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم) (٣).

١- انظر تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢٠ - ٥٢٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣٣ - ٢٣٦: ذوب النضار، ابن نما: ١١٤ - ١١٦.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣٩.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣٩.

كان - رضوان الله عليه - غضباً وانتقاماً سلّطه الله على قتلة الحسين لعنهم الله، تماماً كما وصفه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وكما توعد به الحسين المظلوم صلوات الله عليه من خرجوا لقتله يوم عاشوراء، كما تقدم (١).

وبالنسبة إلى عدد من قتلهم المختار من قتلة الحسين عليه السلام، فقد لاحظنا أنه في موقف واحد قتل منهم مائتين وثمانية وأربعين مجرمًا بالكوفة، لكن العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير؛ إذ صار المختار يتبعهم بالكوفة رجالاً رجلاً، وكل من ظفربه منهم قتله ومن لم يظفربه أمر بهدم داره، فكثرت القتل والهدم فيهم حتى صار مضرِباً للأمثال (٢)!

بالتأكيد لم تذكر النصوص التاريخية مقتل كل رجل منهم؛ لأنهم كثيرون كما قلت، ولأن بعض الوقائع كرفت منهم آلافًا وصار قتلهم بالجملة كما حصل في معركة الخازم مع جيش الشام، وسيأتي ذكرها، باعتبار أن جيش الشام - كما عرفنا - هو الأصل في قتل الحسين وأما أهل الكوفة فقد كانوا أقلية وتبعاً لهم في المهمة، وقد تقدم في بحث سبب مسير التوابع إلى الشام أن هذه الحقيقة كانت واضحة لدى سليمان وصحبه (٣)، وهي أيضاً حقيقة واضحة لدى المختار، لهذا كان يعتبر قتال جيش الشام أساساً في ثورته وقيامه حتى إنه رمى بكل ثقله في جيش إبراهيم بن الأشتر عندما أراد بعثه لابن زياد، وفعلاً تمكّن جيش المختار بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر من إلحاق أكبر هزيمة بالأمويين في تاريخهم في الملمحة التي قُتل فيها معظم قادة الجيش الأموي وعلى رأسهم الطاغية المجرم ابن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع إضافة إلى الآلاف من جيش الشام الذين قضوا بين قتيل وغريق في معركة الخازم.

١- راجع البحث المتقدم: "الطلب بدم الحسين همّ المختار الأول".

٢- كان المختار يكلف أصحابه بتتبع قتلة الحسين ومنهم أبا عمرة، فكان (لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنه في دار أو في موضع إلا قصده، فهدم الدار بأسرها وقتل كل من فيها من ذي روح، وكل دار بالكوفة خراب في مما هدمها، وأهل الكوفة يضربون بها المثل، فإذا افتقر انسان قالوا دخل أبو عمرة بيته) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٢.

٣- راجع: ثورة التوابع، بحث: لماذا الشام؟

بهذا يمكننا أن نعرف أنّ المختار وصحبه تمكّنوا من قتل "آلاف" من قتلة الحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم^(١).

أما بخصوص النصوص التاريخية التفصيلية التي ذكرت أسماء بعينها، فهذه جملة منها:

١- عبيد الله بن زياد، الحسين بن نمير، شرحبيل بن ذي الكلاع لعنهم الله:

سيأتي بيان مقتلهم في معركة الخازر.

٢- عمر بن سعد لعنه الله:

(ثم إن المختار قال يوماً لأصحابه لأقتلن غدا رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسرقتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي، فعلم أنه يعني عمر بن سعد فرجع إلى منزله وأرسل إلى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك خيراً كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعده بن هبيرة أكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار ففعل وكتب له المختار أماناً وشرط فيه أن لا يتحدث وعنى بالحديث دخول الخلاء ثم إن عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فأتى حمامه فأخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت إلى ههنا أرجع ولا تجعل عليك سبيلاً فرجع وأتى المختار فأخبره بإطلاقه فقال كلا إن في عنقه سلسلة سترده وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة فأتاه وقال أجب الأمير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمرو وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير في العيش

١- صرح بعض المؤرخين أنّ عددهم بلغ ثمانية عشر ألفاً، قال ابن نما: (روي أن المختار قتل ثمانية عشر ألفاً ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام أيام ولايته وكانت ثمانية عشر شهراً) ذوب النصار: ١٤٥.

بعده فأمر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله (١).

(وكان المختار -رحمة الله عليه - قد سُئل في أمان عمر بن سعد بن أبي وقاص فأمنه على أن لا يخرج من الكوفة، فان خرج منها فدمه هدر، قال: فأتى عمر بن سعد رجل فقال: إني سمعت المختار يحلف ليقتلن رجلا والله ما أحسبه غيرك، قال: فخرج عمر حتى أتى الحمام فقيل له: أترى هذا يخفى على المختار؟ فرجع ليلاً فدخل داره، فلما كان الغد غدوت فدخلت على المختار، وجاء الهيثم بن الأسود فقعد فجاء حفص بن عمر بن سعد، فقال للمختار: يقول لك أبو حفص: أين لنا بالذي كان بيننا وبينك؟ قال: اجلس فدعا المختار أبا عمرة فجاء رجل قصير يتخشخش في "الحديد فساره" ودعا برجلين فقال: اذهبوا معي، فذهب فوالله ما أحسبه بلغ دار عمر بن سعد حتى جاء برأسه فقال المختار لحفص: أتعرف هذا؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال: يا أبا عمرة ألحقه به فقتله فقال المختار -رحمة الله عليه -: عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين ولا سواء (٢).

بمقتل عمر بن سعد - لعنه الله - تحقق وعد الإمام الحسين عليه السلام له بأنه لا ينال ملك الري بعد قتله له، ولا يهنأ من بر العراق إلا قليلاً وسيقتل بالكوفة (٣)!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣١.

٢- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦٢.

٣- في حوار دارين الإمام الحسين وعمر بن سعد لعنه الله قبل اندلاع القتال في عاشوراء: (... فقال له الحسين عليه السلام: ويحك يا بن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلي وأنا ابن من علمت؟ ذرهؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى، فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري، فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنها لك، فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء، فأنصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: ما لك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرتك، فوالله إني لأرجو ألا تأكل من بر العراق إلا يسيراً، فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البر مستزناً بذلك القول) العوالم، عبد الله البحراني: ٢٣٩.

(فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وطلبان بن عمارة التميمي حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب) (١).

وفي الكتاب أعلم المختار ابن الحنفية: (أنه قد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقيين ممن حضر قتل الحسين) (٢).

٣- شمر بن ذي الجوشن لعنه الله:

فرَّ شمر من الكوفة، وكان المختار قد بعث في طلبه غلاماً له اسمه "زربي" فلم يتمكن من الظفر به، ولما استقر شمر في قرية خارج الكوفة قام بمكاتبة مصعب بن الزبير في البصرة ليأويه، وكان المختار قد بعث صاحبه "أبا عمرة" إلى موضع قريب من القرية التي كان يختبئ فيها شمر، فتمكن بعض أصحابه من القبض على حامل كتاب شمر إلى مصعب، وبعد استجوابه أخبرهم بمكان شمر، فسار إليه أبو عمرة بصحبه وأحاطوا به، وفرَّ عنه من كان معه، وتمكّنوا من قتله (٣).

ولما جرى برأس الشمر - لعنه الله - إلى المختار، خرَّ ساجداً لله وأمر برأسه ورؤوس كانت معه فنصبت في رحبة الحذائين قرب الجامع (٤).

وروي أنّ أبا عمرة جاء بشمر أسيراً أثخنه الجراح إلى المختار، فأمر بضرب عنقه ورميه في زيت مغلي:

(وطلب المختار شمر بن ذي الجوشن فهرب إلى البادية فسعى به إلى أبي عمرة فخرج إليه مع نفر من أصحابه فقاتلهم قتالاً شديداً فأثخنه الجراحة، فأخذ أبو عمرة أسيراً

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٢.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٢.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢٤ - ٥٢٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

٤- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١١٧ - ١١٨.

وبعث به إلى المختار فضرب عنقه وأغلى له دهناً في قدر فقذفه فيها فتفسخ، ووطئ مولى لآل حارثة بن مضروب وجهه ورأسه) (١).

٣- خولى بن يزيد لعنه الله:

(ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبجي وهو صاحب رأس الحسين فاختم في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ما تريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدري وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار) (٢).

٤- سنان بن أنس لعنه الله:

(وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعى قتل الحسين فوجده قد هرب إلى البصرة فهدم داره) (٣).

٥- حرملة بن كاهل الأسدي لعنه الله:

(عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام منصرفي من مكة، فقال لي: يا منهال! ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟ فقلت: تركته حيا بالكوفة، قال: فرقع يديه جميعا ثم قال عليه السلام: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار.

قال المنهال: فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان لي صديقا فكنت في منزلي أياما حتى انقطع الناس عني وركبت إليه فلقيته خارجا من داره فقال: يا منهال لم تأتني في ولايتنا هذه ولم تهنئنا بها، ولم تشركنا فيها؟ فأعلمته أنني كنت بمكة وأنني

١- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦٣.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٠: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣١.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٥: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٣.

قد جئتك الآن، وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس فوقف وقوفا كأنه ينتظر شيئا وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهل فوجه في طلبه، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون، حتى قالوا: أيها الأمير البشارة، قد اخذ حرملة بن كاهل فما لبثنا أن جيئ به، فلما نظر إليه المختار، قال لحرملة: الحمد لله الذي مكنتني منك، ثم قال: الجزار الجزار فأتي بجزار. فقال له: اقطع يديه فقطعنا، ثم قال له: اقطع رجله، فقطعنا، ثم قال: النار النار فأتي بنار وقصب فالقي عليه فاشتعل فيه النار. فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إن التسبيح لحسن ففيم سبحت؟ فقلت: أيها الأمير دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن الحسين عليهما السلام، فقال لي: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟ فقلت: تركته حيا بالكوفة، فرفع يديه جميعا فقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. فقال لي المختار: أسمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول هذه؟ فقلت: والله لقد سمعته يقول هذا، فنزل عن دابته وصلى ركعتين فأطال السجود، ثم قام فركب وقد احترق حرملة وركبت معه وسرنا فحاذيت داري، فقلت: أيها الأمير إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي، فقال: يا منهال تعلمني أن علي بن الحسين عليهما السلام دعا بأربع دعوات، فأجابه الله على يدي ثم تأمرني أن أكل؟ هذا يوم صوم شكرا لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه، وحرملة هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام) (١).

٦- محمد بن الأشعث لعنه الله:

(وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية فبعث المختار إليه حوشبا سادن الكرسي في مائة فقال انطلق إليه فإنك تجده لاهيا متصيذا أو قائما متلبدا أو خائفا متلدا أو كامنا متغمدًا فإن قدرت عليه فأتني برأسه فخرج حتى أتى قصره فأحاط به وخرج منه محمد بن الأشعث فلحق بمصعب وأقاموا على القصر وهم يرون أنه فيه ثم إنهم دخلوا فعلموا أنه قد فاتهم فانصرفوا إلى المختار فبعث إلى داره فهدمها وبني بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي وكان زياد بن سمية قد هدمها) (٢).

١- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦٤ - ٦٦٥.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٤.

ملاحظة: قتل محمد بن الأشعث لاحقاً على يد جيش المختار في معركة المذار.

٧- مرة بن منقذ العبيدي لعنه الله:

(وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله بن كامل وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن منقذ بن النعمان العبيدي وكان شجاعاً فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج إليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامي فصرعه ولم يضره قال وضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأقلت ولحق بمصعب وشلت يده بعد ذلك) (١).

٨- حكيم بن طفيل لعنه الله:

(ثم ان المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسرياله وما ضره فأتاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلّمهم عدي فيه فقالوا ذلك إلى المختار فمضى عدي إلى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة إنا نخاف أن يشفعه المختار فيه فقتلوه رمياً بالسهم كما رمى الحسين حتى صار كأنه القنفذ.....) (٢).

٩- زيد بن رقاد لعنه الله:

(وبعث المختار إلى زيد بن رقاد الجنبي كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وأنه قال حين رميته اللهم إنهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جنته وهو ميت فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أنضنضه الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقي النصل فلما

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٢.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٢: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٣ - ٥٣٤.

أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حياً^(١).

١٠ - عبد الله بن أسيد، مالك بن هيثم، حمل بن مالك لعنهم الله:

(قال المرزباني: وأتوه بعبد الله بن أسيد الجهمي ومالك بن هيثم البدائي، وحمل ابن مالك المحاربي من القادسية، فقال لهم المختار: يا أعداء الله، أين الحسين بن علي؟ قالوا: أكرهنا على الخروج. قال: أفلا مننتم عليه وسقيتموه من الماء؟! وقال للبدائي: أنت أخذت برنسه؟ قال: لا. قال: بلى، وأمر بقطع يديه ورجليه، والآخران ضرب أعناقهما)^(٢).

١١ - بجدل بن سليم الكلبي لعنه الله:

(وأتوه ببجدل بن سليم الكلبي، وعرفوه أنه أخذ خاتمه - أي خاتم الحسين -، وقطع إصبغه، فأمر بقطع يديه ورجليه، فلم يزل ينزف دما حتى مات)^(٣).

١٢ - رقاد بن مالك، عمران بن خالد، عبد الرحمن البجلي، عبد الله بن قيس لعنهم الله:

(وأتوه برقاد بن مالك وعمر بن خالد وعبد الرحمان البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني، فقال المختار: يا قتلة الصالحين، لقد أخذتم الورد في يوم نحس، وكان في رجل الحسين عليه السلام ورس فاقتموه وقت تهب رحله عليه السلام، فأخرجهم إلى السوق وضرب أعناقهم)^(٤).

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٤٣؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٥٣٤ - ٥٣٥.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٣؛ وانظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٥٢٩؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

٣- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٣.

٤- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٣ - ١٢٤؛ وانظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٥٢٩ - ٥٣٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٤٠، وفيهما: زياد بن مالك بدل رقاد بن مالك. والورد: نبات شبيه بالزعفران يستعمل للصبغ.

١٣ - عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب، عبد الله بن وهب لعنهم الله:

(عن حميد بن مسلم قال جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب في أثري وشغلوا بالاحتباس عليهما عني فنجوت وأخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد فأخذوه فانتهموا بهم إلى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق فهؤلاء ثلاثة) (١).

١٤ - عثمان بن خالد، بشر بن شميظ لعنهما الله:

(وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد الجهني وأبو أسماء بشر بن شميظ وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار) (٢).

١٥ - عمرو بن صبيح لعنه الله:

(وطلب - أي المختار - رجلاً من صدهاء يقال له عمرو بن صبيح وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجرجت فيهم وما قتلت منهم أحداً ... فجئ به إلى المختار فحبسه معه في القصر فلما أن أصبح أذن لأصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل ودخل الناس وحيء به مقيداً فقال المختار عليّ بالرماح فأتى بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات) (٣).

١٦ - عبد الله بن عقبة الغنوي لعنه الله:

(وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب ولحق بالجزيرة فهدم داره وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاماً) (٤).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٠.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٠؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٠، وفيه: بشر بن سوط بدل: "شميظ".

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٤. وقوله "طعنت بعضهم": أي طعن بعض من كان في معسكر الحسين عليه السلام.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٣٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٣. قتل منهم: أي من معسكر الحسين عليه السلام.

١٧- عبد الله بن عروة الخثعمي لعنه الله:

(وطلب - أي المختار - رجلاً من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول رميت فيهم باثني عشر سهماً ضيعة ففاته ولحق بمصعب فهدم داره) (١).

١٨- أسماء بن خارجة الفزاري لعنه الله:

(وكان أسماء بن خارجة الفزاري ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل رحمه الله، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتنزّل نار من السماء، دهماء، حمراء، سحماء، تحرق دار أسماء. فيبلغ كلامه إليه، فقال: سجع أبو إسحاق، وليس هاهنا مقام بعد هذا، وخرج من داره هارباً إلى البادية، فهدم داره ودور بني عمه) (٢).

كان انتقام المختار من قتلة الحسين شديداً جداً، فدم الحسين المسفوك ظملاً أظلم عليهم نهارهم ونكد عليهم عيشهم وأيامهم التي تيقنت لهم بعد قتلهم إياه! وقد اشتد أمر المختار ضراوة، وتوهجت شعلة تأريحانة الرسول في نفسه أكثر بعد قتله عبید الله بن زياد لعنه الله، فصار يتتبع كل المشتركين بقتل الحسين والمعينين على قتله، حتى من أكل أو أخذ شيئاً من لحم الإبل التي انثبت من رحل الحسين يوم عاشوراء، أحصاهم وحيء بهم إليه وأمر بقتلهم، ومن لم يعثر عليه منهم أمر بهدم داره:

(واشتد أمر المختار بعد قتل ابن زياد وأخاف الوجوه وقال: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتى أقتل قتلة الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته وما من ديني أترك أحداً منهم حياً وقال: أعلموني من شرك في دم الحسين وأهل بيته، فلم يكن يأتونه برجل فيقولون إن هذا من قتلة الحسين أو ممن أعان عليه إلا قتله. وبلغه أن شمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - أصاب مع الحسين إبلا فأخذها، فلما قدم الكوفة نحرها وقسم لحومها، فقال المختار:

١- تاريخ الطبري: ٤/ ٥٣٥: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٢٤٤. وقوله "رميت فيهم": أي رمى على معسكر الحسين عليه السلام.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٤.

أحصوا لي كل دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم فأحصوها فأرسل إلى من كان أخذ منها شيئاً فقتلهم، وهدم دوراً بالكوفة^(١).

انتقام المختار من قتلة الحسين وتضييق الأرض بما رحبت عليهم، أطمع العبيد في الكوفة فثاروا على مواليمهم وساداتهم الذين اشتركوا بقتل الحسين أو أعانوا عليه فقتلهم وأهانوهم، ولما جاؤوا إلى المختار أعتقهم وصاروا أحراراً!

- (ولم يزل المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام وأهله حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وهرب الباقيون فهدم دورهم، وقتلت العبيد مواليمهم الذين قاتلوا الحسين عليه السلام وأتوا المختار فأعتقهم)^(٢).

- (وقتل العبيد مواليمها، وجاءوا إلى المختار فأعتقهم، وكان العبد يسعى بمولاه فيقتله المختار، حتى إنَّ العبد ليقول لسيدته: احملني على عنقك فيحمله، ويدلي رجليه على صدره إهانة له ولخوفه من سعائته به إلى المختار)^(٣).

لله صنيعك أبا إسحاق، وأنت تشفي صدور قوم مؤمنين، بتطهير الأرض من الطغاة والجباية الذين سعوا في قتل آل الرسول وتمريغ أنوفهم بأقدام عبيدهم!

وبعض من لم ينله سيف المختار من قتلة الحسين عليه السلام، ناله سواد الوجه وخزي الدنيا قبل الآخرة، وفي ذلك روايات كثيرة هذه نماذج منها:

• (عن القاسم بن الأصبع بن نباتة قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم اسود الوجه وكنت اعرفه جميلاً شديد البياض فقلت له: ما كدت أعرفك! قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا اتاني فيأخذ بتلابيبي

١- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦٢.

٢- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦٣.

٣- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٤ - ١٢٥.

حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصيح فما يبقى في الحي إلا سمع صياحي. قال: والمقتول العباس ابن علي عليه السلام^(١).

• (محمد بن سليمان، قال: حدثني عمي، قال: لما خفنا أيام الحجاج، خرج نفر منا من الكوفة مستترين، وخرجت معهم فصرنا إلى كربلاء، وليس بها موضع نسكنه، فبيننا كوخا على شاطئ الفرات وقلنا ناوي إليه، فبيننا نحن فيه إذ جاءنا رجل غريب فقال: أصير معكم في هذا الكوخ الليلة فإني عابر سبيل، فأجبناه وقلنا غريب منقطع به. فلما غربت الشمس وأظلم الليل أشعلنا، فكنا نشعل بالنفط، ثم جلسنا نتذكري أمر الحسين بن علي عليهما السلام ومصيبته وقتله ومن تولاه، فقلنا: ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا رماه الله ببليية في بدنه. فقال ذلك الرجل: فأنا قد كنت فيمن قتله، والله ما أصابني سوء له، وإنكم يا قوم تكذبون؟ فأمسكنا عنه، وقل ضوء النفط، فقام ذلك الرجل ليصلح الفتيلة بإصبعه، فأخذت النار كفه، فخرج ونادى حتى ألقى نفسه في الفرات يتغوص به، فوالله لقد رأيناه يدخل رأسه في الماء والنار على وجه الماء، فإذا أخرج رأسه سرت النار إليه فتغوصه إلى الماء، ثم يخرجته فتعود إليه، فلم يزل ذلك دأبه حتى هلك)^(٢).

• (عن يعقوب ابن سليمان قال: سهرت أنا ونفر ذات ليلة فتذاكرنا قتل الحسين عليه السلام فقال رجل من القوم: ما تلبس أحد بقتله إلا أصابه بلاء في أهله وماله ونفسه، فقال شيخ من القوم: فهو والله ممن شهد قتله وأعان عليه فما أصابه إلى الآن أميركرهه فمقتته القوم وتغير السراج وكان دهنه نفطاً فقام إليه ليصلحه فأخذت النار بإصبعه فنفخها فأخذت بلحيته فخرج يبادر إلى الماء فألقى نفسه في النهر وجعلت النار ترفرف على رأسه فإذا أخرجته أحرقته حتى مات لعنه الله)^(٣).

١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٨ - ٧٩. شاب أمرد: أي طغا وتجاوز الحد، إشارة إلى شجاعة العباس بن علي عليه السلام وفروسيته.

٢- الأمالي، الطوسي: ١٦٢ - ١٦٣.

٣- ثوب الأعمال وعقاب الأعمال، الصدوق: ٢١٨.

ابن الزبير يغدر بالمختار وابن الحنفية:

ذكرنا سابقاً، أنّ مروان بن الحكم بعد أن بسط نفوذه في الشام عزم على بعث جيشين؛ جيش إلى العراق وآخر إلى الحجاز، لكنه هلك قبل أن يرى النتائج، فقرر ابنه عبد الملك بعد استلام الحكم بأشهر قليلة أن يكمل ما بدأه والده، فبعث في سنة ٦٦ هـ جيشاً إلى الحجاز للقضاء على ابن الزبير، فأراد المختار مداراة ابن الزبير؛ تجنباً لغائلته وغدره لا سيما وأنّ القسم الأكبر من قتلة الحسين (ابن زياد وجيش الشام) لم ينالهم سيفه بعد، إضافة إلى أنّ المختار علم بعزم ابن زياد على المسير إلى الكوفة بجيش جرّار. وأيضاً: كان المختار يخشى أن يسير إليه مصعب بن الزبير بجيش من البصرة بعد اجتماع الفارين من الكوفة عنده، ولا طاقة له على مواجهة الاثنين في وقت واحد، فلأجل ذلك أراد موادعة ابن الزبير ومداراة من خلال إرسال جيش للحجاز.

وفعلاً، عبأ المختار ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم شرحبيل بن وورس الهمداني، فساروا ونزلوا بوادي القرى (وادي تجاري ومهم يقع على مقربة من خيبر)، ولم يكن هدفهم إعانة ابن الزبير على القتال، بل الأكثر من هذا، حيث طلب المختار من شرحبيل بن وورس أن يدخل المدينة ويطرد والي ابن الزبير منها ليقوم هو ببعث والي عليها من قبله، وأمره بالمسير منها إلى مكة لقتال ابن الزبير إن تمكن من ذلك.

ابن الزبير من جهته، توجّس من أن يكون إرسال الجيش مكيدة من قبل المختار، فاحتاط للأمر وبعث عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يجمع معه ما استطاع من الأعراب وقال له: "ان رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم وإلا فكأيدهم حتى تهلكهم".

التقى الجمعان في الرقيم (قرب المدينة)، فقال عباس لابن وورس: "ألست في طاعة ابن الزبير فقال له ابن وورس: بلى قال: فسربنا إلى عدوه هذا الذي بوادي القرى فان ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم قال ابن وورس: ما أمرت بطاعتك إنما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة فإذا نزلتها رأيت رأيي قال له عباس ابن سهل: فان كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين بوادي القرى فقال له ابن وورس: ما أمرت بطاعتك وما أنا بمتبعك دون أن أدخل المدينة ثم اكتب إلى صاحبي فيأمرني

بأمره فلما رأى عباس بن سهل لجاجته عرف خلافه فكره أن يعلمه أنه قد فطن له فقال:
فرأيك أفضل اعمل بما بدا لك فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى!"

ثم كادهم عباس بن سهل، فأهدى لهم جزراً ودقيقاً وغنماً وقد أضربهم الجوع، فاطمأنوا لهم وانشغلوا بإعداد الطعام وتفرقوا بعد أن كانوا معبئين للقتال، فاستغل ابن سهل الفرصة وغدر بهم وحمل عليهم بألف رجل، ولما رآهم ابن وورس مقبلين بالسيف نادى على أصحابه فلم يجتمع له سوى القليل منهم، فقتلوا ابن وورس وانهمز جيشه، وأسر جماعة منهم ثم قتلوهم لاحقاً، ووصل قسم من الناجين إلى الكوفة.

ولما علم المختار بالأمر قام خطيباً، فقال: "ألا إنَّ الفجَّار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ألا إنه كان أمراً مأتياً وقضاء مقضياً"، وكتب إلى ابن الحنفية كتاباً عرفه فيه بما جرى وعرض عليه أنه إن أراد أن يرسل له جيشاً عظيماً فعل، فكتب إليه ابن الحنفية: "أما بعد فإن كتابك لما بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقي وما تنوي به من سروري وإنَّ أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت واعلم أي لو أردت القتال لوجدت الناس إليّ سراعاً والأعوان لي كثيراً ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين"^(١).

بحسب بعض المؤرخين: بعد هذه الحادثة استدعى ابن الزبير محمد بن الحنفية وأهل بيته إلى مكة وكان معه بعض وجهاء الكوفة، وطلب منهم البيعة فامتنعوا بحجة عدم اجتماع الأمة عليه، فامتعض ابن الزبير وأكثر من الوقعة فيهم، ثم أمر بجسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق بالنار إن لم يبايعوه وضرب لذلك أجلاً. فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه بالكتابة إلى المختار، فكتب إليه وطلب منه النجدة، ولما بلغ كتابه المختار، انتفض وقال: "لست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وإن لم أسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل! يعني ابن الزبير، وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة".

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٤٠ - ٥٤٤؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٤٧ - ٢٤٩.

ثم أرسل له قوة تمكنت من الوصول إلى مكة قبل انتهاء الأجل بيومين، فدخلوا المسجد الحرام وهم يحملون راياتهم وينادون: "يا لثارات الحسين" حتى انتهوا إلى زمزم وأخرجوا ابن الحنفية ومن معه، وكان ابن الزبير يسميهم الخشبية؛ لأنهم دخلوا مكة وبأيدهم الخشب ولم يشهروا سيوفهم رعاية لحرمة الحرم.

وعموماً، خرج ابن الحنفية ومن معه من موضع حبسهم إلى شعب علي وبقوا فيه إلى أن بلغهم مقتل المختار في الكوفة، فاستتب الوضع أكثر لابن الزبير فعاد وطلب من ابن الحنفية البيعة، فأشار على أصحابه أن يتركوا مكة ويفارقوه فأبوا، وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فدعاه للقدوم إلى الشام فخرج هو وأصحابه قاصدين الشام، ولما وصل "مدين" بلغه خبر غدر عبد الملك بعمر بن سعيد وقتله فخاف أن يغدر به أيضاً وندم على مسيره وأقام في "أيلة"^(١) وتحدث الناس فيه فانزعج عبد الملك من دعوته له وطلب منه البيعة إن أراد المقام، وقال: "لا يكون في سلطاني من لم يبايعني"، فارتحل راجعاً إلى مكة ونزل شعب أبي طالب بمن معه، فألحَّ ابن الزبير عليه بترك مكة إن لم يبايع وطلب من أخيه مصعب أن يسير إليه بعض نساء أصحاب ابن الحنفية، فسير إليه بعضهن، وتجنباً للاقتتال رحل ابن الحنفية من مكة إلى الطائف، وكذا فعل ابن عباس حيث توفي هناك وصلى عليه ابن الحنفية، ثم رجع إلى مكة وأقام في شعب أبي طالب في أيام حصار الحجاج بن يوسف لابن الزبير.

وبعد مقتل ابن الزبير طلبه الحجاج ليبايع إلى عبد الملك، وكان ابن الحنفية رافضاً البيعة أول الأمر ثم بعث إلى عبد الملك كتاباً بيد عبد الله الجدلي يطلب فيه أموراً، وبعد رجوع الكتاب من عبد الملك بالأمان حضر عند عبد الملك بن مروان في الشام وبايعه^(٢).

١- قرية في الأردن، ضمن مدينة العقبة حالياً.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٥٠ - ٢٥٣: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢٨٠ - ٢٩٢.

معركة الخازر ومقتل ابن زياد لعنه الله:

بمجرد أن انتهى المختار من القضاء على التمرد الذي قاده قتلة الحسين عليه السلام وتطهير الكوفة منهم، أمر إبراهيم بن مالك الأشتر بالمسير بجيشه إلى عبيد الله بن زياد، وقد أخرج معه وجوه أصحابه وفرسانهم ورمى بكل ثقله؛ لأهمية الأمر عنده.

خرج المختار مع إبراهيم يشيِّعه، وقال له: "خذ عني ثلاثاً خف الله في سر أمرك وعلايته وعجل السير وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله ثم قال هل حفظت ما أوصيتك به قال نعم قال صحبك الله ثم انصرف" (١).

سار إبراهيم بجيشه - قيل: كان عددهم عشرة آلاف (٢) - مسرعين، وكانوا يريدون أن يسبقوا عبيد الله ويناجزوه بـ "خازر" على تخوم أرض العراق، التقى الجيشان بخازر، وكان جيش الشام أضعاف جيش إبراهيم، فعبأ إبراهيم جيشه وأمرهم بالزحف نحو جيش الشام حتى أشرف عليهم، ونادى بأصحابه مرغباً لهم ورافعاً همهمم بالقتال:

"يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه ... حتى قتله وقتل أهل بيته فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قد جاءكم الله به وجاءه بكم فوالله إني لأرجو أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم" (٣).

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٤٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٥٨.

٢- انظر: ذوب النصار، ابن نما: ١٣٠.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٥٤.

فزحف لهم أهل الشام بعسكر يفوق الثمانين ألفاً^(١)، وقد جعل اللعين ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير وعلى ميسرته عمير بن الحباب وعلى خيله شرحبيل بن ذي الكلاع، وسار هو مع الرجال. وحمل الحصين على ميسرة جيش إبراهيم واحتدم القتال بين الطرفين، فقاتل إبراهيم وهو كاشف عن رأسه وينادي بصحبه: "يا شرطة الله إليّ أنا ابن الأشر". طلب إبراهيم من صاحب رايته أن ينغمس فيهم بالعمق، وتقدم هو يضرب فيهم بسيفه وما ضرب أحداً إلا صرعه، كانوا يهربون من أمامه كالغنم! وحمل أصحابه حملة رجل واحد، وبالرغم من الفارق الكبير بينهم وبين جيش ابن زياد إلا أنّ الشاميين انهزموا من أمامهم بعد قتال شديد، وتمكن إبراهيم من الوصول إلى ابن زياد وقتله وقده نصفين، وأيضاً: قُتل في المعركة الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع:

(قال ابن الأشر: قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك شرقت يداه وغرّبت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازز فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ضربه فقدمه بنصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداها في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ونادى التغلبي اقتلونني وابن الزانية فقتل ابن نمير... قال: قتل شرحبيل بن ذي الكلاع فادعى قتله ثلاثة سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي وورقاء بن عازب الأسدي وعبيد الله بن زهير السلمي)^(٢).

وكثر القتل في جيش الشام وأشرافهم، وكثيرون منهم ماتوا غرقاً في نهر الخازر بعد أن طاردهم جيش المختار.

المختار من جانبه، خرج بالناس من الكوفة تحسباً لأي طارئ يصله من إبراهيم، واستخلف على الكوفة السائب بن مالك، ونزل بساباط (قرب المدائن)، فلما بلغه الفتح على يد إبراهيم بن الأشرم قتل ابن مرجانة - لعنه الله - عاد إلى الكوفة، وسار إبراهيم

١- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٣٢.

٢- تاريخ الطبري: ٤/ ٥٥٥ - ٥٥٦.

بن الأشتر وجيشه إلى الموصل وبعث عماله عليها، وغلب على سنجار وما والاها وصولاً إلى نصيبين (١).

ثم إن إبراهيم بن الأشتر صلب ابن زياد منكوساً (٢). وبعث البشارة بالنصر ومقتل ابن زياد إلى المختار (٣).

(وبعث ابن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار وأعيان من كان معه فقدم بالرؤوس والمختار يتغدى فألقيت بين يديه، فقال: الحمد لله رب العالمين وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام بين يدي ابن زياد - لعنه الله - وهو يتغدى، و أتيت برأس ابن زياد وأنا أتغدى، قال: وانسابت حية بيضاء تخلل الرؤوس حتى دخلت في أنف ابن زياد - لعنه الله - وخرجت من أذنه ودخلت في أذنه وخرجت من أنفه (٤)، فلما فرغ المختار من الغداء قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بها إلى مولى له وقال: اغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر.

وخرج المختار إلى الكوفة وبعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير (ورأس شربيل بن ذي الكلاع) مع عبد الرحمان بن أبي عمير الثقفي وعبد الله بن شداد الجشي والسائب بن مالك الأشعري إلى محمد بن الحنفية بمكة، وعلي بن الحسين عليهما السلام يومئذ بمكة وكتب إليه معهم وقدموا بالكتاب والرؤوس عليه فبعث برأس ابن زياد - لعنه الله عليه - إلى علي بن الحسين عليهما السلام فادخل عليه وهو يتغدى فقال علي بن الحسين عليهما السلام: أدخلت علي ابن زياد - لعنه الله - وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٤٨ - ٥٥٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٦١ - ٢٦٥.

٢- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٤٢.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٦٥.

٤- هذه الحادثة رويت في روايات ومصادر كثيرة، هذا مثال لها:

- "عن عمار بن عمير النخعي قال: لما حيا برأس عبيد الله بن زياد لعنه الله ورؤوس أصحابه عليهم غضب الله قال انتهيت إليهم والناس يقولون قد جاءت قال فجاءت حية تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد لعنه الله عليه ثم خرجت فدخلت في المنخر الآخر" ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الصدوق: ٢١٩.

- قال ابن الأثير: (وأنفذ رأس عبيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قواده فألقيت في القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مراراً أخرج هذا الترمذي في جامعه) الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٦٥.

فقلت: اللهم لا تمتني حتى تربيني رأس ابن زياد وأنا أنغدى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي. ثم أمر فرمي به ... (١).

(فبعث رأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام فادخل عليه وهو يتغدى، فسجد شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار خيراً. ثم قال عليه السلام: أدخلت على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهم لا تمتني حتى تربيني رأس بن زياد. ...

وروى المرزباني بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد - لعنه الله -.

وعن عبد الله بن محمد بن أبي سعيد، عن أبي العيناء، عن يحيى ابن راشد، قال: قالت فاطمة بنت علي: ما تحنأت امرأة منا، ولا أجالت في عينها مروداً، ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد (٢).

ثم إن إبراهيم بن الأستر بعد أن قتل عبيد الله بن زياد - لعنه الله - أقام في الموصل، وعاد قسماً من جيشه إلى الكوفة؛ لأنهم رأوه لا يرغب بالعودة إلى الكوفة (٣).

١- العوالم، عبد الله البحراني: ٦٦١ - ٦٦٢.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ١٤٤ - ١٤٥.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٠؛ ذوب النضار، ابن نما: ١٤٩، تنذيل على الكتاب: للشيخ لطف الله بن محمد.

معركة المذار:

المذار: موضع بين البصرة وواسط، يقع حالياً في مدينة ميسان. وهو الموضع الذي حدثت فيه المعركة بين جيش المختار وجيش مصعب بن الزبير في سنة ٦٧ هـ.

الكوفيون الذين خرجوا على المختار في التمرد الذي قاده قتلة الحسين كانوا قد لحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، ومنهم: شيبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم. وبعد اجتماعهم عنده سألوه أن ينصرهم ويسير بجيشه إلى المختار، وهو أمر يتوق له آل الزبير بطبيعة الحال؛ لا سيما وأن المختار سلب منهم فيء الكوفة وخراجها وطرد والهيم (ابن مطيع) منها، فرحب مصعب بن الزبير بالفكرة وكتب إلى عامله على فارس (المهلب بن أبي صفرة) بالقدوم عليه، ثم أرسل له محمد بن الأشعث ليأتيه به بعد تعلله وتأخره عليه، وأخيراً أتاه المهلب بجموع كبيرة وأموال كثيرة، وبدأ مصعب بعسكرة جيشه والسير بهم إلى الكوفة^(١).

بلغ المختار خبر مسير مصعب إليه، فقام في أصحابه فقال: (يا أهل الكوفة يا أهل الدين وأعداء الحق وأنصار الضعيف وشيعة الرسول وآل الرسول إن فراركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغوهم عليكم ليمحص الحق وينتفش الباطل ويقتل أولياء الله والله لو تهلكون ما عبد الله في الأرض إلا بالفري على الله واللعن لأهل بيت نبيه انتدبوا مع أحمر بن شميظ فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم فخرج أحمر بن شميظ فعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميظ كما كانوا مع ابن الأشتر فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار فأنصرفوا عنه وبعثهم المختار مع ابن شميظ وبعث معه جيشاً كثيفاً فخرج ابن شميظ فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري وسار أحمر بن شميظ حتى ورد المذار وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً^(٢)).

١ - انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٦٧ - ٢٦٨. وذكر بعض المؤرخين أن عدد جيش مصعب بلغ ثلاثين ألفاً، انظر: ذوب النصار، ابن نما: ١٤٩، تذييل على الكتاب: للشيخ لطف الله بن محمد.

٢ - تاريخ الطبري: ٤ / ٥٥٩ - ٥٦٠.

عباً مصعب جيشه، وكذلك فعل ابن شميظ بجيشه فجعل عبد الله بن كامل على ميمنته، وعبد الله بن وهب على ميسرته، ورزين السلوي على الخيل، وكثير بن إسماعيل على الرجالة، وكيسان أبا عمرة على الموالي. وأثناء التعبئة اقترح عبد الله وهب عليه أن يُنزل معه الموالي ليقاتلوا راجلين ولا يتركهم على الخيل؛ بحجة ضمان مشاركة الراجل بالقتال بخلاف الفارس فإنه يتمكن من الفرار إذا ما طورد!

بعض المؤرخين روى القصة بنحوٍ اعتبر فيه اقتراح ابن وهب مكيدة منه بالموالي، لما لاقاه أهل الكوفة منهم فكاد لهم مكيدة لا ينجو منها أحد. ولم يتفطن ابن شميظ لها^(١).

وعموماً، كانت نتيجة المعركة هزيمة جيش المختار ومقتل قادة الجيش وأغلب المقاتلين فيه إلا قليلاً من أصحاب الخيول.

مقتل المختار:

بلغ المختار هزيمة جيشه ومقتل رجاله في معركة المذار، فقال: "ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب إليّ من مثل ميتة ابن شميظ حبّذا مصارع الكرام"^(٢)!

المختار أنجز المهمة الموعود بها بآتم وجه أتيح له، فما بلغه من أئتمته الطاهرين صلوات الله عليهم من كونه المنتقم لدم سبط رسول الله قد تحقق، وتمكّن بفضل الله عليه أن يقتص من آلاف ممّن اشتركوا وأعانوا على قتل الحسين وأهل بيته!

المختار منذ أول لحظة باشر فيها الإعداد لثورته وقيامه كان يتوقع القتل، لكنه كان يطلب من الموت أن يمهلك حتى ينجزمهمته!

كان يقول: "أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتّار في جموع من الأنصار... حتى

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٠: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٦٨ - ٢٦٩.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٢: أنساب الأشراف، البلاذري: ٦ / ٤٣٦.

إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدح المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى" (١).

عموماً، أقبل مصعب بجيشه نحو الكوفة، وقد حمل قسماً منه بسفن في النهر، فخرج إليهم المختار بمن معه حتى نزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة، وقد استعمل عليها قبل خروجه عبد الله بن شداد بعد أن حصّن قصره والمسجد وأدخل فيه عدة الحصار؛ لأنه كان يرى ضعفاً وانكساراً في جيشه بعد وقعة المذار، ولا يتوقع أن يقدم عليه إبراهيم ابن الأشتر بجيشه، وهي فترة شابهها الغموض وقلّت فيها نصوص التاريخ عدا نزر قليل (٢)، وكان معروفاً عن إبراهيم أنه ساعد المختار الأول وعليه المعتمد في كثير من الأحداث التي عرضنا المهم منها فيما مضى من بحوث.

وذكر البعض أنّ المختار لم يجد من يوصل منه كتاباً إلى إبراهيم بن الأشتر (٣).

ومهما يكن الأمر، عبأ المختار ومصعب جيشيهما، ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض واندلع القتال، وكثر القتل في الطرفين، واقتربت بعض كتائب المختار من مصعب وكادت تقضي عليه لكنه قاتلهم بمن معه وأعانه المهلب بن صفرة حيث حمل على جيش المختار فكشفهم، وأثناء القتال قُتل الخبيثان: محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي لعنهما الله، وقاتل المختار بمن معه يومه لكن جهته ضعفت لقلّة العدد وكثرة العدو، فاضطر للرجوع إلى الكوفة والتحصّن بالقصر.

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٥٠ - ٤٥١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ١٧٣؛ ذوب النضار، ابن نما: ٨٠ - ٨١.

٢- ذكر البعض أنّ إبراهيم لما سمع بمسير مصعب إلى الكوفة ولم يصله من المختار خبر بذلك، تحرك من الموصل يريد الكوفة، فعلم مصعب بذلك ودخله الرعب من مسيره فأرسل إليه الرجال والكتب والعمود بالأمان على نفسه وماله وجنده ووعده بأن يبقيه والياً على ما كان والياً عليه فوثق وبايع ابن الزبير لاحقاً. انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٤٩، تذييل على الكتاب للشيخ لطف الله بن محمد.

٣- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٤٩، تذييل على الكتاب للشيخ لطف الله بن محمد.

زحف مصعب بجيشه ودخل الكوفة، وانتشر عسكره فيها؛ لا سيما وأن جيشه كان يضم جمعاً من الكوفيين المساندين له وقادة أيضاً كعبيد الله بن الحر^(١) وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم، ولم يتبق للمختار جيش يقوى به على قتالهم، فقدموا نحو القصر الذي كان المختار ومن معه يتحصنون فيه، ومنعوا عنهم المدد والزاد والماء.

حاول المختار أن ينتهز الفرص أحياناً فيخرج بمن معه ويقاوم من كان قريباً من القصر ثم يعود إليه، وقد اشتد الحصار عليه ومن بقي معه فترة، وتقاوس أغلب من كان معه عن القتال، فقال لهم: "ويحكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً أنزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا والله ما أنا بأيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا وعجزوا فقال لهم المختار: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي".

ولما قرّر المختار الخروج لهم اغتسل وتحنّط وتطيّب ونثر الطيب على رأسه ولحيته ثم خرج لهم في تسعة عشر رجلاً فيهم السائب بن مالك الأشعري، فنادى بأصحاب مصعب: "أتؤمنوني وأخرج إليكم فقالوا لا إلا على الحكم فقال لا أحكمكم في نفسي أبداً فضارب بسيفه حتى قتل"^(٢)، رضوان الله عليه.

ثم احتزم مصعب - أخزاه الله - رأس المختار وبعث به مع عبيد الله بن عبد الرحمان إلى أخيه عبد الله بن الزبير إلى مكة^(٣).

أما من تخلف عن القتال مع المختار من صحبه وكانوا كثيرين عرباً وموالي، فقد تتبعهم أصحاب مصعب وقتلوهم، كما أمر مصعب بكف المختار فقطعت وسمّرت

١- قال ابن نما: (خرج على المختار ونقض عهده، وأغار على سواد الكوفة، فنهب القرى، وقتل العمال، وأخذ الأموال، ومضى إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير. فلما علم المختار بذلك أرسل عبد الله بن كامل إلى داره فهدمها) ذوب النضار: ١٣١.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٥٨ - ٥٧٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٠ - ٢٧٣.

٣- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٤٩ - ١٥٠، تذييل على الكتاب للشيخ لطف الله بن محمد.

بالمسامير إلى جنب المسجد، وبقيت معلقة إلى مجيء الحجاج بن يوسف إلى الكوفة سنة ٧٥ هـ فأمر برفعها^(١).

وأيضاً: أرسل مصعب على زوجتي المختاروسألها عن قولهما فيه، فقالت أم ثابت بنت سمرة بن جنب: "ما عسينا أن نقول ما نقول فيه الا ما تقولون فيه أنتم" فتركها تذهب، وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير: "رحمة الله عليه أن كان عبداً من عباد الله الصالحين"، فأمر بسجنها وكتب أخاه عبد الله بن الزبير بأنها تزعم أن المختار نبي، فكتب إليه أن يقتلها، فأخرجها بين الحيرة والكوفة وقتلها^(٢).

وقد أكثر مصعب - أخزاه الله - القتل في أهل الكوفة المسلمين ممن ناصرُوا المختار وكانوا ألوفاً، فقتلهم صبراً حتى إنَّ عبد الله بن عمر عاتبه يوماً على ذلك:

(حدثني محمد بن يوسف ان مصعباً لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة عش ما استطعت فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً)^(٣).

وكان مقتل المختار - رحمه الله - في منتصف شهر رمضان سنة ٦٧ هـ، و أقام مصعب في الكوفة بعد قتله^(٤).

ملاحظة: لم يدم مكوث المجرم مصعب بن الزبير في الكوفة طويلاً، إذ سار إليه عبد الملك بن مروان من الشام متوجهاً نحو الكوفة في سنة ٧١ هـ، فخرج مصعب بجيش كبير،

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٢ - ٥٧٣، ٥٧٧: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٣ - ٢٧٥.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٣ - ٥٧٤: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٤.

قال ابن الأثير: (قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم يبلغك قتل الكذاب؟ قال: ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة) الكامل في التاريخ: ٤ / ٢٧٨.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٧: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٨.

والتقى الجيشان بـ "مسكن"، واقتتلوا وخذل أهل العراق مصعباً فقتل في المعركة، وقتل معه إبراهيم بن الأشتر أيضاً^(١).

تنبيهات مهمة:

تنبيه ١: تصويب فعل المختار كئثار:

الثورة بوجه الظالم والمجرم (طلباً بدم إمام معصوم مظلوم) شيء وإدارة الحكم والدولة شيء آخر، وكحقيقة أقول: ما لم يكن الحاكم معصوماً أو مأذوناً منصباً من قبل إمام معصوم يشرف على عمله لا يتمكّن من أن يحكم ويقود بطريقة ترضي الله دائماً؛ أيّاً كان هذا القائد والحاكم، ومن يقرأ أحداث الكوفة في أيام حكومة المختار يجد بعض المتغيرات والسلوكيات التي سلكها وتعامل بها باعتبارها - بنظره - إجراءً ضرورياً أو مرحلياً تتطلبه مسألة الحكم والنظام والصالح العام. لكن كثيرين بما فهم بعض أتباعه كانوا يقرؤونها بطرق مختلفة، بل قسم منهم كان يرى فيها مخالفة للمبادئ التي ثار لأجلها، كمسألة تقريبه بعض الشخصيات والأشراف المعروفين بانحرافهم عن الحق إلى بلاطه، وتأخير القصاص من قتلة الحسين بضعة أشهر بعد انتصار ثورته، أو سلوكه في العطاء وكذا بعض القرارات المتعلقة بالتعامل مع الرعية عموماً، أو مجمل سياساته داخل الكوفة وخارجها، ونحو ذلك.

ونحن بقدر تعلق الأمر بموضوعنا "يوم الحسين"، فإنّ ما يهمنا هو طرح المختار كئثار ومطالب بدم الحسين عليه السلام والاقتصاص من قتلته، لا طرحه كحاكم ورجل دولة، وبالتالي فنحن معنيون بتصويب موقفه من ناحية طلبه بدم الحسين واقتصاصه من قتلته المجرمين الملعونين؛ لأنه موضع رضا الإمام المعصوم، وكذلك التصرفات التي حظيت بقبول المعصوم ورضاه، أما سائر تصرفاته المرتبطة بإدارة شؤون الحكم خلال

١- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٥٠، تذييل على الكتاب للشيخ لطف الله بن محمد. ومسكن: منطقة تقع قرب قضاء الدجيل بمدينة صلاح الدين في العراق.

الفترة التي استغرقت سنة ونصف تقريباً فلا تعني بحثنا الذي نحن بصدده، بل بالتأكيد سيعتري بعضها الخطأ طالما أنها لم تكن بإشراف مباشر من الإمام المعصوم.

تنبيه ٢: هل خالف المختار أمانه لابن سعد لعنه الله:

روى بعض المؤرخين أنّ المختار قبل أن يقتل عمر بن سعد كان قد منحه أماناً جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، أنك آمن بأمان الله تعالى على نفسك وأهلك ومالك وولدك، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلا أن تحدث حدثاً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد صلى الله عليه وآله فلا يعرض له إلا بسبيل خير، والسلام"، ثم شهد فيه جماعة (١).

من ثم قد يقال: كيف أقدم المختار على مخالفة الأمان الذي منحه لابن سعد وقتله، بل قد يعتبر البعض هذه المخالفة طعنًا في دين المختار وأخلاقه!

أقول: المختار لم ينقض عهداً وأماناً لإنسان له حرمة، فعمربن سعد – لعنه الله – بعد إقدامه على قتل الحسين صلوات الله عليه يكون قد حكم على نفسه بالنصب والعداء لله ولرسوله ولآل الرسول صلوات الله عليهم، ومعلوم أنّ الناصبي نجس خبيث بل أنجس من الكلب ولا حرمة له في نفسه وماله، وبالتالي فهو – أي: عمرو بن سعد – ليس أهلاً لأن تُجرى معه أحكام العهود والمواثيق ومنها ميثاق الأمان المعمول به في ذلك الوقت على المستويين الديني والأخلاقي.

نعم، يمكن المناقشة في أصل منح الأمان من الأساس لا في مخالفة الأمان، وهذا أمر أكيد أنّ لدى المختار مبرراته التي كان يراها، خصوصاً وأنه كان يستهدف بثورته القضاء على شخصيات كبار لها ثقلها الاجتماعي والعشائري والسياسي في ذلك الوقت، ومن ثم قد يكون انتهج فكرة التدرج وتفكيك القوى لتسهيل عليه المهمة ويتمكن من القضاء على قتلة الحسين (كبار الشخصيات بالتحديد) بدلاً من استهدافهم جميعاً في وقت واحد؛ الأمر

١- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٢٧.

الذي يصعب عليه المهمة بالتأكيد. وعموماً، لست الآن بصدد تصويب مسألة منح الأمان لابن سعد من قبل المختار ابتداءً بقدر ما أردت بيان أنه - رضوان الله عليه - لم يخالف ميثاقاً ولم ينقض أماناً منحه لشخص محترم (له حرمة)، وبالتالي فلا طعن في دين المختار ولا في أخلاقه، هذا أولاً.

وثانياً: بحسب وثيقة الأمان أعلاه، فإنّ المختار لم يجعل الأمان فيها مطلقاً بل قيده بقيد: "السمع والطاعة ولزوم المنزل" + "أن لا يحدث حدثاً" وهذا يعني أن ابن سعد إذا ما أحدث حدثاً أو لم يسمع ولم يطع ولم يلزم منزله فلا أمان له!

وواضح أنّ ابن سعد لم يلتزم بذلك؛ لأنه خرج من منزله في الليلة التي سبقت مقتله إلى حمامه (خارج الكوفة)، ثم عاد إلى بيته قبل الفجر بنصيحة من بعض أصحابه، أو بسبب نومه على دابته! وبهذا يكون مقتله بعد مخالفته شرط الأمان الممنوح له:

(وعلم بقول المختار فيه، فعزم على الخروج من الكوفة، فأحضر رجلاً من بني يتيم اللات اسمه مالك بن دومة، وكان شجاعاً، وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا وخرجنا، فلما كان عند حمام عمر أو نهر عبد الرحمان وقف وقال: أتدري لم خرجت؟ قال: لا. قال: خفت المختار، فقال ابن دومة: .. ان هربت هدم دارك، وانتهب عيالك ومالك، وخرت ضياعك، وأنت أعز العرب، فاغتر بكلامه فرجعا على الروحاء فدخلوا الكوفة مع الغداة. هذا قول المرزباني.

وقال غيره: أن المختار علم بخروجه من الكوفة، فقال: الله أكبر وفينا له وغدر، وفي عنقه سلسلة لوجه أن ينطلق لما استطاع، فنام عمر بن سعد على الناقة فرجعت وهو لا يدري حتى رده إلى الكوفة، فأرسل عمر ابنه إلى المختار، قال له: أين أبوك؟ قال: في المنزل، ولم يكونا يجتمعان عند المختار، وإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفاً أن يجتمعا فيقتلها. فقال حفص: أي يقول: أتفي لنا بالأمان؟ قال: اجلس، وطلب المختار أبا عمرة، وهو كيسان التمار فأسر إليه أن اقتل عمر بن سعد، وإذا دخلت عليه وسمعتة يقول: يا غلام، علي بطيلسان، فاعلم أنه يريد السيف، فبادره واقتله، فلم يلبث أن جاء ومعه رأسه. فقال حفص: انا لله وأنا إليه راجعون. فقال له: أتعرف هذا الرأس؟ قال: نعم، ولا خير في العيش بعده. فقال: أنك تعيش بعده، وأمر بقتله، وقال المختار: عمر بالحسين عليه

السلام، وحفص بعلي بن الحسين عليه السلام ولا سواء، والله لأقتلن سبعين ألفاً كما قتل بيحيى بن زكريا عليهما السلام. وقيل: أنه قال: لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام.

وكان محمد بن الحنفية يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد وتأخيره قتله، فحمل الرأسين إليه إلى مكة مع مسافر بن سعد الهمداني وطيبيان بن عمارة التميمي^(١).

وأيضاً: بخصوص قيد "إلا أن يحدث حدثاً"، روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ المختار كان يقصد الحدث في بيت الخلاء^(٢).

تنبيه ٣: مصير إبراهيم بن الأشر:

بعد أن قُتل المختار، بعث مصعب بن الزبير عمّاله على مدن العراق، وكتب إلى إبراهيم بن الأشر يدعوه إلى طاعته ووعده أنه إن أجابه فله الشام وما غلب عليه من أرض المغرب. وفي نفس الوقت كان عبد الملك بن مروان كتب إليه يدعوه إلى طاعته وأنه إن أجابه فله العراق.

استشار إبراهيم أصحابه، فانقسموا بين من نصحه بالدخول في طاعة ابن الزبير وبين من نصحه في الدخول في طاعة عبد الملك، فقال: (ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله ابن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك مع أي لا أحب أن أختار على أهل مصري مصرأً ولا على عشيرتي عشيرة فكتب إلى مصعب فكتب إليه مصعب أن أقبل فأقبل إليه بالطاعة)^(٣).

١- ذوب النضار، ابن نما: ١٢٧ - ١٢٩.

٢- انظر: ذوب النضار، ابن نما: ١٢٧.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٣: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٥.

وبصرف النظر عن دقة تخيير ابن الأشتر نفسه بين طاعة عبد الملك الأموي ومصعب بن الزبير، لكن المؤكد تاريخياً أنّ إبراهيم التحق بمصعب بن الزبير وبقي معه في الكوفة فترة ثم أرسله والياً له على الموصل.

وعلى أي حال، بعد مجيء عبد الملك بن مروان بجيشه نحو العراق سنة ٧١ هـ، أرسل مصعب على إبراهيم أن يأتيه، فجاءه وجعله على مقدمة جيشه الذي سار من الكوفة ونزل في "مسكن"، وكان عبد الملك قد كاتب كثير من أشرف ووجهاء الكوفة وغيرها بما فيهم إبراهيم يدعوهم إلى ترك القتال مع مصعب مقابل عطايا ووعود، وبالنسبة إلى إبراهيم فقد جاء بالكتاب وعرضه على مصعب، ولما سأله عن سبب رفضه العرض المغربي قال: "ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة!"

وعموماً، نشبت الحرب بين الطرفين، وانكسر جيش مصعب بسبب الخيانة، وقتل إبراهيم ابن الأشتر في المعركة، وانتهت بمقتل مصعب أيضاً.

تنبية ٤: هل طالب آل الزبير بدم الحسين (ع)؟

بالرغم من صلة النسب التي تجمع آل الزبير ببني هاشم، آل علي بن أبي طالب عليه السلام بالخصوص من جهتي الأم والأب^(١)، إلا أنهم لم يكن يعنهم مقتل الحسين عليه السلام بشيء أصلاً، بل كان ابن الزبير من أكثر المستفيدين من شهادة الحسين صلوات الله عليه؛ إذ خلت له الحجاز والساحة بعد أن كان مغموراً ولا يعبأ به أحد في ظل وجود الحسين (ابن رسول الله) وهيمنة شخصيته على الجميع.

أما ما روي تاريخياً من دعوة ابن الزبير في فترة زمنية محدودة من أيام حركته (قبل موت يزيد تحديداً) للأخذ بثأر الحسين أو الطلب بدمه، أو ذكره له في خطبه في مكة، فهو مجرد شعار كان يتوخى به إضفاء الشرعية على ثورته وبالتالي جمع أكبر قدر ممكن من

١- من جهة الأم: باعتبار أن أم الزبير هي صفية بنت عبد المطلب، عمّة الرسول والامام علي صلوات الله عليهما، فالزبير ابن عمتهما، ومن جهة الأب: باعتبار أن والد الزبير هو العوام بن خويلد أخو السيدة خديجة، فالسيدة خديجة عمّة الزبير، والسيدة فاطمة بنت عمته.

الناس حوله ليتمكن بعد هذا من التوصل إلى مراده الحقيقي (الحكم والدنيا)، وقد أثبتت الأيام زيف تلك الشعارات وظهور معدنه ومراده الذي ذكرناه.

الحقيقة - كما ذكرت سابقاً - أنّ طموح عبد الله بن الزبير وأخوته كمصعب هو الحكم والمال والدنيا لا غير، وقتل الحسين لا يعنهم بشيء، وهذا رأينا واضحاً في سيرة ولاته، مثل: واليه على الكوفة (ابن مطيع) الذي قرّب قتلة الحسين منه، وكان يأوي بعضهم (تحديداً عمر بن سعد لعنه الله) في قصره خوفاً من أن تناله أيدي الثائرين، بل إنّ قادة عسكر ابن مطيع الذين واجه بهم حركة المختارهم قتلة الحسين أنفسهم كشمس بن ذي الجوشن وشيث بن ربيعي وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج ومحمد بن الأشعث وغيرهم من الملعونين كما رأينا في أحداث الثورة.

وأيضاً: لاحظنا ما فعله مصعب بن الزبير الذي لجأ له من نجا من قصاص المختار من الكوفيين؛ حيث آواهم ثم تحالف معهم وسار بهم إلى الطالب بدم الحسين - أعني المختار - وقاتله ثم حاصره وقتله في نهاية المطاف، بل وقام بقتل آلاف من أتباعه صبراً كما رأينا.

روى الطبري حواراً بين مصعب والمهلب عند دخولهم الكوفة: (فقال له المهلب: يا له فتحاً ما أهناه لو لم يكن محمد بن الأشعث قتل قال صدقت.. ثم قال يا مهلب قال لبيك أيها الأمير قال هل علمت أن عبید الله بن علي بن أبي طالب قد قتل إنا لله وإنا إليه راجعون قال المصعب أما إنه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه أتدري من قتله قال لا قال إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه) (١).

مصعب يبدي تأسفه على مقتل ابن الأشعث - لعنه الله - مع علمه بأنه ممن شارك بقتل الحسين صلوات الله عليه، وقبل ذلك كان ممن اشترك بقتل مسلم بن عقيل وسلب درعه وسيفه بعد قتله، كما تقدم بيانه في مقتل مسلم عليه السلام.

وأيضاً: لم يكن مصعب صادقاً بزعمه أن عبید الله بن علي بن أبي طالب لوبقي حياً لكان هو الأحق بتولي الأمر منه؛ وإلا لما نصرقتلة الحسين من الأساس، فما لعبید الله هو نسبه لعلي عليه السلام فقط، أما ما كان للحسين فهو علاوة على انتسابه لرسول الله وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم، النص عليه من قبل جده وأبيه بروايات كان يعلم بها نساء ورجال المسلمين، ومن لم يرعَ للحسين حرمة وينصرقاتليه ويقتل ناصرته، هل يرعى حرمة لغيره؟!

ثم إن مصعباً - وفق النص المتقدم - ينسب قتل عبید الله الى أصحاب المختارالذين يصفهم (شيعة أبيه)، وفي نصوص أخرى ورد أنه وجد مقتولاً في فسطاطه، تماماً كما أخبره أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يُعلم من قتله!

(عن أبي جعفر عليه السلام قال: جمع أمير المؤمنين عليه السلام بنيه - وهم اثنا عشر ذكراً - فقال لهم: إن الله أحب أن يجعل في سنة من يعقوب إذ جمع بنيه - وهم اثنا عشر ذكراً - فقال لهم: إني أوصي إلى يوسف، فاسمعوا له، وأطيعوا. وأنا أوصي إلى الحسن والحسين، فاسمعوا لهما وأطيعوا. فقال له عبد الله ابنه: أدون محمد بن علي؟ - يعني محمد بن الحنفية - . فقال له: أجرأة علي في حياتي؟! كأتي بك قد وجدت مذبوحاً في فسطاطك لا يدري من قتلك. فلما كان في زمان المختارأتاه، فقال: لست هناك^(١). فغضب فذهب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة فقال: ولّني قتال أهل الكوفة فكان على مقدمة مصعب، فالتقوا بحروراء فلما حجر الليل بينهم أصبحوا وقد وجدوه مذبوحاً في فسطاطه، لا يدري من قتله)^(٢).

نعم، في مجمل سيرة آل الزبيرموقف واحد فقط أرادوا به التآسي بالحسين صلوات الله عليه وما جرى عليه، صدر من مصعب بالتحديد في أواخر لحظات المعركة التي دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان في "مسكن"، حيث أحاطت به الألوف وعرضوا عليه الاستسلام وقد ضاقت به السبل بعد أن خذله قادة جيشه، فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة - ويبدو أنه كان عارفاً بتفاصيل أحداث كربلاء - فأدناه منه وسأله عن الحسين

١- أي: طلب من المختارأن يولّيه عملاً، ولم يقبل.

٢- الخرائج والجرائج، الراوندي: ١ / ١٨٣ - ١٨٤: مدينة المعاجز، البحراني: ٢ / ١٧٧.

كيف استطاع أن يصمد بوجه الألو ف ولم يرضخ لهم ولم يستسلم، كيف صبر على الموت، فأخبره فصمد واستمر يقاتل حتى قُتل:

(ولما نظر أصحاب مصعب إلى كثرة جموع عبد الملك تواكلوا، وشملهم الرعب، فقال مصعب لعروة بن المغيرة، وهو يسايره: ادنُ يا عرو أكلمك. فدنا منه.

فقال: أخبرني عن الحسين، كيف صنع حين نزل به الأمر؟

قال عروة: فجعلت أحدثه بحديث الحسين، وما عرض عليه ابن زياد من النزول على حكمه، فأبى ذلك، وصبر للموت.

فضرب مصعب معرفة دابته بالسوط، ثم قال:

فإنّ الألى بالطف من آل هاشمٍ تأسّوا فسنّوا للكرام التأسيا^(١).

لا عجب من تأسي مصعب بموقف الحسين وصبره على الموت، فالحسين عليه السلام ليوم الناس هذا - وسيبقى إلى الأبد - أسوة الثائرين جميعاً؛ المحق منهم وغير المحق، الحسين رمز إنساني خالد يتأسى به الجميع، وهو باقٍ على إشرافه دائماً يأبى الأقول.

١- الأخبار الطوال، الدينوري: ٣١١؛ تاريخ الطبري: ٥/٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣٢٦/٤ - ٣٢٧.

تنبيه ٥: دروس من ثورة المختار:

أولاً: التخلّف عن جبهة الحق يقع بكثرة في عالم الامتحان، وبالرغم من أنّ ثقل القاعدة التي تدين بالولاء لعلي والحسين عليهما السلام في الكوفة والعراق عموماً – في ذلك الوقت – إلا أنّ كثيرين ممّن يعتقدون بالحق تخلّفوا عن نصرة المختار الذي ثار طلباً بدم الحسين من قتلته المجرمين، بل مثل هذا الأمر – أي التخلّف عن النصرة – حصل ويحصل دائماً مع الإمام المعصوم، ومأساة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء أكبر شاهد على هذه الحقيقة المرّة.

ثانياً: شيئان قد يبدوان متنافرين، لكنهما يمكن أن يجتمعا في نفس الإنسان في دنيا الامتحان، هما: الاعتقاد بالحق والانخداع بالدنيا، أي أنّ الإيمان يمكن أن يجتمع مع التقصير والتعلّق بالدنيا والمنصب والمال ونحو ذلك، فتراه مؤمناً ويعتقد بعقيدة حقة لكن المنصب والجاه والمال والدنيا عموماً قد يكون لها أثر كبير في نفسه ووجوده! ومثل هذا الأمر لاحظناه – بنسبة ما – في موقف إبراهيم بن الأشتر بعد معركة الخازر؛ إذ بقي في الموصل أميراً وامتنع عن العودة إلى الكوفة ما أدى إلى ضعف جبهة المختار ومقتله بالنهاية على يد المجرم مصعب بن الزبير. ليس هذا فحسب، ولكن إبراهيم بايع مصعباً وقتل تحت رايته في المعركة التي دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان في مسكن "قرب الدجيل".

ثالثاً: الحذر من الفتن التي قد تصيب المجتمع المؤمن وتنخره وتضعف موقفه، ومن الفتن الخطرة جداً الشك بشرعية القيادة المرضية عند الإمام المعصوم والتردد في طاعتها بحجج ومبررات كالحرص على الدين وما شابه، وقد لاحظنا ذلك قبيل انطلاق المختار بثورته؛ الأمر الذي أدى إلى تأجيلها من مطلع محرم الحرام إلى منتصف شهر ربيع الأول.

رابعاً: الشك بالمؤمنين يُردي صاحبه، وإذا كان صاحب الشك في موقع قيادة فهو أمر يؤثر على مهمته بالتأكيد، بل ربما يؤدي إلى إفشالها، وهذا لاحظناه في الاقتراح الذي قدّمه عبد الله بن وهب لقائد جيش المختار (أحمر بن شميطة) في مسألة الطلب من فرسان الموالي الترجّل بعد الشك في ولائهم وصرهم على القتال، وكان أحد أسباب الهزيمة في معركة "المذار" التي قصمت ظهر جبهة المختار وضربتها بمقتل.

خامساً: كان من ضمن المقتولين في معركة "المدار" في صف المجرم مصعب بن الزبير هو عبيد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا يؤكد أنّ مسألة النسب وحدها غير كافية للحكم بأحقية الشخص ومن ثم اتباعه وطاعته، وقد حاول مصعب الاستفادة من مسألة قتله ضمن صفوفه لإظهار أحقية جهته على جهة المختار، لكنه ميزان باطل بكل تأكيد، فمسألة النسب وحدها لم ولن تكون يوماً دليلاً على الأحقية وصواب الموقف حتى قيام الساعة. نعم، وجود المعصوم أو من نص عليه المعصوم بالاسم^(١) في إحدى الجبهتين المتنازعتين يكشف عن أحقية من تواجد فيها. وهذا يعني أنّ هناك فرقاً بين الحسن والحسين عليهما السلام من جهة، وبين بقية أولاد أمير المؤمنين عليه السلام كابن الحنفية وعبيد الله وعمر مثلاً، والفرق هو "النص" الكاشف عن عصمة الحسنين وبالتالي أحقيتهما دائماً ووجوب طاعتهما واتباعهما والاعتقاد بإمامتهما دون سواهما.

سادساً: وهو أهم الدروس بالتأكيد، إنّ الحفاظ على حياة الإمام المعصوم أهم من أي شيء آخر؛ لأن حياته تعني حياة الدين الحق ومماته قبل إتمام رسالته تعني موت الحق بتمامه، ولذلك ورد اللعن بحق المنتسب بتعريض حياته للخطر، وبطبيعة الحال هذا الأمر قد يستدعي عدم التصريح باسم المعصوم في بعض الأمور وتبنيها من قبل بعض المؤمنين بإرشاد وتوجيه منه، أما الإصرار على ثقافة: "منك أم من المعصوم" بحجة الاحتياط للدين فهو مرض خطير ويؤدي جهة الحق كثيراً؛ لأنه يعود بالضرر على المعصوم نفسه وتعريض حياته للخطر كما لاحظناه في اضطرار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى اللقاء بوفد الكوفيين وتوضيح شرعية النهوض مع المختار لإطفاء نارفتنهم وتبديد شكهم.

١- كقول الرسول صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر: "يا عمار، تقتلك الفئة الباغية".

اعتقاد المختار وشرعية ثورته:

القول الفصل في المختار:

١- من يطلع على ما قام به المختار الثقفي في ثورته، وما ألحقه بقتلة الحسين وكبار الشخصيات المؤيدة للحكم الأموي والقرشي عموماً من هزيمة كبيرة ومدلّة؛ ثاراً لدم ربحانة الرسول وسبطه المسفوك في كربلاء يتفهم سبب الحملة التي شنت على شخصيته بغرض تشويهها والإساءة لها^(١)، من قبيل وصفه بالكذب والسحروادعاء النبوة والزندقة وسوء المعتقد، وهي تهم وإساءات يلاحظها الباحث في شخصية المختار في المصادر التاريخية؛ خصوصاً المعروف عن أصحابها تعصّبهم الأموي والقرشي عموماً^(٢). فمثل هؤلاء وترهم المختار بالكثير من ساداتهم ورجالاتهم، وبالتالي ماذا ننتظر منهم وهم يستمعون قوله: "لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين!"

التهم التي نُسجت بحق المختار لم تكن ساحة السطات الظالمة وأبو اقها وأقلامها المأجورة بريئة منها بكل تأكيد لا سيما أنّ بني وأمّية وآل الزبير اتفقت كلمتهم على عداء

١- سواء كان مصدر الإساءة بعض الطغاة الذين أذقهم المختار الويل: إذ هناك إساءات وردت على لسان أعدائه؛ أمويين كانوا أو زبيريين كهمّة الكذب والسحر مثلاً، أو كان مصدر الإساءة رواة ماجورين تعمّدوا الكذب، أو بعض المؤرخين الذين نقلوا تلك الإساءة في كتبهم سواء تبناها أو فقط مجرد نقل ما بلغهم بدون تبني كما هي عادة بعض المؤرخين.

٢- كمثال للإساءات التي وجهت إلى المختار ما ذكره ابن كثير في ترجمته حيث نسب إليه أنه كان يبغض علياً عليه السلام بغضاً شديداً، وأنه المقترح على عمّه بيع الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، وأنّ الشيعة كانت تبغضه إلى وقت قدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وأنّ المسلمين فرحوا بزوال دولته لكذبه وزعمه أنّ الوحي يأتيه على يد جبرئيل ونحو ذلك من خزعبلات، انظر: البداية والنهاية: ٨ / ٣١٩ - ٣٢٠.

وقال الذهبي في ترجمته: (ونشأ المختار، فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: يكون في ثقيف كذاب وميرفكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المير الحجاج، قبجها الله) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٥٣٩.

ومن الإساءات التي نسجها الذهبي وغيره ونسبها إلى المختار أيضاً أنه كان لديه "كرسي" يخدع به أصحابه، قال: (...) فجهز ابن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد في آخر سنة ست وستين، ومعه كرسي على بغل أشهب. وقال المختار: هذا فيه سر، وهو آية لكم، كما كان التابوت لبني إسرائيل. فحفوا به يدعون، فتألم ابن الأشتر، وقال: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا سنة بني إسرائيل إذ عكفوا على العجل) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٥٤١.

المختار وشيطنته لتبرير أفعالهم وجرائمهم بحق أتباعه المسلمين الذين لم يستهدفوا بثورتهم غير قتلة الحسين وأهل بيته، حتى إنّ ابن عمر لما عاتب مصعب بن الزبير على إجرامه وسفكه دماء آلاف المسلمين (أتباع المختار) في وقت قصير برّر اللعين قتله لهم بقوله: "إنهم كفره سحرة"^(١)!

ومعلوم أنّ شخصيات أرفع شأنًا من المختار، بل لا يقاس بها جزماً، تعرّضت لحملة تشويه وإساءة كبيرة كما حصل بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام مع كل شهادات الرسول صلى الله عليه وآله بحقهم، بل مع شهادة الله بطهارتهم، ومع هذا تمّ دسّ تلك الإساءات وتمزيقها وتداولها^(٢)، ولا زال بعض المعاندين والنواصب يرددون بعض تلك الإساءات الباطلة والمكذوبة حتى يوم الناس هذا، فما بالك بغيرهم ممّن لا يداني ذرى مجدهم وطهارتهم والنص عليهم وقربهم للرسول كالمختار الثقفي رضوان الله عليه!

لكن، ما يصعب فهمه حقيقة أن يتبى بعض المحسوبين على محيي آل محمد وشيعتهم الطعن بالمختار والحكم عليه بالذم بحجج واهية (سيتضح حالها)، في قبال آخرين (وهم الأكثر) ارتضوه وأثنوا عليه بطبيعة الحال، وهناك من توقف في أمره وأوكل العلم بحاله لله^(٣).

٢- الخلاف في شخصية المختار لم يكن أمراً حدث متأخراً، بل كان موجوداً حتى في زمن الأئمة من آل محمد عليهم السلام، وهذه رواية توضح اختلاف الناس في حال المختار في زمان الإمام الباقر عليه السلام، وتوضح أيضاً ما قاله الإمام بحق المختار، وقوله فصل بكل تأكيد:

١- تقدم ذكر الحوار بين عبد الله بن عمر ومصعب بن الزبير، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٤.

٢- لأسباب كثيرة: منها: النصب والبعث، ومنها: الحسد، ومنها: تلميع وجه ساداتهم إذ من الواضح أنّ الحط من علو علي عليه السلام (أو اختلاق فضائل لغيره) يجعل مقارنة غيره به ممكنة.

٣- منهم على سبيل المثال: السيد محسن الأمين، يقول: (ووردت أخبار في ذم المختار والله أعلم بحقيقة أمره وعلى كل حال فقد شفى النفوس وأدرك النار وانتقم الله به من الطغاة الفجار) أصدق الأخبار: ٩١.

(عن عبد الله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكى، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده. ثم قال أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك، قال: وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال: سبحان الله أخبرني أبي والله إن مهرأمي كان مما بعث به المختار، أولم بين دورنا؟ وقتل قاتلنا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. وأخبرني والله أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدا الفراش، ويثني لها الوسائد ومنها أصاب الحديد، رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا) (١).

وأيضاً: أم زيد الشهيد، كانت جارية بعث بها المختار إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وقبّلها الإمام منه وتزوجها وأنجبت له زيداً كما في الرواية التالية:

(عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت أزور علي بن الحسين عليهما السلام في كل سنة مرة في وقت الحج، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي، فقام الصبي يمشي فوق عتبة الباب، فانشج رأسه، فوثب إليه مهرولاً، فجعل ينشف دمه ويقول: اني أعينك أن تكون المصلوب في الكناسة. قلت: بأبي أنت وأمي، وأي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة. قلت: ويكون ذلك؟ قال: اي والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة، ثم ينزل فيحرق ويذرى في الهواء. فقلت: جعلت فداك، وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد، ثم دمعت عيناه وقال: لأحدثنك بحديث ابني هذا، بينا أنا ليلة ساجد وراعى إذ ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد زوجوني حوراء من حور العين، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت، هتف بي هاتف، ليهنئك زيد. فاستيقظت وتطهرت وصليت صلاة الفجر، فصدق الباب رجل فخرجت إليه فإذا معه جارية ملفوف كمها على يده، مخمرة بخمار، قلت:

ما حاجتك؟ قال: أريد علي بن الحسين عليهما السلام. قلت: أنا هو. قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار أخرى فاستعن بها على دهرك، ودفعت إلي كتاباً كتبت جوابه، وقلت: ما اسمك؟ قالت حوراء، فهيوؤها لي وبث بها عروساً، فعلقت بهذا الغلام، فأسميته زيداً، وسترى ما قلت لك.

قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت كل ما ذكره عليه السلام في زيد^(١).

الرواية واضحة في أنّ المختار كان يتواصل مع الإمام علي بن الحسين عليه السلام، والإمام قبل صلة المختار له بجارية (معود بها)، كما قبل منه صلته بالمال الذي كان يستعين به على حوائجه، واستمر المختار يصل الإمام بالصلة والخمس حتى إنه عليه السلام قبل منه ما استعان به على بناء دور آل محمد وآل أبي طالب التي هدمها الأمويون في المدينة بعد مقتل الحسين صلوات الله عليه:

(عن عمر بن علي عليه السلام: إن المختار أرسل إلى علي بن الحسين عليهما السلام عشرين ألف دينار فقبلها وبنى منها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت)^(٢).

٣- بخصوص اقتصاص المختار من قتلة الحسين صلوات الله عليه، فهو أمر يرتضيه الله سبحانه بالتأكيد، وقد أدخل السرور على قلب الإمام علي بن الحسين عليه السلام والأئمة من بعده، ما استوجب دعاؤهم له بالخير ورضاهم عنه ونهيمهم عن الإساءة له، وهذه بعض الروايات التي أكدت ذلك:

- عن عمرو بن علي بن الحسين، قال: "إنّ علي بن الحسين عليه السلام لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخّر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً"^(٣).

١- ذوب النضار، ابن نما: ٦٣ - ٦٥.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٢: ذوب النضار، ابن نما: ٦٦.

٣- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤١.

- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضببت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين صلوات الله عليه" (١).
- عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: "لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلتنا، وطلب ثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة" (٢).

٤- لا يمكن لمنصف أن يشكك في ولاء المختار لآل محمد عليهم السلام، ليس لأنه كان يعلن ذلك وأنه بالأصل ينحدر من أسرة معروف عنها الولاء لآل محمد صلوات الله عليهم، وليس لأن بيته كان البيت الأول الذي قصده مسلم بن عقيل (رسول الإمام الحسين) عندما وصل الكوفة، وما لهذا الفعل من دلالة واضحة؛ لأنه ببساطة يعني أنّ المختار هو أحد رموز المؤمنين بالكوفة، إن لم يكن الأبرز بينهم في الولاء وقوة الاعتقاد بالحق؛ باعتبار أنّ الإمام الحسين أرسل مسلماً في وقت عصيب وظرف حساس وخطير وطلب منه التستر والدقة والحيلة في عمله.

ليس هذا فحسب، وإنما لأننا طالعنا الروايات السابقة وعموم سيرة المختار التي تقدمت فوجدناه الثائر المطالب بدم الحسين وأهل بيته المسفوك ظملاً، ثار وهو صائم لله يدعوه بأن يوفقه لأخذ ثأر إمامه المظلوم والاقتصاص من قتلته المجرمين، وما إن يعلم بقتل واحد منهم إلا وسجد لله شكراً!

لم يغيب الحسين وأهل بيته عن مخيلة المختار وهو في أخرج المواقف، كان يرجو أن ينال مراده ثم لا يبالي بالموت من أي جانب أتاه! كانت كل أقواله مشحونة بالولاء للحسين وحبّه، ومشفوعة بالألم على ما أصابه، والطلب بدمه ودماء أهل بيته المظلومين، ويرى أنه لو قضى على كل طغاة قريش ما عدلوا أنملة من أنامل الحسين! ولما جيء برأس ابن سعد وابنه ووضعت أمامه قال هذا برأس الحسين وهذا برأس علي الأكبر، ثم قال: "لا

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤١، قال السيد الخوني: "وهذه الرواية صحيحة" معجم رجال الحديث: ١٩ / ١٠٢.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤٠؛ ذوب النضار، ابن نما: ٦٢.

سواء "تأسفاً، وهل يعدل بالحسين وابنه أحد! كان يؤتى ببعض قتلة الحسين فيعتذرون بالخوف وأنهم خرجوا مجبرين، فيقول لهم: "أفلا رققتم له وسقيتموه الماء قبل قتله!"

الله وحده يعلم كم كانت اللوعة في قلب المختار على مصاب الحسين صلوات الله عليه البادية في كلماته! وبالتأكيد فإن اللوعة في قلوب آل محمد أكبر وأعظم، ولهذا ما روي الامام السجاد عليه السلام مبتسماً بعد يوم عاشوراء، وما قَدَّمَ أمامه طعام ولا شراب إلا وبلَّه بدموع عينيه! وصحيح أن ما دهي الحسين عليه السلام لا تبرد جمرته أبداً وهميات، لكن ما فعله المختار خفف الألم شيئاً ما، ولا أقل فإن "المشط" و"الخضاب" قد وجد إلى نساء آل أبي طالب والهاشميين سبيلاً بعد أن بعث المختار رؤوس قاتليه إلى الامام السجاد عليه السلام^(١)!

أن يبقى ابن زياد وابن نميرو ابن سعد وشمر وحرملة وخولي وغيرهم من قتلة الحسين لعنهم الله يسرون فوق الأرض آمنين والحسين مغيب تحت الثرى أمر مؤلم جداً، ويمكننا أن نتحسس مثل هذا الألم في قلب الإمام المعصوم عندما سأل المنهال عن حرملة، ولما عرف أنه ما زال حياً ويسير آمناً في الكوفة دعا عليه بأن يذيقه الله حر الحديد مرتين وفي الثالثة ذكر النار، وشاء الله أن يستجيب دعاءه على يد المختار رضوان الله عليه، إذ جيء بحرملة إليه فأمر بقطع يديه ثم رجليه ثم أمر بحرقه بالنار دون أن يعلم بدعاء الإمام، وبعد أن أعلمه المنهال سجد لله شكراً لموافقته مراد إمامه وصام ذلك اليوم^(٢)!

ثم لماذا كان المختار يبعث برؤوس قتلى قتلة الحسين كابن زياد وابن سعد وابن نميرو والشمر وغيرهم لعنهم الله إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام؟

لماذا كان يوصل للإمام أموال الجباية (الخمس)، وقد استعان الإمام فعلاً بما وصله منه في وقت العسرة (كما قال ابنه الباقر عليه السلام)، وأنفقه على من يعول بهم وبني به دور آل أبي طالب وداره التي هدمها الأمويون بعد مقتل الحسين صلوات الله عليه؟

١- كما تقدم في رواية الإمام الصادق عليه السلام.

٢- تقدمت رواية المنهال في مقتل حرملة بن كاهل لعنه الله، فراجع.

أليس لأنه يعتقد بأنه إمام مفترض الطاعة وهو وصي أبيه الحسين! بل سيتضح أنّ المختار هو السبب في إيمان شيعة العراق بإمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وكفى بذلك فضلاً ومنقبة!

وكيف لا يكون المختار كذلك وهو الذي كان يحب أن تتغبر قدماه في نصر آل محمد والطلب بدم الحسين عليه السلام^(١)!

وإذا كان كل ذلك لا يثبت ولاء الشخص واعتقاده بآل محمد عليهم السلام فما الذي يثبته إذن؟!

حقيقة، إنني لأعجب ممّن يطعن بولاء المختار مع كل أقواله و أفعاله التي قام بها، في ذات الوقت الذي يخلق فيه أي عذر لتبرير تقاعس بعض الهاشميين – بما فيهم بعض الطالبين – عن نصرة الحسين في حياته أو الطلب بدمه بعد شهادته، فتراه لا يُعدم القشة في التبرير لهم بما لا يقدر في ولائهم لآل محمد عليهم السلام، في حين لا يملأ عينه "الجدع الطافي" الذي فعله المختار ويبقى بنظره مشكوك الولاء!

٥- بالنسبة إلى الحجج التي استند إليها الدائمون للمختار فهي ترجع إلى أحد أمرين:

الأول: زعم أنّ المختار كان غير حسن العقيدة؛ لأنه (بحسبهم) يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية، وهو (أي المختار) المؤسس لفرقة الكيسانية! وسيأتي مناقشة هذا الأمر في البحث القادم.

١- قال المختار لإبراهيم بن الأشتر وقد خرج لتوديعه مع الجيش الذي سار لقتال ابن زياد، وكانوا راكبين والمختار يمشي على قدميه: "إنني لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحب أن تتغبر قدمي في نصر آل محمد صلى الله عليه وآله، والطلب بدم الحسين عليه السلام" ذوب النضار، ابن نما: ١١٣.

الثاني: زعم وجود روايات ذمّت المختار، مفادها: أنه كان يكذب على الإمام السجاد عليه السلام، ويزعم أنه يوحى إليه (نبي)، أو أنّ الامام السجاد لم يقبل هدايا وعطاء منه بحجة أنه كاذب، أو أنّ مصيره النار لعدم حسن عقيدته^(١)!

١- مجمل الروايات الذامة للمختار، هي هذه:

- "... عن حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليه السلام.
- "... عن يونس ابن يعقوب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين عليه السلام وبعث إليه بهدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الأذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين، ولا أقرأ كتبهم، ...

- "... عن عمر بن علي: ان المختار أرسل إلى علي بن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار فقبلها، وبني بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، قال: ثم إنه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره، فردها ولم يقبلها، ...".

قال السيد الخوئي بعد عرض الروايات: (وهذه الروايات ضعيفة الاسناد جداً، على أن الثانية منهما فيها تهافت. وتناقض. ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الذامة الواردة في حق زارة. ومحمد بن مسلم، وبريد وأضرابهم) معجم رجال الحديث: ١٩ / ١٠٥.

أيضاً: عرض السيد الخوئي رواية تفيد بأن المختار اقترح على عمّه تسليم الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، وقال: (وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة لاعتماد عليها، على أن لو صحت لأمكن أن يقال إن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي عمه، فإن علم أن عمه يريد ذلك لقيام باستخلاص الحسن عليه السلام. فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام. وقد ذكر بعض الأفاضل أنه وجد رواية بذلك عن المعصوم عليه السلام.

نعم تقدم في ترجمة محمد بن أبي زينب رواية صحيحة. وفيها كان أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قد ابتلي بالمختار، وقد ذكر في تلك الرواية رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار سلام الله عليهم وأن كلامهم كان مبتلى بكذاب يكذب عليه. ولكن هذه الرواية لعل فيها تحريفاً، فإن المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة، والحسين بن علي عليهما السلام كان بالمدينة، ولم ينقل ولا يخبر بضعف كذب المختار بالنسبة إلى الحسين عليه السلام وغير بعيد أن المختار الذي كان يكذب على الحسين عليه السلام أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة) معجم رجال الحديث: ١٩ / ١٠٥.

ثم قال السيد الخوئي: (إنه ذهب بعض العلماء إلى أن المختار بن أبي عبيدة لم يكن حسن العقيدة، وكان مستحقاً لدخول النار. وبذلك يدخل جهنم، ولكنه يخرج منها بشفاعه الحسين عليه السلام، ومال إلى هذا القول شيخنا المجلسي - قدس الله نفسه - وجعله وجهاً للجمع بين الاخبار المختلفة الواردة في هذا الباب).

ونقل روایتين بهذا المضمون:

- "... عن بعض من رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: يجوز النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصراط، يتلوه علي، ويتلوه عليا الحسن ويتلو الحسن الحسين، فإذا توسطوه نادى المختار الحسين عليه السلام: يا أبا عبد

أقول: أولاً: بصرف النظر عن صحة صدور هذه الروايات عن المعصوم، فهي روايات لا يمكن الأخذ بمضمونها؛ لأنه ثبت أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان يقبل صلة المختاروما يرسله إليه من أموال الخمس (حق الإمام المعصوم) وقد استعان بها فعلاً على بعض حوائجه، كما ثبت مدح الأئمة ودعاؤهم له ونهيمهم عن ذمّه وسبّه.

وأيضاً: لم يثبت أنّ المختار ادعى النبوة. نعم، هذه تهمة قذفه بها أعداء آل محمد عليهم السلام من الأمويين والزيبريين. وجل سيرة المختار تشهد أنه كان موالياً لعلي وأبنائه صلوات الله عليهم لا غير، وفي أيام ثورته كان يفرح بالفعل الذي يعلم أنه وافق فيه إرادة الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما لاحظنا. أما مسألة النار فهي تذكرنا حقيقة حديث "ضحضاح النار" الذي رواه المخالفون لعلي عليه السلام بحق أبيه؛ أي طالب (وحاشاه)، كمنحة خصصت له نتيجة نصرته للرسول صلى الله عليه وآله^(١)!

الله إني طلبت بئارك فيقول النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: أجبه فينقض الحسين في النار كأنه عقاب كاسر، فيخرج المختار حممة ولو شق عن قلبه لوجد حبهما في قلبه.

- "... عن سماعة بن مهران، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة مر رسول الله صلى الله عليه وآله بشفير النار، وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فيصيح صائح من النار: يا رسول الله يا رسول الله يا رسول الله أغثنى. قال: فلا يجيبه، قال: فينادي يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ثلاثاً أغثنى، فلا يجيبه، قال: فينادي يا حسن يا حسن يا حسن أغثنى، قال فلا يجيبه، قال: فينادي يا حسين يا حسين يا حسين أغثنى أنا قاتل أعدائك، قال فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله قد احتج عليك، قال: فينقض عليه كأنه عقاب كاسر، قال: فيخرجه من النار، قال: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: من هذا جعلت فداك؟ قال عليه السلام: المختار، قلت له: فلم عذب بالنار وقد فعل ما فعل؟ قال عليه السلام: إنه كان في قلبه منهما شئ، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق لو أن جبرئيل، وميكائيل، كان في قلبهما شئ لأكهما الله في النار على وجوههما".

قال السيد الخوئي معقياً: (أقول: الروايتان ضعيفتان) معجم رجال الحديث: ١٩ / ١٠٦ - ١٠٨.

١- روى مسلم والبخاري في صحيحهما بسندهما: (عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشئ فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) صحيح البخاري: ٤ / ٢٤٧: صحيح مسلم: ١ / ١٣٤ - ١٣٥. هذا، مع أنّ ابن رسول الله: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول في حق جده أبي طالب عليه السلام: "إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الأيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين" الكافي، الكليني: ١ / ٤٤٨.

وثانياً: لو سلمنا بوجود طائفتين من الروايات بحق المختار؛ طائفة تمدحه وطائفة تدمه، فكيف رجح هؤلاء (الذامون للمختار) طائفة "الذم" وتركوا طائفة "المدح"! في حين كان ينبغي عليهم التوقف في المسألة كحد أدنى! علماً، أن لا مجال لتقديم طائفة "الذم"، بل لا سبيل إلا إلى ترجيح طائفة "المدح" ليس لأنها الأكثر وحسب، ولكن لأنها تتضمن أحد موازين الترجيح الواردة عن الإمام المعصوم وهو ميزان: "الرشد في خلافهم"^(١)؛ إذ من الواضح أنّ الطائفة الذامة تلتقي مضموناً مع أحاديث المخالفين والمعاندين التي أساءت إلى المختار ورمته بنفس التهم، وبالتالي فعلى فرض صدور تلك الروايات عن المعصومين كان ينبغي حملها على التقية؛ تماماً كما هو العمل مع روايات ذم زرارة وغيره من صفوة أصحاب الأئمة عليهم السلام، والحاصل: إنّ العمل بميزان آل محمد عند تعارض الروايات - أعني قولهم: "الرشد في خلافهم" - يقتضي تقديم روايات المدح على الذم، أي الأخذ بالروايات المادحة للمختار وترك الروايات الذامة له وليس العكس.

فتلخص بما تقدم:

إنّ الاعتقاد بإمامة آل محمد عليهم السلام ووصايتهم للرسول صلى الله عليه وآله، يقتضي الرجوع إليهم في مسألة تقييم أي شخصية من ناحية كونها مرضية عند الله أو لا، ومنها المختار الثقفي؛ ذلك أنّ مسألة التقييم لا تقتصر على الظاهر فقط، بل تنطوي في كثير من الأحيان على أمور خفية ولها علاقة بالسرائر أيضاً، ولا شك أنها أمور ينحصر علمها بالله ومن أطلعه الله من أوليائه، وليست المسألة متاحة للجميع. والمتتبع لكلام آل محمد عليهم السلام يجد مدحهم للمختار ورضاهم عنه في روايات كثيرة كما عرفنا، إضافة إلى أقواله وأفعاله التي تشهد بحسن عقيدته رضوان الله عليه.

(قال جعفر بن نما مصنف هذا الثار: اعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الألفاظ، ولا روية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ. ولو تدبروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار، لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله - جل جلاله - في كتابه المبين.

١- قال عليه السلام: "دعوا ما وافق القوم فإنّ الرشد في خلافهم" الكافي، الكليني: ١/ ٨.

ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار رحمه الله دليل واضح، وبرهان لائح على أنه عنده من المصطفين الأخيار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة، ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده، لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب، ويقول فيه قولاً لا يستطاب، وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً، والإمام عليه السلام منزّه عن ذلك.

وقد أسلفنا من أقوال الأئمة في مطاوي هذا الكتاب تكرار مدحهم له، ونهيمهم عن ذمه، ما فيه غنية لأولي الابصار، وبغية لذوي الاعتبار، وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه من قلوب الشيعة، كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوئ. وهلك بها كثير ممن حاد عن محبته، وحال عن طاعته (١).

هل كان المختار كيسانياً وختم حياته على ذلك؟

لا شك أنّ المختار كان يلقّب بـ "كيسان"، وربما سبب ذلك يعود لما حصل معه في طفولته إذ أجلسه أمير المؤمنين صلوات الله عليه على رجله وقال له: "يا كيس" مرتين (٢).

بعض من اتهموا المختار بعقيدته ذكروا أنّ فرقة "الكيسانية" (٣) التي يعتقد أصحابها بإمامة محمد بن الحنفية إنما سمّيت بذلك نسبة إلى المختار، فهو المؤسس لها بنظرهم، ومستندهم في ذلك قول الكشي: (... والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية وسموا الكيسانية وهم المختارية وكان لقبه كيسان) (٤).

١- ذوب النضار: ١٤٥ - ١٤٦.

٢- تقدمت الرواية، وهذا نصها: (عن الأصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسخ رأسه ويقول: يا كيس يا كيس) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٤١.

٣- الكيسانية: فرقة ضالة منقرضة، اعتقد أصحابها بإمامة محمد بن الحنفية بعد شهادة الإمام الحسين، وأنّ محمداً حي لم يمت وهو المهدي الموعود، وذكرت عدة وجوه في أسباب تسميتهم بالكيسانية؛ منها: نسبة إلى كيسان مولى الإمام علي عليه السلام، الذي لازم لاحقاً ابن الحنفية، وقد تعلم منه بعض التأويل وأسرار الباطن. ومن أئمتهم: أبو هاشم، عبد الله بن محمد بن الحنفية، ذكره النمازي، فقال: (إمام الكيسانية. وعنه انتقلت البيعة إلى بني العباس. كذا عن عمدة الطالب ... مات سنة ٩٨ أو ٩٩) مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ٨٧ - ٨٨.

٤- اختيار معرفة الرجال: ١ / ٣٤٢.

أقول: بالنسبة إلى ابن الحنفية، فصحيح أنه توهم في مسألة طلب الإمامة لنفسه وكان له مريدون وبعضهم اعتقد بإمامته واستمر على ذلك بعد مماته ومنهم ابنه عبد الله "أبو هاشم"، لكنه - أي ابن الحنفية - تراجع عن هذا التوهم وصرح مساره واعتقد بإمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد النقاش الذي دار بينهما في مكة قرب الكعبة وانتهى بشهادة الحجر الأسود للحق^(١). أما المختار فهو وإن كان قد شجع ابن الحنفية في بداية الأمر بعد أن رآه طامحاً للإمامة لكنه أيضاً تبيين له الحق واعتقد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام، ولا دليل لدى المشككين بعقيدة المختار أنه ختم حياته بالاعتقاد بإمامة محمد بن الحنفية، بل الدليل قائم على أنه ختمها بالاعتقاد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام كما رأينا سيرته المتقدمة، وسيوضح أكثر.

أما مسألة كثرة تواصل المختار مع ابن الحنفية أثناء ثورته - كما رأينا في البحوث المتقدمة - فهو أمر طبيعي نتيجة الظرف الخاص الذي كان يحيط بالإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد شهادة أبيه وأهل بيته في كربلاء ما جعل مسألة التواصل معه تكاد تكون مستحيلة أو في غاية الصعوبة، فالإمام أشبه ما يكون بالسجين أو تحت الإقامة الجبرية، وليس الحال كذلك بالنسبة إلى ابن الحنفية، وبالنتيجة فإنّ تواصل المختار مع ابن الحنفية سببه اعتقاده بأل محمد (إمامة علي بن الحسين عليه السلام) وسعيه لكسب رضاه بفعله وليس لأنه يعتقد بإمامة ابن الحنفية؛ لا سيما وأنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام وتّى عمّه (ابن الحنفية) مسألة التواصل مع الثائرين، إذ قال له بمحضر وفد الكوفيين - عند تشكيكهم بشرعية مؤازرة المختار-: "يا عم، لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتكم هذا الأمر فاصنع ما شئتم"^(٢).

فمن الطبيعي، والحال هذه، أن تكثر الكتب بين المختار وابن الحنفية.

هذا باختصار، وهذا تفصيل المسألة أكثر:

١- انظر: الكافي، الكليني: ١/ ٢٤٨.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ٩٧.

١- معتقد المختار الأساسي:

تبين لنا سابقاً أنّ معتقد المختار قائم على الإيمان بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومصداقها الحق بعد الرسول هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم بعده ولده الحسن عليه السلام، وبعده ولده الحسين عليه السلام. ويعرف أيضاً أنّ الإمامة بعد الحسين عليه السلام مستمرة ولا تنقطع به، كما أنّ قرار الثورة والقيام على قتلة الحسين يحتاج إلى إذن من الإمام الفعلي لا سيما وأنّ الأمر خطير وفيه قتال ودماء، وبالتالي فهو بحاجة إلى إذن شرعي بالتأكيد، هذه أمور يعرفها كل شيعة وإن كان بسيطاً فما ظنك بالمختار وهو رأس من رؤوس الشيعة في الكوفة!

٢- الوصي بعد الحسين عليه السلام:

من جهة تعيين الوصي، لم يكن وضع يوم الحسين عليه السلام كما كان قبله، فمثلاً: الرسول صلى الله عليه وآله أوصى لعلي عليه السلام عند وفاته بمحضر من قبل وصيته فعرفوا إمامهم بعد الرسول (١)، وعلي عليه السلام أوصى عند وفاته لولده الحسن بمحضر ولده وبعض شيعته فعرفوا إمامهم بعد أمير المؤمنين (٢)، وكذا فعل الحسن عليه السلام لما أوصى إلى الحسين عليه السلام عند وفاته، لكن الوضع يوم الحسين لم يكن كذلك، ليس بسبب عدم وجود شيعة موثوقين مع الحسين عند شهادته حتى يخبرهم باسم وصيه فحسب، ولكن أيضاً بسبب القرار الأموي القاضي بأن لا يبقوا لآل محمد

١- روى النعماني بسنده: (عن سليم بن قيس: أن علياً عليه السلام قال لطلحة - في حديث طويل عند ذكر تفاخر المهاجرين والأنصار بمناقبهم وفضائلهم -: يا طلحة، أليس قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعانا بالكتف ليكتب فيها ما لا تفضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال: صاحبك ما قال: إن رسول الله يهجر، فغضب رسول الله وتركها؟ قال: بلى قد شهدت. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالذي أراد أن يكتب فيها ويشهد عليه العامة، وأن جبرئيل أخبره بأن الله تعالى قد علم أن الأمة ستختلف وتفترق، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان الفارسي، وأبا ذر والمقداد، وسعى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة، فسماني أولهم ...) الغيبة: ٨٤.

٢- روى الكليني بسنده: (عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ...) الكافي: ١ / ٢٩٧.

عليهم السلام باقية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فالحسين عليه السلام الذي كان يعلم بأنه مقتول مع ولده وأخوته وأهل بيته وأصحابه، وأنّ عائلته ستسبى وتهدم دورهم في المدينة ... إلخ، كان يعلم أيضاً أنّ اطلاع العدو على اسم الوصي من بعده يعني تعريضه للقتل لا محال قبل أن يتم رسالته المكلف بها من الله. وهو أمر يجب أن لا يكون؛ لئلا يبطل دين الله! لذلك احتاط الحسين عليه السلام لهذا الأمر بكل ما أُوتِيَ من قوة وقدّم كل غالٍ ونفيس لتحقيق هذا الغرض، الحسين ما ترك سبيلاً متاحاً أمامه لحفظ حياة وصيه من بعده إلا وفعله، فلا عزيز عند الحسين أعز وأعلى من إتمام رسالة الله!

كان من سبل الاحتياط التي قام بها الحسين أن اصطحب معه عقيلة الطالبين وفخر نساء العالمين (بعد أمها) أخته زينب عليها السلام، جاء بها معه مع علمه بأنها ستكون عرضة للسبي لكن وجودها مهم وضروري لحفظ حياة الإمام وحجة الله على الخلق من بعده! وأيضاً: من السبل التي استعملها الحسين عليه السلام أنه أخرج وصية ظاهرة لابنته فاطمة^(١) تمويهاً على الأعداء ولصرف نظرهم عن ولده الوصي، ولا شك أنه أمر قد يعرض حياتها للخطر أيضاً، لكن طالما هو سبيل يسهم بتحقيق غرض الحسين المتمثل بحفظ رسالة الله فلم يبخل به الحسين صلوات الله عليه، وهكذا. نعم، بالنسبة إلى زينب عليها السلام فإنها كانت تعرف القضية بالتفصيل، ولذلك عرضت نفسها للموت مرات عديدة بمجرد أن شعرت أنّ حياة وصي الحسين مهددة بالخطر!

من الطبيعي - والحال هذه - أن يُصار إلى التكتّم على حياة الوصي علي بن الحسين عليه السلام، ويخفى أمره بين عموم الناس بما فهم الشيعة والمحبين، فلا أحد منهم يعرف من هو الإمام بعد الحسين عليه السلام على سبيل التعيين إلا ربما نفر قليل جداً ولا يصرّحون بذلك حفظاً على حياة الإمام.

١- قال الإمام الباقر عليه السلام في رواية طويلة: (..... ثم إنّ حسيناً حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين عليه السلام - فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا) الكافي: ١ / ٢٩٠ - ٢٩١.

٣- المختار يبحث عن ضالته في ظل الفوضى:

استعرضنا فيما سبق مختصر الفوضى التي عمّت بلاد المسلمين بعد هلاك يزيد سنة ٦٤ هـ في الشام والحجاز والعراق؛ بين من يدعو لمروان بن الحكم ومن يدعو لابن الزبير ومن يدعو إلى نفسه. في ظل هذه الأوضاع، لم يكن ذهاب المختار إلى الحجاز ومكة بعد خروجه من العراق طلباً للسلامة فقط أو بحثاً عن منصب عند ابن الزبير أو غيره كما صورته كثير من المؤرخين، المختار هو رأس الشيعة في العراق وذهابه صوب الحجاز دون أي مكان آخر إنما كان بحثاً عن معرفة الإمام الحق الذي يهتدي به ويستند إليه ويأخذ منه الإذن للإعداد إلى ثورته والطلب بدم الحسين عليه السلام، وهو همّه الشاغل كما عرفنا.

وخلال بحثه وتقصيه، اعتقد خطأ بأن ابن الزبير يمكن أن يكون مصداقاً للإمامة بحكم نسبه وطلبه بدم الحسين، لكن سرعان ما تركه بعد أن تبين له حاله؛ خصوصاً بعد أن غير ابن الزبير خطابه بعد هلاك يزيد وصار يدعو ويطلب الملك لنفسه.

التقى أيضاً بابن الحنفية في مكة، وكان معه بعض مريديه، فظن خطأ أيضاً أنّ ضالته ربما يجدها عنده وهو ابن أمير المؤمنين وأخو الحسنين عليهم السلام، فصار بحثه ويشجعه على تسلّم الأمور وتبني مسألة الطلب بدم الحسين وعدم ترك الساحة لبني أمية (أعداء الحسين) وآل الزبير الذين لا يعنهم أمر الحسين بشيء، لا سيما وأنّ ابن الحنفية كان طامحاً لها من الأساس وادعاها له بعض مريديه، وليس هو فقط يطمح لها بل آل الحسن كذلك، ثم بنو العباس أيضاً بوصفهم هاشميين!

قال السيد أحمد الحسن: (المختار بقي يبحث عن مصداق الإمامة، فهو بعد عام ٦١ هـ تعرض للسجن أكثر من مرة وبقي قيد الإقامة الجبرية وأذى السلطات، ثم لما خرج من الكوفة قصد مكة بحثاً عن معرفة إمامه، والبحث عن الحقيقة أمر مطلوب بل عبادة، فأبراهيم عليه السلام بحث في الدين وضرب الله سبحانه به مثلاً في القرآن^(١).

١- قال تعالى: " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي

نعم، تاه المختار فترة في بداية بحثه فذهب لابن الزبير ثم توهم أنّ ابن الحنفية هو المهدي "الإمام"، لكنه بالنهاية اهتدى للحق وعرف إمامه، ومنه عرفت بقية الشيعة، ولولاه لبقوا على تمهيم) انتهى^(١).

٤- ابن الحنفية يطلب الإمامة لنفسه ثم يتراجع:

روى الكليني: (عن أبي عبيدة ووزارة جميعا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليهما السلام فخلابه فقال له: يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن عليه السلام، ثم إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلي على روحه ولم يوصي، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سني وقديمي أحق بها منك في حدثك، فلا تنازعي في الوصية والإمامة ولا تحاجني، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله عزوجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك قال أبو جعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عزوجل وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: يا عم لو كنت وصيا وإماما لأجأبك، قال له محمد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين عليهما السلام بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي الامام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد ان يزول عن

رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "الأنعام: ٧٥ - ٧٩.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

موضعه، ثم أنطقه الله عزوجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي عليهما السلام إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام^(١).

واضح أنّ ابن الحنفية بالنهاية أذعن للحق وانصرف عن مسألة ادعاء الإمامة بعد أن وضّح له الامام علي بن الحسين عليه السلام أنها تكون بالنص وأنّ الإمامة في عقب الحسين عليه السلام حصراً، وأنه مصداقها الفعلي في هذا الزمان، فأذعن للحق واعتقد بإمامة ابن أخيه. بل وصار يُعرّف بعض مرّديه بإمامة علي بن الحسين عليه السلام، ومنهم على سبيل المثال: أبو خالد الكابلي، فقد كان يخدم ابن الحنفية ويعتقد بإمامته، فقال لابن الحنفية: (جعلت فداك، إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين الا أخبرتني أنت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال فقال: يا أبا خالد حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام علي وعليك وعلى كل مسلم)^(٢). فصار أبو خالد، بعد ذلك، يتردد على الإمام علي بن الحسين عليه السلام ويستمع منه ويروي عنه.

وأكد كان المختار ممّن عرف هذه الحقيقة لقربه من ابن الحنفية وكونه أحد رؤوس الشيعة في العراق، كما يشهد بذلك حاله الذي عرفناه.

قال السيد أحمد الحسن: (بالنسبة للمختار، فهو يبحث عن إمامه فيذهب مرة لآب الزبير، وابن الزبير ليس شخصاً عادياً فأم الزبير هي عمّة الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وفاطمة هي بنت عمته خديجة، وأيضاً وجده يرفع شعار "يا لثارات الحسين" ويطلب بدم الحسين فبايعه وقاتل معه بني أمية، ولما اتضحت له حقيقته ولم ينل مراده عنده تركه).

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٤٨.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

استمر المختار يبحث عن إمامه، فذهب لابن الحنفية فوجده قائماً مثله ويحدث نفسه بالإمامة فشجعه على فكرة أنه المهدي "أي الإمام"، إلى أن جاءه الإمام علي بن الحسين عليه السلام وتدارك حال عمه؛ إذ التقاه وحصل بينهما نقاشاً في مكة وبين له الإمام الاعتقاد الحق في الكعبة عند الحجر الأسود، وبعد أن أذعن ابن الحنفية للحق أرسله الإمام ليشرح الأمر للمختار حيث كان متواجداً في مكة أيضاً باعتباره رأس الشيعة، فالإمام وإن كان بالمدينة أكثر الشيعة هم بالكوفة والبصرة أي بالعراق، والمختار هو رأس الشيعة هناك، فتوجه المختار إلى الشيعة ونشر إمامة الإمام علي بن الحسين سلام الله عليه) انتهى^(١).

ثم إنَّ اعتقاد محمد بن الحنفية بإمامة علي بن الحسين عليه السلام يؤكد قضية أنَّ "الكيسانية" كفرقة لها اعتقاداتها ورجالها ومنظورها ظهرت على الساحة بشكل علي بعد موت ابن الحنفية، وكان ابنه عبد الله المكنى بـ "أبي هاشم" أحد أئمة الكيسانية بعد وفاة أبيه وهو الممهد لانتقال البيعة إلى بني العباس^(٢)، وسيوضح ذلك أكثر لاحقاً. وعموماً، كانت واحدة من اعتقادات الكيسانية زعمهم أنَّ ابن الحنفية إمام وأنه حي لم يموت وهو المهدي الموعود، وقد أبطل الإمام الباقر عليه السلام اعتقاداتهم هذه في احتجاجات له مع بعض رؤسائهم^(٣).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٨٧ - ٨٨.

٣- هذه بعض احتجاج الإمام الباقر عليه السلام مع كبارهم:

- (وتكلم بعض رؤساء الكيسانية مع الباقر في حياة محمد بن الحنفية قال له: ويحك ما هذه الحماقة! أنتم أعلم به أم نحن؟ قد حدثني أبي علي بن الحسين أنه شهد موته وغسله وكفنه والصلاة عليه وإنزاله في القبر، فقال: شبه على أهلك كما شبه عيسى بن مريم على اليهود، فقال له الباقر: أفجعل هذه الحجة قضاءاً بيننا وبينك؟ قال: نعم، قال: أرأيت اليهود الذين شبه عيسى عليهم كانوا أولياءه أو أعداءه قال: بل كانوا أعداءه، قال: فكان أبي عدو محمد بن الحنفية فشبّه له؟ قال: لا، وانقطع ورجع عما كان عليه) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٣٣.

- (عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكرت الكيسانية وما يقولون في محمد بن علي فقال: ألا يقولون عند من كان سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان في سيفه من علامة كانت في جانبيه إن كانوا يعلمون، ثم قال: إن محمد بن علي كان يحتاج إلى بعض الوصية أو إلى شيء مما في الوصية فيبعث إلى علي بن الحسين فينسخه له) بصائر الدرجات، الصفار: ١٩٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦ / ٢٠٧.

٥- خاتمة المختار على خير:

مسألة أن يشتهبه الإنسان (غير المعصوم) ويعتقد بعقيدة غير صحيحة فترة من عمره – طالت أو قصرت – أمر وارد في دنيا الامتحان، وهو أمر حصل ويحصل كثيراً من قبل أناس كثر، لكن المهم أن يتدارك ويصح مسيره واعتقاده وتكون عاقبة أمره إلى خير، فلنفترض أنّ المختار في فترة زمنية من عمره اعتقد (خطأً) بإمامة ابن الحنفية، ثم تراجع وصحح عقيدته ولم يصبر على الباطل، تماماً كما حصل في قضية بيعته لابن الزبير التي تراجع عنها بعد أشهر قليلة وصحح مسيره، لكن: هل الخطأ والرجوع عنه يسلبه الإيمان بالحق والولاء لآل محمد مطلقاً ويكون مبرراً للحكم على عقيدته بالطعن وعلى عاقبته بالسوء؟!!

لا شك أنّ المهم هو خواتيم الأمور كما هو معلوم، وخاتمة المختار تمثلت باعتقاده بإمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وإلا بأي صفة كان يتواصل معه في ثورته ويبعث إليه برؤوس قتلة الحسين وبأموال الجباية (الخمسة)، ويصوم اليوم الذي يوافق فيه فعله إرادة الإمام شكراً لله؟! أوليس بصفته إمامه الواجب الطاعة عليه! علماً، أنه بقي على ولائه الحق هذا إلى أن قُتل في سبيل طلبه بدم الحسين صلوات الله عليه ومجاهدة قاتليه، فاستحق بذلك رضا وثناء ودعاء آل محمد صلوات الله عليهم، وهل بعد رضاهم وثناءهم قيمة تبقى للتشكيك بعقيدة المختار!

يقول السيد أحمد الحسن: (دعاء الإمام المعصوم لشخص بالتأكيد يكشف عن رضاه عنه) ^(١).

- (عن حمزان عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكرت الكيسانية وما يقولون في محمد بن علي فقال: ألا يقولون عند من كان سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان في سيفه من علامة كانت في جانبه إن كانوا يعلمون، ثم قال: إن محمد بن علي كان يحتاج إلى بعض الوصية أو إلى شئ مما في الوصية فيبعث إلى علي بن الحسين فينسخه له) بصائر الدرجات، الصفار: ١٩٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦ / ٢٠٧.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وقال أيضاً: (ثم إنَّ المختار خلال ثورته كان يرسل الرؤوس وأموال الخمس إلى علي بن الحسين، لماذا؟ لأنه يعتقد أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله) انتهى^(١).

ثم لماذا يُقبل من ابن الحنفية وأبي خالد الكابلي مثلاً (وغيرهم الكثير) تصحيح الاشتباه في الاعتقاد، ولا يُقبل من المختار؟ وهل يسلم غير معصوم من الاشتباه؟!

ثم إذا كان المعصوم قبّله و أثنى عليه ودعا له بالخير بعد موته فما بال هؤلاء يصرون على الطعن بعقيدته ووصف عاقبته بالسوء، فهل أعلمهم الله بما صار إليه المختار، أم أذن لهم بتقسيم رحمة الله كيفما يشاؤون؟!

يقول السيد أحمد الحسن: (المختار مظلوم حقيقة، وظلم كبير يطاله عندما يتم التشكيك بإيمانه. فبينما يعتذر بعض المشككين لعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الحسن وأولاده وغيرهم ويبحثون عن قشة ليعتذروا لهم، نراهم يتعامون عن رؤية جذوع طافية أمامهم تشير لنجاة المختار) انتهى^(٢).

وهل يعلم هؤلاء الدامون للمختار أنّ أكثر الشيعة ما عرفوا إمامة علي بن الحسين عليه السلام لولا المختار! وكفاه بذلك فخراً، وهو ما سيتضح الآن.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

شرعية ثورات الثأر:

أعني بثورات الثأر: ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، فكلا الثورتين طالبتا بدم الإمام الحسين صلوات الله عليه، وواضح أنّ قائد ثورة التوابين هو سليمان بن صرد "فقيه شيعة العراق"، والثانية قادها المختار الثقفي "رأس الشيعة وقائدها العسكري والسياسي"، والاثنتان هما من شيعة الإمام علي والحسنين صلوات الله عليهم سنيين طويلة، فلا يعقل - والحال هذه - أن يُقدم مثل هذين الرجلين على القيام بثورة كبيرة تسيل فيها الدماء بدون أن يتعرفا قبل ذلك على إمام زمانهما بعد الحسين عليه السلام، ثم يستحصلان منه الإذن الشرعي بالقيام!

قبل أن نتعرف على الحقيقة، ينبغي علينا معرفة ما يلي:

١- الامامة كمفهوم هي عقيدة واضحة ومعلنة لجميع المسلمين، والرسول صلى الله عليه وآله أوضحها وحسم أمرها خلال حياته الشريفة.

٢- ليس حال مصاديق الإمامة (أعني أشخاص الأئمة) كذلك، فقد يكون مصداق الإمامة واضحاً ومعلناً كما حصل مع أمير المؤمنين والحسنين صلوات الله عليهم؛ وحينئذٍ تكون الإمامة واضحة ومعلنة مفهوماً ومصداقاً، وقد يكون مصداق الإمامة غير معلن للجميع لأسباب تتعلق بالحفاظ على حياته.

٣- في الحالة الأخيرة: أعني لما يكون هناك خطر على حياة الإمام والظرف لا يسمح بالإعلان عن مصداق الإمامة للجميع، فهذا لا يعني أن يبقى المصداق مغيباً ومجهولاً حتى على مرديه والمحتاجين إليه والقابلين بإمامته، وإنما يتم إبلاغ هؤلاء به بطريقة لا تعرض حياة الإمام للخطر، ولهذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام النبي عن إفشاء سرهم.

٤- واضح أنّ كشف سر آل محمد (اسم الإمام = مصداق الإمامة) لطلاب الحق وتعريفهم به واجب مؤكد؛ لأن معرفة الإمام واجبة بل هي الدين^(١)، كما أنّ كشف اسمه

١- روى الكليني بسنده: (... عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول".

وإفشائه في حال كانت حياته مهددة بالخطر حرام مؤكداً، فكيف العمل؟ الحقيقة لا تعارض بين الأمرين، فالواجب هو الإفشاء لأهله (طلاب الحق ومريدي الإمام)، بينما الحرام هو الإفشاء لغير أهله، أي كشفه لأعدائه؛ لأنه أمر يهدد حياته بالقتل.

٥- بعد شهادة الحسين عليه السلام، الإمامة كمفهوم وعقيدة عامة لازالت واضحة للجميع، لكن مصداق الإمامة لم يكن معلناً وواضحاً للجميع بما فهم كثير من الشيعة، نتيجة الأوضاع التي أحاطت بحياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وقد تقدمت الإشارة لها في البحث السابق "الوصي بعد الحسين"، وهذا يعني أن كثيراً من الشيعة لم يكونوا يعرفون إمامهم بعد الحسين منذ وقت شهادة الحسين عليه السلام حتى عودة المختار إلى الكوفة قادماً من مكة في منتصف شهر رمضان عام ٦٤ هـ.

وربما لأجل ذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا. وروى يونس، عن حمزة بن محمد الطيار، مثله وزاد فيه: وجابر بن عبد الله الأنصاري) (١).

والسبب في ذلك: عدم معرفتهم (غالبيتهم) بإمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام ومن كان منهم عارفاً بإمامته كان مقصراً معه، فكان حال الناس (الشيعة) بعد الحسين صلوات الله عليه يشبه إلى حد كبير حال المسلمين بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقول الإمام: "ثم إن الناس لحقوا وكثروا" يشير إلى أن هناك أمراً طرأ أدى إلى زيادة عدد المؤمنين بإمامة علي بن الحسين ولحقهم به.

... عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولا وحجة لله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله واتبعه وصدقته فإن معرفة الامام منا واجبة عليه (... الكافي: ١ / ١٨٠ - ١٨١).

الحقيقة، إنّ الأمر الذي طرأ هو دخول "المختار" على الخط وعتوره على ضالته التي كان يبحث عنها "معرفة الإمام بعد الحسين"، فهو لما عرف إمامة علي بن الحسين عليه السلام في مكة، عاد بهذا الثقل النفيس والمعرفة الحقة مسرعاً نحو أهل السواد "العراق" ليبلغ شيعة آل محمد التائبين منذ شهادة الحسين حتى هذه الساعة!

لهذا قال الإمام الصادق عليه السلام: "ما زال سرّنا مكتوماً حتى صار في يد [ي] ولد كيسان فتحدثوا به في الطريق وقرى السواد"^(١).

كيسان: هو المختار، وولده: هم أتباعه.

الرواية تشير إلى حقيقة لم تُفهم بالشكل الصحيح إلا من قبل أهلها، فكثيرون فهموها بأنها إساءة، وتعني إذاعة سر وتشهيرات بين الخلائق ما كان ينبغي أن يُذكر^(٢)، بل بعضهم ردد المقصود بها بين المختار وأتباعه وبين أصحاب الغدر والمكر الذين يحسبون أنفسهم على الشيعة^(٣)، وواضح أنّ نفس هذا التردد هو إساءة بل إساءة كبيرة جداً، وكأنّ الطرفين في وادٍ واحد. وهناك من لم يتضح له المقصود منها على ما يبدو؛ لأنه اكتفى بالقول إنّ كيسان لقب للمختار بدون إضافة شيء آخر^(٤).

لكن السيد أحمد الحسن قدّم شرحاً للرواية فنّد فيه فهم "الإساءة" منها، قال:

(المختار كان يطلق عليه كيسان).

الإمامة كمفهوم وعقيدة عامة أمرها معروف ومشهور ومعلن عنه، حسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وأبائها لأمتهم وليست قضية سرّية، لكن مصداق الإمامة وتشخيص الإمام بعينه وشخصه كان الأئمة عليهم السلام يحاولون إعطاء لمن يستحقه ويحتاجه

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٢٢٣.

٢- انظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٩ / ١٣٠.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٦ / ٧٦: الكنى واللقاب، عباس القمي: ١ / ٣٩٦.

٤- انظر: الوافي، الفيض الكاشاني: ٥ / ٦٩٩.

فقط، أما غير القابلين بالإمامة كعقيدة فإخفاء المصداق عنهم وعدم بيانه لهم لا يمثل إضلالاً لهم؛ لأنهم بالأصل لا يعتقدون أنّ المصداق هادٍ لهم.

والمختار من شيعة علي عليه السلام ثم من شيعة الحسن عليه السلام وشيعة الحسين عليه السلام، فإلى الآن المختار يعرف الإمام، لكن اختلف الحال بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وكانت حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام في خطر، ولهذا لم يصرح الإمام الحسين سلام الله عليه باسم وصيه. نعم، صرح لزینب سلام الله عليها وحافظت على الإمام علي بن الحسين، وبالنتيجة لم تكن إمامة علي بن الحسين معروفة عند عامة الناس بما فهم الشيعة.

وعدم معرفة الناس بإمامها يعني التيه والضياح بالتأكيد.

أضف إليه: إنّ وضع بلدان المسلمين في ذلك الوقت كان قلقاً جداً ومضطرباً إلى حد كبير، فأكثر من شخص كان لديه جيش وعسكر وقام ببسط نفوذه على بلد من بلدان المسلمين، هذا عدا عصابات السلب المنتشرة، فلا أمن ولا أمان ولا ضبط في البلاد!

في تلك الظروف الحرجة خرج المختار من الكوفة باتجاه الحجاز باحثاً عن إمامه، فالمسألة خطيرة جداً فمن جهة بدأ الأمر وكأنّ انقطاعاً حصل في مصداق الإمامة بعد شهادة الحسين عليه السلام، بحيث إنّ رأس الشيعة "المختار" تائه ولا يعرف إمامه، وليس هو فقط بل سليمان بن صرد "فقيه الشيعة" ومعه بقية شيعة العراق لا يعرفون من الإمام بعد الحسين صلوات الله عليه!

في رحلة بحث المختار عن إمامه ذهب لابن الزبير، وابن الزبير ليس شخصاً عادياً فأمر الزبير هي "صفية" عمّة الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، وفاطمة هي بنت عمته خديجة^(١)، وأيضاً: وجده يرفع شعار "يا لثارات الحسين" ويطلب بدم الحسين فبايعه وقاتل معه بني أمية، ولما اتضحت له حقيقته ولم ينل مراده عنده تركه.

١- باعتبار أنّ خديجة أخت العوام بن خويلد، والد الزبير، وبهذا فإنّ خديجة عليها السلام تكون عمّة الزبير.

استمر المختار يبحث عن إمامه، فذهب لابن الحنفية فوجده تائهاً مثله ويحدّث نفسه بالإمامة بعد أن ادعاها له بعض مرّديه فشجّعه على فكرة أنه المهدي "أي الإمام"، إلى أن جاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى مكة وتدارك حال عمّه؛ إذ التقاه ودار بينهما نقاش في الإمامة وأدلّتها الصحيحة وانجرّ الحوار إلى ذهابهما إلى الكعبة والحجر الأسود، وفي نهاية الأمر أذعن ابن الحنفية للحق واعتقد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام^(١).

بعد أن عرف ابن الحنفية الحق أرسله الإمام ليشرح الأمر للمختار حيث كان متواجداً في مكة أيضاً باعتباره رأس الشيعة، فالإمام وإن كان بالمدينة لكن أكثر الشيعة هم بالكوفة والبصرة أي بالعراق، والمختار هو رأس الشيعة هناك، فتوجه المختار إلى الشيعة ونشر إمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

"ما زال سرّنا مكتوماً": أي بعد الحسين عليه السلام، ومكتوم: يعني لم يكن معروفاً من هو الإمام بعد الحسين عليه السلام.

"سرّنا": يعني مصداق الإمامة، أي: علي بن الحسين عليه السلام.

والرواية تقول: المختار هو الذي نشره.

هم يقولون لماذا نشره؟

الحقيقة، إنّ المختار نشره في ذلك الوقت لرؤوس الشيعة كسليمان بن صرد مثلاً، أما الأكثر من هذا فهو غير مسؤول عنه) انتهى^(٢).

ربما يعترض أحد بالقول: إنّ نشر المختار لأمر مكتوم أمر غير صحيح، ومشمول بروايات النهي عن إذاعة سر آل محمد عليهم السلام.

١- تقدمت الإشارة إلى الرواية، انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٢٤٨.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

يقول السيد أحمد الحسن جواباً على الاعتراض:

(أما مسألة الروايات الأمرة بالحفاظ على سرّ آل محمد عليهم السلام والناهية عن كشفه، وهي روايات كثيرة^(١)، فينبغي معرفة أنّ المقصود بـ "سر أهل البيت" هو بيان مصداق الإمامة وليس المقصود الإمامة كمفهوم وعقيدة عامة، وإلا لكان طعناً بمذهب أهل البيت عليهم السلام؛ إذ لا معنى للاعتقاد بإمامة سرّية! وإنما ينبغي فهم هذه المسألة بالنحو التالي:

الأئمة يقولون إنّ حياتنا بعد الحسين عليه السلام مهددة بالخطر، وهم عليهم السلام لا يعيرون اهتماماً لحياتهم بنفسها، لكن لأنهم مسؤولون عن دين الله والدين متقوم بهم، يكون تعريض حياتهم للخطر يعني تعريض الدين الإلهي للخطر، ولذا حذروا شيعتهم ونهوههم عن أن يقوموا بمثل هذا الفعل.

طبعاً، هذا لا يعني أنهم عليهم السلام نهوا شيعتهم عن إخبار الناس "المستحقين" بأنهم أئمة، وإنما نهوههم عن بيان الأمر لأعدائهم بحيث تتعرض حياة الإمام المعصوم للخطر!

١- منها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

- "الله بيننا وبين من هتك سترنا وجحدنا حقنا و أفشى سرّنا ونسبنا إلى غير جدنا وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا" الكافي، الكليني: ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨.

- "من أفشى سرّنا أهل البيت أذاه الله حر الحديد" بحار الأنوار، المجلسي: ٧٢ / ٤١٢.

- "لا تديعوا أمرنا ولا تحدثوا به إلا أهله، فإنّ المذيع علينا أمرنا أشد علينا مؤنة من عدونا، انصرفوا رحمكم الله ولا تديعوا سرّنا" وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦ / ٢٥٢.

- "نفس المهيموم لنا المغتم لمظلمتنا تسييح، وهمه لأمرنا عبادة، وكتمانه لسرنا جهاد في سبيل الله" وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦ / ٢٤٩ - ٢٥٠.

- "ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ، ولكن قتلنا قتل عمد" وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦ / ٢٥٠.

- في قول الله عز وجل: "ويقتلون الأنبياء بغير حق" قال عليه السلام: "أما والله ما قتلوهم بأسيا فهم ولكن أذاعوا عليهم و أفشوا سرهم فقتلوا" وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٦ / ٢٤٩.

ف "لا تضيعوا سرتنا": ليس معناه اجلسوا ببيوتكم ولا أحد منكم يقول إنَّ علي بن الحسين عليه السلام إمام! أو إنَّ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إمام، والإكيف سيعرف الناس الإمام ويهتدون إليه، ومثل هذا الفهم إن خطر ببال أحد فهم خاطئ ومعوج، وإنما المقصود أن لا تذهب إلى أبي جعفر المنصور وتخبره بأنَّ جعفر بن محمد إمام ويدعو الناس إلى نفسه ويجمعهم حوله وتضع حياة الإمام في خطر وتجعل رقبته تحت مقصلة الظالم!

وإذا وضح هذا الأمر، فجميع روايات النهي عن كشف السر وإذاعته ينبغي أن تُفهم بهذا الفهم. وبشكل عام، فهم روايات حفظ "سر أهل البيت عليهم السلام" والمقصود بها مهم جداً، والمقصود بها كما بيّنت: الإمام وحفظه من القتل.

لدينا مثلاً أكثر من رواية في باب صلاة الجمعة^(١) تبين أنّ الإمام الباقر والصادق عليهما السلام كان يأتيهم أصحابهم فيحثونهم على إقامة صلاة الجمعة، وبعضهم فهم أنّ الصلاة تقام عند الإمام، فأجابه الإمام أنه يقصد أن يصلوها عندهم.

لماذا أخبر الإمام أصحابه أن يصلوها عندهم لا عنده؟ لأنهم إذا جاءوا إلى الإمام وتجمعوا عنده وصلّوها معه، فبالتأكيد ستعرف السلطة الظالمة بذلك وتعرض حياته للخطر؛ بحجة أنه يقوم بتجميع الناس حوله ... إلخ، فأيضاً هذه الحالة ينطبق عليها روايات "كشف سرتنا"، والغريب أنّ الشخصيات التي ظنت أنّ الإمام يريد إقامتها عنده

١- هذه بعض الروايات المقصودة:

(١) - ... عن زرارة قال: حدثنا أبو عبد الله عليه السلام على صلاة الجمعة حتى ظننت أنه يريد أن تأتيه، فقلت: نغدو عليك؟ فقال: لا، إنما عنيت عندكم.

ورواه المفيد في "المقنعة" عن هشام بن سالم مثله.

٢- ... عن زرارة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: مثلك يهلك ولم يصل فريضة فرضها الله، قال: قلت: كيف أصنع؟ قال: صلوا جماعة يعني صلاة الجمعة) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٧ /

هم شخصيات كبيرة^(١)، مع أنّ التجمع والصلاة عنده يعني تعريض حياته للخطر وربما قتله قبل أداء مهمته ورسالته!

القضية هي أنك لديك إمام، وخير الأعمال هو النصح لإمام المسلمين، والنصح هنا ليس معناه تقديم نصيحة بمعناها المتعارف له؛ فهو بالحقيقة غير محتاج لها؛ لأن الله سبحانه ينصحه ويبين له طريقه، لكن النصح المقصود هنا هو الإخلاص له بالعمل، فهو دين الله وإمام المسلمين وبالتالي يجب الحفاظ على حياته.

ومثل صلاة الجمعة، مسألة تأييد الثورات ومنحها الشرعية) انتهى^(٢).

أي: كما أنّ الإمام وجّه بإقامة صلاة الجمعة بطريقة لا تعرض حياته للخطر، فطلب من أتباعه أن يقيموها عندهم، فكذا الحال في مسألة تأييد الثورات (ثورة التوابين وثورة المختار)، فالإمام علي بن الحسين عليه السلام صدر منه توجيه وإذن بهذا الخصوص لقيادة الثورتين لكن بطريقة لا تعرض حياته للخطر والقتل، أي: يقوموا بها ولا يأتون على ذكر اسمه؛ حفظاً له من القتل.

الحقيقة، إنّ رواية الإمام الصادق عليه السلام المتقدمة تبين فضلاً كبيراً للمختار على شيعة العراق؛ إذ معرفة إمام الحق من أهم مسائل دين الله، والمختار كما عرفنا لم يفش هذا الأمر ويذيعه لأعداء آل محمد ليكون فعله مشمولاً بالنهي عن "إفشاء السر"، وإنما أفشاه لأهله، بل بالتحديد أفشاه لبعض رؤوس الشيعة مثل سليمان، والتعريف بالإمام لمن يقبل الحق أمر واجب بدليل آية النفرو الروايات التي وردت عن آل محمد في تفسيرها، وهذا مثال لها:

• (عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا حدث على الامام حدث، كيف يصنع الناس؟ قال: أين قول الله عزوجل: "فلولا نفر من كل فرقة منهم

١- بحسب الروايات في الهامش السابق، الشخصيات هم: زرارة، وهشام بن سالم، وعبد الملك.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" قال: هم في عذر ما داموا في الطلب وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر، حتى يرجع إليهم أصحابهم) (١).

• (عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله بلغنا شكواك وأشفقنا، فلو أعلمتنا أو علمتنا من؟ قال: إن عليا عليه السلام كان عالماً والعلم يتوارث، فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله، قلت: أفيسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفوا الذي بعده؟ فقال: أما أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأما غيرها من البلدان فيقدر مسيرهم، إن الله يقول: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" قال: قلت: رأيت من مات في ذلك فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، قال: قلت: فإذا قدموا بأي شيء يعرفون أصحابهم؟ قال: يعطى السكينة والوقار والهيبة) (٢).

المختار رضوان الله عليه كان مصداقاً واضحاً للعمل بهذه الآية.

يقول السيد أحمد الحسن:

(المختار جزاه الله خيراً، له فضل كبير على كل أهل العراق في نشر وبيان أنّ علي بن الحسين "البقية من آل الحسين" هو الإمام، وليس الإمام محمد بن الحنفية ولا عمر بن علي ولا أولاد الحسن ولا غيرهم، إذ معلوم أنّ الإمامة مُدّت إليها أعناق الكثيرين، فرواية الإمام الصادق عليه السلام ليس فقط تتضمن مدحاً للمختار فحسب ولكن فيها تعظيم لشأنه.

نعم، لما أخبر المختار رؤوس الشيعة يعني سليمان وآخرين، ووصل الحق إلى أصحاب المختار صارت دواول وشيئاً فشيئاً أنتشر في كل قرى السواد "العراق"، فإذا كان هناك خطأ فهو النشر في كل السواد، لكن المختار لم يفعل هذا، فهو لم يذهب وينشر الأمر في جميع

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٧٨.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

القرى والأماكن في العراق، ولم يخبر أعداء آل محمد عليهم السلام بأن علي بن الحسين هو الإمام بعد أبيه، وإنما أخبروا أفشى المصداق لمن هم أهل لذلك، هو أعلم سليمان بن صرد وأنصار موثوقين بالحق، والتعريف بمصداق الإمامة لمن يستحقه ويحتاجه أمر واجب، وبالنتيجة المختار لم يفعل غير الواجب ولم يخطأ في ذلك، والنهي عن إفشاء سرهم عليهم السلام إنما هو الإفشاء لغير أهله؛ حفظاً على حياة الإمام وعدم تعريضه للخطر.

بل حتى من يفشيه لغير أهله لا يخرج من الملة والدين ويتم تكفيره، وإنما يكون قد ارتكب خطأ وإثمًا، إلا إذا كانت نيته وقصده قتل الإمام أو تعريض حياته للخطر، وبالتأكيد المختار ليس كذلك.

المختار بقي يبحث عن مصداق الإمامة، فهو بعد عام ٦١ هـ تعرض للسجن أكثر من مرة وبقي قيد الإقامة الجبرية وأذى السلطات، ثم لما خرج من الكوفة قصد مكة بحثاً عن معرفة إمامه، والبحث عن الحقيقة أمر مطلوب بل عبادة، فأبراهيم عليه السلام بحث في الدين وضرب الله سبحانه به مثلاً في القرآن^(١). نعم، تاه المختار فترة في بداية بحثه فذهب لابن الزبير ثم توهم أن ابن الحنفية هو المهدي "الإمام"، لكنه بالنهاية اهتدى للحق وعرف إمامه، ومنه عرفت بقية الشيعة، ولولاه لبقوا تائبين.

المختار لما وصل للحقيقة فرح بها وترك ابن الزبير، ورجع إلى الكوفة وأخبر الشيعة المتحيرين بما عرفه من الحق، عرّف أهل السواد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام، وأشاع بينهم مصداق الإمامة، وبالتالي فأهل السواد "الشيعة ككل" مدينون للمختار ولأولاده وأتباعه "ولد كيسان"، فلأن المختار وُجد في يوم من الأيام عرف أهل العراق التشيع الحق وأمكنهم معرفة مصاديق الأئمة بعد الحسين، وإلا لأصبحت الإمامة عندهم

١- قال تعالى: " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْإِنسَانَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِنَجْمٍ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَقِيقًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " الأنعام: ٧٥ - ٧٩.

عنواناً بلامصداق^(١)؛ لأن معرفتهم بالمصاديق تقف عند الحسين عليه السلام، فالرواية إذن تضع المختار في مكانة عظيمة) انتهى^(٢).

بالتأكيد هذه الحقائق مغيّبة في التاريخ بهذا الوضوح، وفي نفس الوقت هذه القراءة للأحداث تقدم إجابات منطقية وواقعية لما بقي مهماً ومحيراً، فمثلاً: كلنا قرأنا ما رواه المؤرخون في مسألة خروج المختار من الكوفة إلى الحجاز ولقائه بابن الزبير ثم تركه له، والسبب عندهم أنه لم ينل مراده، و"المراد" فسره كثير منهم بالدنيا "منصب، جاه، ... إلخ" مع أنهم في نفس الوقت يروون أنّ المختار خرج من الكوفة وكان همّه الأول والوحيد الطلب بدم الحسين عليه السلام؟! لكن: كيف يلتقي الطلب بدم الحسين مع طلب الدنيا في آن واحد؟! لا أحد يعرف.

وأيضاً: اطلعنا على أحداث عودة المختار فرحاً مستبشراً إلى الكوفة، وكان يخبر الشيعة بأنه جاء ومعه إذن بالقيام؟ أغلبهم اعتبر الإذن من ابن الحنفية كأصل ليس بعده جهة تعد بحق مستند الشرعية أعني الإمام المعصوم، وابن الحنفية ليس أماماً معصوماً يضفي إذنه شرعية دينية لأحد؛ فضلاً عن أن يكون رأساً من رؤوس الشيعة في العراق؟

ثم لماذا يبعث المختار برؤوس القتلى إلى علي بن الحسين؟ لماذا كان يوصل إليه أموال الخمس (وهي حق فرضه الله للإمام المعصوم كما هو معلوم)^(٣) حتى إنه استعان به على بناء داره ودور آل أبي طالب المهذومة ظلماً؟ لماذا كان يسجد لله شكراً إذا وافق فعله مراد علي بن الحسين؟

١- أي يعرفون أنّ الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله حق، أو يعرفون أنّ الامامة في آل محمد عليهم السلام، بل وربما يعرفون أنّ الائمة في ولد الحسين، لكن: من هم، ما هي أسماؤهم؟ لا أحد منهم يعرف ذلك لأنهم لم يعرفوا الإمام بعد الحسين من هو.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- الروايات في هذا المعنى كثيرة، هذا مثال لها:

(...) عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال: لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقنا. ... عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر قال: قرأت عليه آية الخمس فقال: ما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٩ / ٤٨٤.

الآن برواية الإمام الصادق عليه السلام المتقدمة وما عرفناه من شرح السيد أحمد الحسن لها، صار بوسعنا أن نجيب عن هذه الأسئلة وغيرها مما له صلة بموضوعنا.

يقول السيد أحمد الحسن:

(ليس بالضرورة أن يذكر التاريخ كل شيء، لكننا نطرح الموضوع كأسئلة:

- ما الذي دعا المختار للذهاب إلى مكة بالتحديد؟
- لماذا التقى ابن الزبير وقاتل معه ثم تركه؟
- ثم لماذا التقى ابن الحنفية؟
- لماذا كان يتواصل مع علي بن الحسين ويبعث إليه بالرؤوس وأموال الخمس ... إلخ؟

الحق أنّ المختار كان يعتقد بإمامة "علي، ثم الحسن، ثم الحسين" عليهم السلام، وبعد الحسين بحث المختار عن إمامه، واستمر بالبحث فترة التقى خلالها بابن الزبير وابن الحنفية، إلى أن وجد إمامه أخيراً "علي بن الحسين عليه السلام" واعتقد به كما بينت سابقاً، وخلال ثورته كان يرسل رؤوس قتلة الحسين وأموال الخمس إليه، لماذا يرسلها إليه؟ لأنه يعتقد أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

حقيقة، إنّ الإساءة للمختار سوء توفيق، المختار قاتل قتلة الحسين عليه السلام، ولو كان هذا فقط لكفاه، ومع هذا فإنّ رواية الإمام الصادق عليه السلام التي مرت دليل على أنّ كثيراً من أهل العراق ما كانوا ليعرفوا الإمام علي بن الحسين وأولاده الأئمة من بعده عليهم السلام لولا المختار ومن كان معه من عائلته وأصحابه "ولد كيسان"، وهذا يعني أنّ المختار هو من أوصل التشيع ومعرفة الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام إلى العراق، ولولاه لما عرفوا الإمام بعد الحسين عليه السلام) انتبهى^(١).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

صار واضحاً الآن أنّ المختار هو السبب في تعريف سليمان بن صرد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام، وبالتالي صار بوسع سليمان أن يستحصل الإذن الشرعي لثورته من الإمام المعصوم لكن بالتأكيد تحصيله يكون بطريقة لا تتسبب بخطر على حياته، لأننا نتكلم عن رأسي الشيعة بالعراق وليس أي شخصين، وبالتالي لا يتوقع منهما نشر ذلك الإذن للعموم، وهما يعرفان أنّ إذاعته والتسبب بهديد حياة الإمام وتعرضه للخطر أمر منهي عنه ووزره عظيم.

يقول السيد أحمد الحسن في نقاش المشككين بشرعية الثورتين؛ خصوصاً ثورة التوابين (باعتبار أنّ شرعية ثورة المختار قد توضحت بالتفصيل بما سبق):

(إذا ذهبنا إلى قضية التوابين والمختار:

من أين لهم أنّ كل ما جرى بين رؤوس الشيعة؛ سليمان بن صرد والمختار وبين علي بن الحسين عليه السلام وصل إليهم؟

هل هناك جزم بأنّ كل ما حصل وصل لهم كالرسائل مثلاً وما شابه؟ والإمام يقول "سرّنا" و"الحفاظ على السر"، فكيف عرفوا إذن؟

وكمثال: من أين لهم أن ينفوا أنّ سليمان كتب للإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه يريد الخروج والإمام إذن ووافق لكن طلب منه أن لا يذكر اسمه؟!

هل يوجد دم من الأئمة أولعن بحق سليمان وجماعته؟ أكيد لا.

إذن ماذا يريدون؟ هل الله وضعهم على الجنة والنار؟

وبالنسبة لمن يطلب وثيقة بالإذن موقعة من الإمام حتى تكون مستنداً للشرعية، فلا مانع من أن يكون مثل هذا المستند موجوداً ولكن لم يصل بيد الناس؛ لأن الإمام طلب من سليمان أن لا يتكلم أو يظهر الوثيقة في العلن.

سليمان والمختار من رؤوس الشيعة في الكوفة والعراق، فهؤلاء هم كبار الشيعة ولهم مكانة كبيرة، فمن يتحدث عنهم ويشكك بشرعية أفعالهم ينبغي أن يعرف حدّه ويقف عنده) انتهى^(١).

فتحصل بما تقدم: أنّ ثورة التوابين وثورة المختار شرعيتان وفق العقيدة الحقّة؛ لأنّهما كانتا بإذن من الإمام المعصوم (علي بن الحسين عليه السلام) ورضاه، ومن قتل فيهما "شهيد"، ولا تبقى أي قيمة تذكر للطعن والتشكيك.

يقول السيد أحمد الحسن: (المختار شهيد بلا شك وسليمان بن صرد كذلك، ومن كانوا معهم وقُتل في ثوراتهم شهداء) انتهى^(٢).

الحمد لله الذي أنصف عباده ومن ثاروا لمظلومية ربحانة محمد بالرغم من تقصيرهم معه في حياته، لكنهم ندموا بعد التقصير وبكوا وتألّموا وأرخصوا دماءهم للطلب بثأره ودمه المسفوك ظلماً وكانوا يعتبرون البقاء في الدنيا عاراً فثاروا وقتلوا بإذن وصي الحسين، وأبت رحمة الله سبحانه وأوليائه إلا إنصاف دمائهم وأرواحهم الطاهرة، فكانوا شهداء مرضيين رضوان الله عليهم.

فكم أنت عزيز على الله يا حسين!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

هل خفيت إمامة علي بن الحسين (ع) عن خواص الشيعة؟

ورد في الكافي: (عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتيبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال، وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي وقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام) (١).

واضح أنّ مضمون الرواية يشير إلى مقطع من مقاطع وصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي تكفلت ذكر أوصياء الرسول وخلفائه الشرعيين إلى يوم القيامة (٢).

ونحن إذا استحضرنا ما انتهينا إليه، واطلعنا على هذه الرواية ربما يتبادر سؤال في غاية الأهمية:

ورد في الرواية أنّ محمد بن الحنفية كان أحد الشهود على وصية أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وبالتالي فهو استمع بالتأكيد إلى أنّ الإمام بعد الحسين عليه السلام هو ابنه علي، فكيف إذن نازعه الإمامة وجادله فيها قبل أن يعود للحق أخيراً؟

١- الكافي، الكليني: ١ / ٢٩٧ - ٢٩٨.

٢- للاطلاع على وصية الرسول صلى الله عليه وآله المتضمنة ذكر الأوصياء وخلفاء الرسول الشرعيين، انظر: الغيبة، الطوسي: ١٥٠ - ١٥١، تحقيق: عبد الله الطهراني.

وأيضاً: بحسب الرواية، كان رؤساء الشيعة من ضمن الشهداء، فكيف خفيت عليهم إمامة علي بن الحسين عليه السلام وتأهوا (غالبيتهم) بعد شهادة الحسين عليه السلام إلى أن عرف المختار الحق ونشر إمامته لهم؟

يقول السيد أحمد الحسن في إجابة السؤال:

(إنّ مسألة معرفة بعض رؤوس الشيعة في زمن علي عليه السلام بمضمون وصية رسول الله صلى الله عليه وآله أو سماعهم لما فيها من ذكر للأئمة عليهم السلام أمر حتمي. وكذا محمد بن الحنفية لا بد أنه سمع أنّ الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام.

ومحمد بن الحنفية ادعى له بعض الشيعة المهدوية وأغروه بها وجلس للناس، ولما أنكر عليه الإمام علي بن الحسين عليه السلام جادل لكنه ترك الادعاء وعاد للحق، أما كيف ولماذا؟ فهذه هي الدنيا ومغرياتها، وهذا هو الهوى والأنا، وهذا هو الإنسان يمكن أن ينزلق وينحرف إلا من عصمهم الله وأيدهم بملائكته يحدثونهم ليلاً ونهاراً نياماً وأيقاظاً.

أما المختار، فلما رجع للحق وجاء للكوفة نشر التشيع لعلي بن الحسين عليه السلام بصورة علنية بين أهل الكوفة والعراق بعد هلاك يزيد لعنه الله؛ لأنه اعتقد أنه لا يجرؤ أحد على قتل الامام علي بن الحسين عليه السلام بعد هلاك يزيد لعنه الله حتى وإن انتشر بين الناس معرفة إمامته عليه السلام. وبالطبع فإنّ بعض رؤوس الشيعة وبعض الشيعة في الكوفة يعرفون بإمامة علي بن الحسين عليه السلام ولكنهم لا يعلنون ولا يصرّحون لكل أحد للحفاظ على حياته؛ خصوصاً في فترة حكم يزيد وتلك الفترة المضطربة، وخصوصاً أنّ الامام في تلك الفترة كان شاباً فإذا كان القوم قد استهانوا أو تعذر بعضهم بصغر عمر علي بن أبي طالب عليه السلام وكونه شاباً لا يصلح للقيادة^(١) فما بالك بعلي بن الحسين عليه السلام!

١- (عن جرير بن عبد الله، وقال: صليت مع عمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما فرغنا اخذ بيدي نحو منزله لأمرأاده، فاجتازنا بعلي عليه السلام وهو ببابه، وبين يديه بعيران مناخان ومعه مولى له يقال له نباح، متأهب للسفر، وأمير المؤمنين عليه السلام يقول له: نباح سر على بركات الله وحسن توفيقه، زدك الله التقوى، ورزقك الله خير الآخرة والدنيا، بعيران هذان أوصيك فيهما خيراً تنوخ بهما السهول، وتنكب بهما الحزون،

أيضاً: لما استتب الأمر للمختار نشر التشيع لعلي بن الحسين عليه السلام بصورة واضحة وعلنية لما أرسل له رؤوس بعض مجرمي الطف، وأرسل له أموال الخمس بصورة معلنة، فهذا إعلان من المختار للقاصي والداني بإمامة علي بن الحسين عليه السلام) انتهى^(١).

أقول: المخيف حقيقة المقارنة بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحفيده الإمام علي بن الحسين عليه السلام من جهة "صغرسن الإمام": حيث تعذربه بعض المبتلين بإمامة كل منهما في زمنه، وهم كبار السن بالتحديد!

وبخصوص الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد كان عمره عند شهادة أبيه هو ٢٢ عاماً؛ لأنه ولد عام ٣٨ هـ، وهذا يعني - وفق الرواية أعلاه - أن الإمام علي عليه السلام لما رفع يده بمحضر ابن الحنفية وبقية رؤوس الشيعة كان عمره ثلاث سنين تقريباً.

بالتأكيد، بعض خواص الشيعة كانوا يعرفون بإمامة علي بن الحسين بعد شهادة أبيه، ولا أقل كانوا يعرفون أن الامامة في ولد الحسين عليه السلام، ومن غير المعقول أن يكون مثل كميل بن زياد وصعصعة بن صوحان وسليم بن قيس وحبّة العرني مثلاً - وهم

واسقهما الماء عند الماء، وانزل عنهما عند الغايات، ولا تتخذ ظهورهما مجلساً ولا متحدثاً، ولا تضر بهما وأنت تجد السبيل إلى التراضي عنهما.

قال جرير: فالتفت إلى عمر وقلت: تسمع وصية علي عليه السلام لعبده، وحسن سيرته مع الخلق؟ فقال لي: ويحك يا جرير أليس هذا علي بن أبي طالب عليه السلام معدن الحكم، ومقر الكرم، ومجمع الايمان؟ اما والله لولا حداثة سنه وخصال أورثته عجباً ما كان للخلافة غيره.

فقلت: يا عمر أما الحدائث فقد عرفت، واما الخصال التي اجتمعن فيه وأورثته عجباً فليست أعرفها، فقال: شجاعة لا ترام، وقوة لا يدخل عليها النقص، وسيف في الاسلام، وجود موصوف، وعقل ارزن من الجبال، ورأي أعلى من الأفق، وقلب أثبت من أحد، وانه زوج سيدة نساء العالمين، وأبوسيدي شباب أهل الجنة. وكيفيك من هذه الخصال واحدة في الفخر.

قال جرير: فأجزت منصرفي، واتيبت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بما جرى قال: يا جرير فهلا قلت له: أكان علي حين قدمه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم الخندق أصغر سناً أو اليوم؟ قال جرير: ما كنت آمن أن يعلوني بالدرة) حلية الأبرار، هاشم البحراني: ٢ / ١٦٨.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

خواص علي عليه السلام – لم يسمعوا منه بإمامة علي بن الحسين عليه السلام أو أنّ الإمامة في ولد الحسين عليه السلام كحد أدنى، أو لم يبلغهم مضمون وصية الرسول صلى الله عليه وآله ولو إجمالاً، كيف وسليم يروي بعض مضامينها في كتابه! بل رواية الكافي التي مرت رواها سليم بن قيس نفسه وصرّح فيها بأنه كان من ضمن الشهداء ومعه بعض رؤوس الشيعة، وسمعوا وصية أمير المؤمنين صلوات الله عليه التي نص فيها على إمامة علي بن الحسين، وأما صعصعة وكميل وحبّة العرني فهم إن لم يكونوا ضمن الحضور فأكيد بلغهم مضمون وصية أمير المؤمنين بل بلوغ مضمون وصية الرسول صلى الله عليه وآله لهم ولو إجمالاً أمرحتي.

لكن الغريب أنهم – مع هذا – ليس لهم أي موقف أو تحرك بعد شهادة الحسين عليه السلام، فلا هم نصرروا الحسين عليه السلام في حياته، ولا تحركوا ضمن من تحرك للطلب بثأره؛ لا في ثورة التوابين ولا في ثورة المختار، ولا حتى لهم حركة أو موقف في تعريف الشيعة بإمامة علي بن الحسين عليه السلام إلى أن أوضح المختار ذلك لعموم الشيعة!

يقول السيد أحمد الحسن:

(هناك مَنْ يعرفون الوصية ولو إجمالاً، ويعرفون على الأقل أنّ الإمامة في ولد الحسين عليه السلام، وكان يمكن أن يكون لهم موقف بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه. هم بلا شك يعرفون علي بن الحسين وماتوا على إمامة علي بن الحسين لكنهم لم يكلفوا أنفسهم بالذهاب إلى الكوفة أو البصرة مثلاً؛ الموضوعين اللذين يحتضنان ثقل التشيع لآل محمد ودين محمد صلى الله عليه وآله الحق لتعريف الشيعة بإمامته، مثل: صعصعة بن صوحان وسليم بن قيس الهلالي وكميل بن زياد، فهؤلاء بقوا أحياء بعد ثورة الحسين عليه السلام لفترة وكانوا يعيشون بين الناس.

الحقيقة، ليس كل الناس تمتلك الشجاعة الكافية ورسوخ المعرفة بضرورة التضحية لدين الله في كل الأوقات، ونحن لا نريد الخوض أكثر في هذه التفاصيل لكنها بنفس الوقت واقع حقيقي ولا يمكننا إخفاءه أو التغاضي عنه.

بينما قام المختار بما لم يقم به غيره، وكان مصداقاً واضحاً لأية النفر التي توجب النفر لمعرفة مصداق الإمام، وهو وجوب كفايي كما هو معلوم، ولم يرد أنّ هناك من نفر من العراق إلى الحجاز لمعرفة الإمام بعد الحسين عليه السلام غير المختار، أو على الأقل يمكن القول إنه أحد من طبّقوا الآية وبحثوا في مراد الله سبحانه ورضاه وساحوا وهاجروا في الأرض يطلبون الحق و يبحثون عنه ليرضوا الله سبحانه. وقد نقل التاريخ حركة المختار هذه، فلماذا يُعاتب المختار على حركته بينما يُسكت عن الآخرين الذين كانوا يعرفون مصداق الإمامة بعد الحسين ولم تكن لهم أي حركة أو موقف؟ لم يتحركوا مع الحسين صلوات الله عليه في حياته، ولم تكن لهم حركة للمطلب بثأره، وأيضاً لم تكن لهم حركة أو موقف في تعريف الناس بإمامة علي بن الحسين عليه السلام!

وهذا تقصير واضح، فهم:

- إن كانوا عارفين بإمامة علي بن الحسين عليه السلام كان عليهم الذهاب إليه واستحصال الإذن بالقيام وأخذ ثأر الحسين عليه السلام وقيادة الثورة، فأكد أنهم يعرفون أنّ الحسين ذبيح الله وحبیب رسول الله، من منهم لا يعرف أنّ الحسين ريحانة رسول الله وأنه لما كان طفلاً كان يأتي ويرتقي ظهر جده أثناء سجوده فيطيل الرسول السجود ولا يقبل أن ينهأه أحد وكان يقول لهم: "دعوه" مع أنه بالصلاة وهي خير عمل من خير بشر! إذن، كان واجب عليهم أن يتحركوا للأخذ بثأر الإمام الحسين.

- وإن لم يكونوا عارفين بإمامة علي بن الحسين عليه السلام كشخص وكانت معرفتهم تقتصر على كون الإمامة في ولد الحسين فقط، كان يجب عليهم البحث والذهاب للمدينة لمعرفة شخص الإمام بعد الحسين عليه السلام، ولا أقل فهم كانوا يقرؤون القرآن وقرؤوا وجوب النفر لمعرفة الإمام.

لكنهم لم يفعلوا ذلك والمختار فعله؛ إذ تحقق من مصداق الإمامة وعرف إمامة علي بن الحسين عليه السلام بعد أن كانت معرفته إجمالية ونشرها، ولا نقول إنه نشرها لكل الشيعة في الكوفة وفي العراق ولم يكن أحد منهم يعرف بإمامة علي بن الحسين، بالتأكيد هناك من يعرف لكنه لم يحرك ساكناً، بينما المختار أسمع وعلم الذي لم يكن قد سمع، وأيضاً زاد ورسخ معرفة من سمع، وبالنتيجة المختار قطع عذر الجميع في وقت الحدث

ووقت الابتلاء، بمعنى أنّ من كان عارفاً بأنّ الإمامة في ولد الحسين في زمن علي وفي زمن الحسن وفي زمن الحسين عليهم السلام فالآن هو في زمن ولد الحسين، وهذا هو الإمام من ولد الحسين كمصداق خارجي يجب الاعتقاد بإمامته، أي أنّ المختار تحرك ونقل ما عرفه للشيعة في وقت الابتلاء والحاجة، فهذا هو المختار وهذا هو فضله) انتهى (١).

من قصّروا مع علي بن الحسين عليه السلام لا يعني أنهم غير مؤمنين بإمامته، بل على العكس كانوا مؤمنين بالحق وماتوا عليه، لكنهم في نفس الوقت مقصّرون، وقد تقدم مراراً بيان أنّ الإيمان والتقصير يجتمعان في نفس الشخص في دنيا الامتحان.

مثلاً: من علائم التقصير، كان يفترض بهم - كحد أدنى - أن يعينوا علي بن الحسين عليه السلام ويشهدوا لإمامته؛ لأنهم كانوا خواصّ جده أمير المؤمنين عليه السلام وثقاته ولهم كلمتهم ومكانتهم، بدل أن يضطر الإمام المظلوم إلى السفر بنفسه من المدينة إلى مكة - في وقت عصيب وفيه خطر على حياته - لإثبات إمامته لعمّه ابن الحنفية الذي كاد أن يهلك نفسه ومن معه لولا أن تداركه الإمام ويّن له الحق!

يقول السيد أحمد الحسن:

(كان يجب عليهم أن لا يتركوا علي بن الحسين عليه السلام يذهب بنفسه حتى يثبت إمامته لمحمد بن الحنفية، ولم يثبت أنهم وقفوا مع علي بن الحسين عليه السلام، وهذا تقصير واضح في نصرته، بل هم هل رووا عن علي بن الحسين شيئاً؟) انتهى (٢).

واضح أنّ هذه الشخصيات لولا أنها تستحق العتب لما عوتبت، فقرهم من علي عليه السلام كان يُرجى منه أن يكون الصادر منهم أثناء وبعد ثورة الحسين عليه السلام غير ما وقع تماماً؛ إذ لا شك أنهم كانوا أحياء بعد ثورة الحسين عليه السلام، فصعوبة مات سنة ٧٠ هـ (٣) بعمر يزيد على السبعين عاماً بالتأكيد؛ لأنه أسلم في زمن حياة النبي صلى

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- انظر: الأعلام، الزركلي: ٣/ ٢٠٥.

الله عليه وآله، وكان لصيقاً بعلي عليه السلام حتى إنه أشهده على وصيته المالية^(١). وأما سليم بن قيس فإنه فرّ من الكوفة في زمن الحجاج الذي تتبع أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، واستقر في "نوبندجان" من بلاد فارس في بيت صديقه إبان بن أبي عياش فمرض ومات سنة ٧٦ هـ بعمر ٧٨ عاماً^(٢). وكذلك حبة العرني، فإنه مات في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ^(٣)، وكان عمره يزيد على السبعين عاماً بالتأكيد، لأنه ممن شاهد النبي صلى الله عليه وآله، ويُعد من ضمن الصحابة الذين رووا حديث الغدير^(٤). وأما كميل بن زياد، فقتله الحجاج لعنه الله سنة ٨٢ هـ بعمر يتراوح بين ٧٠ - ٩٠ عاماً كما سيوضح^(٥).

ويبقى السؤال الملح والخطير: ما علة كل هذا التقصير؟

يقول السيد أحمد الحسن:

(المسألة معللة ظاهرياً. فبعض من لم تكن لهم مواقف قوية في نصرة زين العابدين أعمارهم بين السبعين والثمانين سنة، وعلي بن الحسين عليه السلام شاب عمره عشرين سنة أو يزيد عليه بقليل، فهو بالنتيجة بعمر أحفادهم.

الأمر الآخر: أنهم كانوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام ورافقه سنين، رأوا أفعاله ومواقفه وتصرفاته... إلخ، فكانوا يريدون الإمام بعد علي عليه السلام مثل علي تماماً، أي ينتظرون من علي بن الحسين عليه السلام أن يكون نسخة مطابقة لعلي عليه السلام

١- بعد أن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام كيفية التصرف بماله، قال: "هذا ما قضى به علي في ماله الغد من يوم قدم مسكن شهد أبو سمر بن برهة وضعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين" الكافي، الكليني: ٧ / ٥١. وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: "ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلا وضعصعة وأصحابه" الغارات، النقفى: ٢ / ٨٨٨؛ خلاصة الأقوال، الحلي: ١٧١.

٢- انظر: كتاب سليم بن قيس: ٧٣، مقدمة التحقيق.

٣- انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ١٧٧؛ طرائف المقال، البروجردي: ٢ / ٧٩.

٤- انظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ١ / ٣٦٧.

٥- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٠ / ٢٥٧.

تماماً؛ وهذا غير صحيح، فعلي عليه السلام بلا نقاش لا يقارن به أحد من ولده، فقد وصفه ابنه مثلاً فقال: "أنتعب من يأتي بعده". وأيضاً: تكليف علي عليه السلام وما طلبه الله سبحانه منه غير المطلوب من ولده علي بن الحسين والأئمة من ولده عليهم السلام.

وإلا ماذا نفع لكم؟ ومن أين نأتي لكم بعلي بن أبي طالب عليه السلام آخر؟ علي عليه السلام واحد لا يتكرر، علي عليه السلام ليس له نسخة ثانية مطابقة له تماماً! الأمر لله سبحانه، والموجودون بعد علي هم أئمة طاهرون من ولده صلوات الله عليهم، عباد صالحون بمستوى عالٍ ومرتقون إلى أعلى درجات المقامات عند الله سبحانه وتعالى، معصومون لا يدخلون الناس في باطل ولا يخرجوهم من هدى!

إذن، ماذا تريدون أكثر من هذا؟

أما الإصرار على أن يكون الإمام (بعد علي) بنفس سلوك علي عليه السلام ونفس سيرته وطريقته فهذا أمر خاطئ؛ إذ معلوم عن علي عليه السلام أنه كان يحكم الكوفة والدنيا وتبعاً لذلك كانت هناك واجبات معينة فُرضت عليه لم تكن مفروضة على الأئمة من ولده؛ لأنهم بالأساس غير مكلفين بما كُلف به، لذا روى: "المعلّى ابن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يوماً: جعلت فداك ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت: لو كان هذا إليكم لعشنا معكم، فقال: هيات يا معلّى أما والله أن لو كان ذلك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ولبس الخشن وأكل الجشب، فزوي ذلك عنا فهل رأيت ظلاماً قط صيرها الله تعالى نعمة إلا هذه" (١) انتهى (٢).

تتميم:

ما ذكرناه من تقصير بعض خواص الشيعة (مثل: صعصعة بن صوحان وحبّة العزني وسليم بن قيس وكميل بن زياد) بحق الإمام علي بن الحسين عليه السلام ونصرتهم والدعوة إلى إمامته وانصرافهم عن المشاركة بثورات الثأر المرضية عنده، أمر أشار إليه

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤١٠.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الإمام الصادق عليه السلام بقوله: "ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا"^(١).

والارتداد في الرواية لا يعني الخروج من دين الله من رأس بحيث ليس هناك شيعة غير هؤلاء الثلاثة، بالتأكيد هناك مؤمنون بإمامة الإمام علي بن الحسين عليه السلام كبعض رؤوس الشيعة كما تقدم، وأيضاً المختار نفر إلى الحجاز طلباً لمعرفة مصداق الإمام بعد الحسين عليه السلام، فهؤلاء لا تحكم الرواية بنفي تشيعهم، وإنما "الارتداد" هنا يعني التقصير بحق الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢)، باعتبار أن التقصير فيه تراجع وتقهر إلى الوراء كما هو معلوم، وقد تجاوز كثيرون هذا التقصير وصحّحوا مسيرهم كالمختار وأصحابه وسليمان وأصحابه، وفعلوا ما يرضي الإمام زين العابدين عليه السلام وجاهدوا واستشهدوا وهم يطالبون بثار الحسين صلوات الله من قاتليه. لكن بقي بعض المقصرين على تقصيرهم ولم يسعوا إلى تجاوزه وتصحيح الموقف.

وربما يعتذر البعض لمن تقدم ذكرهم بالطلب، أي أنّ الحجاج الثقفي لما ولي الكوفة صار يطلب أصحاب علي عليه السلام ويطاردهم، فاضطروا لتغيير أنفسهم؟

أقول: الحجاج - لعنه الله - ولي الكوفة سنة ٧٥ هـ، وإمامة السجاد عليه السلام بدأت من سنة ٦١ هـ بعد شهادة أبيه، ثم صارت محلاً للابتلاء سنة ٦٤ هـ لما عاد المختار إلى الكوفة وقام بنشرها، ثم حدثت بعدها ثورة التوابين سنة ٦٥ هـ وبعدها ثورة المختار سنة ٦٦ هـ، وهم طيلة هذه السنين بما تضمنتها من أحداث ضخمة لم يكن لهم أي ذكروا أي مشاركة!

وأيضاً: إذا كان طلب الظالم عندي، فهل المختار وسليمان وبقية رؤوس الشيعة الذين بذلوا دمهم للثار والطلب بدم الحسين من قاتليه لم يكن عليهم طلب مثلاً؟!

١- الاختصاص، المفيد: ٦٤.

٢- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص.

يقول السيد أحمد الحسن:

(بعضهم يعتذر لكميل وسليم وغيرهم بالطلب ومطاردة السلطات لهم!

المختار ماذا؟ سليمان بن صرد ماذا؟ من قتل معهم من خيرة رؤوس الشيعة ماذا؟

كثير من رؤوس الشيعة الذين جاهدوا وضخّوا لم يذكروهم أحد، ومن ذكروهم ذكر بصورة هامشية مع أنهم يستحقون الذكر، بينما هم أفضل من غيرهم ممّن مجّدوا)^(١).

بهذا يمكننا أن نخلص إلى الحقيقة التالية كقاعدة عامة:

"إنّ من نصر الإمام الحسين عليه السلام ولحق به واستشهد معه أفضل عند الله ممن لم ينصره ولم يلتحق به، ومن اشترك بثورات الثأر للطلب بدم الحسين أفضل عند الله ممن لم يشترك"، علماً أننا نتحدث الآن عن المؤمنين بولاية آل محمد عليهم السلام ومن مات عليها مختوماً له بخير.

نعم، قد يحصل استثناء خاص لهذه القاعدة العامة، وهو أمر ممكن بطبيعة الحال وفق حكمة معينة يريدّها الله، والاستثناء لا بد أن يكون بنص محكم من الإمام المعصوم حصراً لا وفق اجتهادات ورغبات وظنون شخصية لا قيمة لها في دين الله بكل تأكيد.

بمعنى: من يقول عن مؤمن لم ينصر الحسين في كربلاء أنه أفضل أو مساوٍ لمن حضر كربلاء ونصره، أو عن مؤمن لم يشترك بثورات الثأر أنه أفضل أو مساوٍ لمن اشترك فيها، فإنه يحتاج إلى نص قطعي ومحكم صادر من المعصوم، وبدون ذلك تبقى القاعدة العامة المتقدمة هي الميزان النافذ^(٢).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص بهذا الصدد.

ما بعد ثورة المختار:

هذه بعض الأحداث التي حصلت بعد شهادة المختار رضوان الله عليه بالكوفة سنة ٦٧ هـ حتى قيام زيد الشهيد بثورته سنة ١٢٠ - ١٢٢ هـ ثاراً للحسين صلوات الله عليه وسعيّاً للإطاحة بالحكم الأموي:

عزل مصعب عن العراق ثم إعادته:

عزل ابن الزبير أخاه مصعباً عن العراق بعد قتله المختار وأصحابه، ربما لأجل إظهار عدم رضاه بإجرام أخيه بعد امتعاض كثير من المسلمين ومنهم شخصيات لها ثقل كابن عمرو وابن عباس، وكلاهما كان رافضياً ما فعله مصعب - أخزاه الله - وقد تقدم حوار ابن عمر معه وقوله له:

(لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً) ^(١). وكذلك قول ابن عباس لابن الزبير لما ذكر له مقتل المختار وقال: (ألم يبلغك قتل الكذاب؟ قال ابن عباس: ومن الكذاب؟ قال: ابن أبي عبيد قال: قد بلغني قتل المختار قال: كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال: ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة) ^(٢).

وعموماً، عزل ابن الزبير أخاه وعين ابنة حمزة على العراق، وكان معروفاً عنه الحماقة والخفة وصار يحمل مال البصرة إلى أبيه وآل الزبير بالحجاز فنقم الناس عليه، فعزله وأعاد أخاه مصعباً على العراق سنة ٦٨ أو ٦٩ هـ ^(٣)، وهذا يؤكد أنّ عزله السابق ليس بسبب عدم رضاه بإجرامه وإنما لأجل مداراة بعض النفوس.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٤. وروى ابن عساکر أنّ عدة من أمر مصعب بقتلهم من أصحاب المختار كانوا خمسة آلاف، انظر: تاريخ مدينة دمشق: ٥٨ / ٢٢٩.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٧٨.

٣- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٥٨ / ٢٢٠، ٢٣٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٢٨١.

مقتل مصعب بن الزبير:

بعد أن بسط آل الزبير نفوذهم على الكوفة والبصرة، طلب عبد الله من أخيه مصعب أن يغزو عبد الملك بن مروان في داره "الشام"، وكان يقول له: "إنك في عين المال والرجال" ^(١)، يقصد كثرة الأموال والرجال بالعراق. وفعلاً، تهباً مصعب لقتال عبد الملك، وكان عبد الملك زحف بجيشه من الشام حتى بلغ "مسكن"، وفي سنة ٧١ أو ٧٢ هـ حدثت المعركة التي خذل فيها قادة جيش مصعب أصحابهم وتركه جنده، وانتهت بمقتله مع ابنه عيسى، والملفت أنه استحضر مظلومية الحسين واقتدى بثباته وإقدامه على الموت كما عرفنا سابقاً، فقاتلهم مفرداً حتى قتل، وكان إبراهيم بن الأشتر معه وقتل قبله.

ثم سار عبد الملك بن مروان حتى وصل الكوفة وأقام فيها أياماً وخطب أهلها وتوعدهم بالويل، ثم أخذ بيعتهم وولى على الكوفة أخاه بشر بن مروان وعلى البصرة عبد الله بن خالد وعاد إلى الشام ^(٢).

مقتل عبد الله بن الزبير وقصف الكعبة بالمنجنيق:

لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ووصل الكوفة أرسل منها الحجاج بن يوسف الثقفي ومعه آلاف من جيش الشام إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في اختيار الحجاج - كما نص بعض المؤرخين - هو رؤيا رآها وقصّها على عبد الملك ^(٣).

وصل الحجاج إلى مكة وحاصر ابن الزبير عدة أشهر حتى أضر الحصار بأهل مكة، وصادف أن دخل وقت الحج فلم يحج ابن الزبير وأصحابه؛ لأنهم لا يستطيعون الوصول

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٨ / ٢٤٠.

أقول: معروف عن العراق كثرة خيراته وغزارة أمواله وقوة رجاله منذ ذلك الوقت.

٢- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٨ / ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٩: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٩، ٣٤٢.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٤٩، قال: (قال الحجاج لعبد الملك: قدر أيت في المنام أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعتني إليه وولني قتاله فبعثه...).

إلى عرفة ومنى، وحج الحجاج لكنه لم يتمكن من الطواف والسعي، لوجود ابن الزبير وأصحابه في المسجد الحرام، وقد ضعفت شوكة ابن الزبير وفرَّ عنه كثير من أصحابه بما فيهم أخوه "عروة"، ثم أمر الحجاج بنصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ورمى الكعبة بالحجارة بنفسه، وبهذا يتضح أنّ الكعبة قُصفت مرتين بالمنجنيق في حكم بني أمية؛ الأولى: في عهد يزيد - لعنه الله - على يد الحصين بن نمير سنة ٦٤ هـ كما تقدم، والثانية: في عهد عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣ هـ ثم أعاد بناءها سنة ٧٤ هـ.

وعموماً، تقدم جيش الشام حتى وقفوا على أبواب المسجد الحرام وابن الزبير وقلة معه متحصنون داخله، ونشب القتال بين الطرفين كروفر، وقُتل عبد الله بن مطيع العدوي (واليه السابق على الكوفة) ثم قُتل ابن الزبير بعده واجتزوا رأسه وبعث به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان وصلب جثته بالحجون قرب المسجد الحرام، ثم دفن في مقبرتها بعد أن طلبت أمه (أسماء بنت أبي بكر) من عبد الملك أن يأذن لها بإنزاله ودفنه فوافق على طلبها^(١).

ملاحظة: لم يكن ابن الزبير ولا أخوته يعينهم أمر آل محمد عليهم السلام بشيء، ولذا رأينا فيما مضى من بحوث أنهم ليس فقط لم يخطر ببالهم نصره الحسين عليه السلام، وإنما استغلوا مظلوميته كسبيل يتوصلون به إلى الحكم والدنيا، بل وقربوا هم وولاتهم قتلة الحسين إلى بلاطهم وأمنوهم وقاتلوا بالكثير منهم من خرج مطالباً بدم الحسين والقصاص من قتلته، وقد أشار آل محمد لانحراف عقيدة آل الزبير بوضوح في روايات كثيرة هذه نماذج منها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

- "ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا"^(٢).

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٤٩ - ٣٥٧.

٢- كتاب الأربعين، محمد طاهر الشيرازي: ١٥٣.

- "ما زال الزبير منا أهل البيت، حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده" (١).
- "ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فقلبه" (٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "ما زال الزبير منا أهل البيت حتى أدرك فرخه فنهاه عن رأيه" (٣). "فرخه": أي ابنه عبد الله.

ولاية الحجاج بن يوسف لعنه الله:

بعد مقتل ابن الزبير، ولّى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة والمدينة، فأقام في المدينة فترة قليلة وأساء السيرة وعامل أهلها وكأثمهم غير مسلمين. فمثلاً: ختم بالرصاص على أيدي بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وآله مثل جابر الأنصاري وأنس بن مالك وسهل بن سعد استخفافاً بهم، ولما أراد العودة إلى مكة صعد خطيباً فقال: (الحمد لله الذي أخرجني من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه لأمير المؤمنين (يقصد عثمان) وأحسد لهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين (يقصد عبد الملك) فهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها وزمة قد بليت يقولون منبر رسول الله وقبر رسول الله) (٤).

- "مثل جوف الحمار": هو مثل يُذكر للشيء الذي ليس فيه نفع ولا فائدة، إذ كان العرب إذا صادوا حماراً لا ينتفعون بما في جوفه وهو عندهم بمنزلة الوادي القفر، فصار مثلاً عندهم.
- "وزمة": أي مقدار وكمية.
- "بليت": أي خلقت ورثت.
- "يعودون": أي يزورون.

١- أسد الغابة، ابن الأثير: ٣/ ١٦٢ - ١٦٣: بحار الأنوار، المجلسي: ٣٤ / ٢٨٩.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٨ / ٤٠٤.

٣- الخصال، الصدوق: ١٥٧.

٤- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٥٩.

والمعنى: الحجاج - لعنه الله - يقول لولا وصايا أميره عبد الملك بن مروان لجعل مدينة الرسول خربة حالها حال الوادي القفر، أي كان يتمنى إبادتها تماماً! وينظره، لا حرمة لأي شيء فيها، ويعتبر المسلمين الذين يزورون قبر الرسول ومنبره يزورون شيئاً بالٍ ومنتهي، والعياذ بالله!

أقول: لو لم يحفظ التاريخ لهذا الخبيث سوى قوله هذا لكفى للحكم عليه بالمروق من الدين: هذا إن كان هو مؤمن بالله ورسوله أصلاً!

وأيضاً: ذكر بعض المؤرخين ضمن أحداث سنة ٧٣ هـ أنّ الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدم عبد الله بن عمر بزجّ رمح مسموم فمات إثر ذلك في مكة؛ وقد يعود سبب ذلك أنّ ابن عمر كان يبدي رفضه وانتقاده لأفعال الحجاج في مكة وخصوصاً إقدامه على ضرب الكعبة، فتخلص منه وقتله بطريقة غير مباشرة^(١).

ثم إنّ عبد الملك بن مروان أطلق يد الحجاج بن يوسف أكثر فولاه العراق (الكوفة والبصرة) سنة ٧٥ هـ، وأضاف له خراسان والشرق كله لاحقاً (في سنة ٧٨ هـ). كانت ولاية الحجاج للعراق عشرين عاماً بين عامي: (٧٥ - ٩٥ هـ)، أذاق أهله وبلاداً وعذاباً ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، تماماً كما وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأهل الكوفة الذين أذوه في أواخر أيام حكمه لهم^(٢).

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٥٠، ٣٦٣.

٢- قال أبو الفرج الأصفهاني: (جاء الأشعث بن قيس إلى علي يستأذن عليه فردده قنبر، فأدمى الأشعث أنفه. فخرج علي وهو يقول: ما لي ولك يا أشعث، أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك، قيل: يا أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يلهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلاً. قيل: يا أمير المؤمنين. كم يلي؟ وكم يمكت؟ قال: عشرين إن بلغها) مقاتل الطالبين: ٢٠. تمرست: أي تعرضت له بشر.

ذكر الطبرسي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يرضَ بقسمة أموال المحاربين له يوم الجمل، فاعترض عليه رجل اسمه "عباد"، فقال: (جننا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف، قيل: ومن غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها، فقيل أفيموت أو يقتل؟ فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه)، فأدرك الرجل الحجاج فقتله، وكانت موة الحجاج كما وصفها صلوات الله عليه. انظر: الاحتجاج: ١ / ٢٤٦؛ المسترشد، الطبري: ٦٧٢ - ٦٧٣.

وعموماً، دخل الحجاج الكوفة بنجائب تحمله، وقصد المنبر خطيباً وانتظر اجتماع الناس ثم كشف عن وجهه بعد أن كان ملثماً، فقال: (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني. أما والله إنني لأحمل الشر محمله وأخذه بفعله وأجزيه بمثله وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وقد حان قطافها إنني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى قد شمريت عن ساقها تشميراً.... إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلها مكسراً فوجني إليكم ورمى بي في نحوركم فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فإنكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان ولأمرينكم به حتى تدرّوا...) واستمر في خطبته يردد ويهدد^(١).

ثم ذهب إلى البصرة وخطب بأهلها نفس خطبته بالكوفة، وبعد فترة أنقص عطاءهم فوثبوا عليه وأحاطوا به وكادوا يقضون عليه لولا مجيء قتيبة بن مسلم وآخرين ثم ازدادوا وبلغوا عدة آلاف فخرج بهم للقتال، وحصلت مجازر كبيرة، وأهان الحجاج أنس بن مالك (أحد الصحابة) إهانة كبيرة أغاضت عبد الملك نفسه^(٢).

في فترة حكم الحجاج العراق (سنة ٧٦ - ٧٧ هـ بالتحديد) حدثت معارك كثيرة بين الحجاج وبين شبيب بن يزيد الشيباني المتمرد على الحكم الأموي وقد دعا الناس إلى بيعته، وكان يهزم الجيوش التي يبعث بها الحجاج إليه ودخل الكوفة وكاد أن يقتحم عليه قصره، ولم يكف عن قتاله له حتى مات غرقاً^(٣).

قال ابن الأثير: (قال الأوزاعي قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجننا بالحجاج لغلبناهم... قال الشافعي: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج: ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئاً قال يا أمير المؤمنين أنا لجوج حقود. فقال له عبد الملك: إذا بينك وبين إبليس نسب فقال الشيطان إن إذا رأني سالمني قال الحسن سمعت علياً على المنبر يقول اللهم انتمنهم فخانوني ونصحتهم فغشوني اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دماهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الزبال مفجر الأنهار يأكل خضرها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج) الكامل في التاريخ: ٤ / ٥٨٦ - ٥٨٧.

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٧٤ - ٣٧٦.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٨٥ - ٣٨٧.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٣٩٦ - ٤١٣، ٤٢٥ - ٤٣١.

وأيضاً: من الأحداث المهمة في فترة حكم الحجاج للعراق هو الاختلاف الذي حصل بينه وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (المعروف بابن الأشعث؛ نسبة إلى جده الأشعث بن قيس الكندي)، وانضم أهل البصرة وكثير من الكوفيين لابن الأشعث، وحدثت معركة "الزاوية" قرب البصرة في محرم سنة ٨٢ هـ، أفضت إلى سيطرة الحجاج على البصرة من جديد، وأمر بقتل أحد عشر ألفاً من المسلمين بعد أن خدعهم بالأمان، وقسم منهم تم قتلهم صبراً، وذهب ابن الأشعث إلى الكوفة وانتزعها من الأمويين وبايعه أهلها ولحق به كثير من أهل البصرة^(١).

ثم زحف الحجاج نحو الكوفة بعد أن أمده عبد الملك بجيش كبير، فخرج له ابن الأشعث بألوف الناس بما فهم قراء الكوفة وكان منهم كميل بن زياد وسعيد بن جبير، لكنهما لم يقتلا في المعركة وإنما قُتلا بعد ذلك. وعموماً، بلغ الطرفان موضعاً بين الكوفة والبصرة يُعرف بـ "دير الجماجم"، وأرسل عبد الملك وفداً يرأسه ابنه عبد الله ليعرض على أهل العراق عزل الحجاج مقابل الكف عن التمرد والرجوع إلى طاعته، فكان ابن الأشعث يفضّل قبول العرض لكن أغلب قادة جيشه يرون ضرورة الرفض، وانتهى الحال إلى تعبئة الجند من كلا الطرفين وحدثت معركة طاحنة استمرت لأكثر من مئة يوم كثرت فيها القتل من الجانبين، وانتهت بهزيمة الكوفيين، فدخل الحجاج الكوفة وأمره عبد الملك أن يأخذ البيعة من الناس من جديد وأن يشهد كل مبايع على نفسه بالكفر أولاً ثم تُقبل بيعته وإلا فمصيره القتل^(٢)، وأنزل جند الشام في بيوت الكوفيين وفيها أهلها فكان أول من أنزل الجند في بيوت الناس^(٣).

وبالنسبة إلى ابن الأشعث فقد لحق بالبصرة، وجمع الناس مرة أخرى وكثر أصحابه وبايعوه وانضم له محمد بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وسار للحجاج والتقى الطرفان

١- انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢١٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٤٦٧ - ٤٦٩.

٢- انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢١٧.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٧٨ - ٣٨٢.

بـ "مسكن" في معركة طاحنة انهزم فيها جيش ابن الأشعث أيضاً، وقتل الحجاج خمسة آلاف أسير منهم، وهرب ابن الأشعث إلى سجستان وبقي هناك إلى أن مات سنة ٨٥ هـ^(١).

• مقتل كميل بن زياد:

أما مقتل كميل بن زياد، فإنه لما كان من ضمن المشتركين في ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج، وكان ضمن جيش الكوفيين في "دير الجماجم" لقتال الحجاج، صار اللعين يطلبه بالكوفة لما استتب له الأمر، فغيب كميل نفسه عنه فقطع الحجاج أرزاق قومه كوسيلة ضغط عليه، فاضطر إلى تسليم نفسه للحجاج فقام بقتله سنة ٨٢ هـ. علماً، أنّ الحجاج - لعنه الله - كان يسعى لقتل كميل لتشيعة لعلي وأبنائه عليهم السلام لكن قتله بلاسبب ظاهر ليس أمراً سهلاً بعد كونه كبير قومه "النخع" بالكوفة، فبقي الحجاج ينتظر أي حجة يتعذر بها لقتله؛ لذا لما مسكه قال له: "لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً"، فاعتبر خروجه مع الكوفيين لحربه في معركة "دير الجماجم" عذراً مناسباً لقتله.

(عن المغيرة قال: لما ولي الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفذ عمري، لا ينبغي أن أحرم قومي عطياتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً^(٢)، فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدم علي فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار، فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنك قاتلي، قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن، فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك، قال: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه)^(٣).

(طلب الحجاج كميل بن زياد النخعي طلباً شديداً فلم يقدر عليه فقيل له إن أردته فامنع قومه العطاء قال فمنع النخع وقال لا أعطيكم حتى تأتوني به فبلغ ذلك كميل بن

١- انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢٢٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٨٢ - ٣٨٣.

٢- يقصد خروجه مع الكوفيين لحرب الحجاج لعنه الله في معركة "دير الجماجم".

٣- الإرشاد، المفيد: ١/ ٣٢٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٤٨١ - ٤٨٢.

زياد في موضعه الذي هو مستتر فيه فأرسل إلى قومه أنا أظهر له فلا تمنعون عطاءكم فخرج إليه فلما رآه قال أنت الطالب من أمير المؤمنين عثمان القصاص فقال له كميل فمن أي ذلك عجبت منه حين لطمني أو متي حين طلبت القصاص أو منه حين أقصني من نفسه أو متي حين عفوت عنه فقال والله لأدعنك وأنت لا تطلب القصاص من خليفة أبداً فقدمه وأمرأبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه (١).

اختلف المؤرخون في عمر كميل بن زياد عند قتله بحسب اختلاف الروايات في ذلك، لكن مجملها يردد عمره بين ٧٠ - ٩٠ سنة (٢).

• مقتل سعيد بن جبير:

اشترك سعيد بن جبير في ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج، وحضر ضمن جيش الكوفيين في معركة "دير الجماجم"، وبعد سيطرة الحجاج - لعنه الله - على الكوفة هرب سعيد منها وبقي متخفياً بين أصفهان وقم ما يقرب من اثنتي عشرة سنة، وكان يتردد على مكة للحج والعمرة في كل سنة، فوشي به لخالد بن عبد الله القسري (أحد ولاة الأمويين) فقبض عليه وأرسله إلى الحجاج فقام بقتله في واسط سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ.

(... فأدخل عليه فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلتظي. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً. قال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة إمام الهدى. قال: فما قولك في علي، في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت من فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأهم أرضى للخالق. قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٠ / ٢٥٦ - ٢٥٧.

٢- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٠ / ٢٥٧.

لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين، والطين تأكله النار. قال: فما بالنار نضحك؟ قال: لم تستو القلوب.

فقال الحجاج: ويحك يا سعيد. فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال الحجاج: اختر يا سعيد، أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها في الآخرة. قال: فتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده فقال: ما أضحكك؟ قال عجبته من جرأتك على الله، وحلم الله عنك. فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه. فقال سعيد: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين" قال: شدوا به لغير القبلة. قال سعيد: "فأينما تولوا فثم وجه الله". قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: "منها خلقناكم وفيما نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما إنني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله وقال: اللهم، لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فذبح على النطع - رحمة الله عليه - قال: وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة، ووقعت الأكلة في بطنه، فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم منتن، فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه فتركه ساعة ثم استخرجه ويد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناج. وبلغنا أنه كان ينادي بقية حياته: مالي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلي (١).

عن الإمام الصادق عليه السلام: "إن سعيد بن جبير كان يأتني بعلي بن الحسين عليهما السلام وكان علي يثني عليه وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، وكان مستقيماً" (٢).

١- تهذيب الكمال، المزي: ١٠ / ٣٧٣ - ٣٧٥.

٢- الاختصاص، المفيد: ٢٠٥.

قال الكشي: (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير ابن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر)^(١).

ولم يبقَ الحجاج - لعنه الله - بعد قتله سعيد بن جبير إلا فترة قليلة جداً:

(وقد عوقب الحجاج بعده - أي سعيد بن جبير - وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، ... فقتل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً، وقيل أربعين يوماً، وقيل ستة أشهر والله أعلم. واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقتل تسعاً وأربعين سنة، وقيل سبعمائة وخمسين فأنه أعلم)^(٢).

هلك الحجاج سنة ٩٥ هـ بعد أن عاصر عبد الملك بن مروان الذي هلك عام ٨٦ هـ، وبعده ابنه الوليد بن عبد الملك الذي هلك سنة ٩٦ هـ^(٣).

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١ / ٢٣٢.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ١١٧.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٥٢٢.

عمر بن عبد العزيز يوقف سب علي (ع) ويعيد فدكاً لأهلها!

بعد هلاك الوليد بن عبد الملك بن مروان ببيع لأخيه سليمان بن عبد الملك وسرعان ما هلك فيويع لعمر بن عبد العزيز بن مروان سنة ٩٩ هـ، ولم يدم حكمه طويلاً إذ توفي سنة ١٠١ هـ، لكنه قام خلال هذين العامين بعملين مهمين:

الأول: بادراً إلى إيقاف المرسوم الديواني الظالم، الذي عكف حكام بني أمية جميعاً وولاتهم على العمل به منذ أيام معاوية بن أبي سفيان لعنه الله، القاضي بسب أمير المؤمنين علي عليه السلام فأوقفه.

قال ابن الأثير: (ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام

كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز فترك ذلك وكتب إلى العمال في الأفاق بتركه. وكان سبب محبته علياً أنه قال كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأتيته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وببيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟ قلت لم أسمع ذلك. قال: فما الذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة إلى الله وإليك وتركت ما كنت عليه، وكان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجج فقلت يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت علي ذكر علي عرفت منك تقصيراً؟ قال: أو فطنت لذلك؟ قلت: نعم. فقال يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده.

فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجله فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه: "إن الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى" الآية؛ فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً وأكثروا مدحه بسببه (١).

ونحن إذا علمنا أنّ حكم بني أمية ابتدأ عام ٤١ هـ (بعد شهادة الإمام علي عليه السلام) فهذا يعني أنّ سب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله استمر على منابر الأمويين طيلة "٥٨" عاماً! علماً، أننا نتحدث الآن عن عموم بلاد المسلمين، وإلا فالشام ما تركت سب علي عليه السلام منذ أن استفرد بها معاوية، وكان أهلها معتادين عليه حتى قبل عام ٤٠ هـ، وكانوا يعتبرون سبّه ديناً لهم!

الثاني: رد فدك لولد فاطمة عليها السلام:

قال ابن الأثير: (فلما ولي - أي عمر بن عبد العزيز - الخلافة أحضر قريشاً ووجوه الناس فقال لهم إن فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها حيث أراه الله ثم وليها أبو بكر كذلك وعمر كذلك ثم أقطعها مروان ثم إنها صارت إليّ ولم تكن من مالي أعود منها عليّ وإني أشهدكم أنني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانقطعت ظهور الناس ويئسوا من الظلم)^(١).

"رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله": أي أرجعها لولد فاطمة عليها السلام؛ لأنها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بيد ابنته فاطمة عليها السلام؛ ثم أخذت منها بعد شهادته فغضبت ووجدت على أبي بكر وهجرته ولم تكلمه حتى وفاتها كما هو معلوم ومروي لدى المسلمين^(٢).

وعموماً، كان عامل عمر بن عبد العزيز على المدينة أبو بكر بن حزم، فكتب إليه برد فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام، فكتب إليه عامله أنّ ولدها كثيرون وصاروا في آل فلان

١- الكامل في التاريخ: ٥ / ٦٣.

٢- روى البخاري: (عن عروة عن عائشة ان فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير فقال أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال واني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعلمن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر ان يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت) صحيح البخاري: ٥ / ٨٢. وفي رواية: (فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت) صحيح البخاري: ٤ / ٤٢.

وفلان وسأله إلى من يرد؟ فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: "أما بعد فاني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح شاة لكتبت إليّ أجماء أم قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي، والسلام"^(١).

علماً، أنّ عمر - بحسب بعض الروايات - أرجع غلّتها فقط ولم يرجع الأصل، وكان ذلك بنصيحة بعض الأمويين حيث إنهم عاتبوه على قراره وأنّ فيه استهجان لفعل الشيخين (أبي بكر وعمر)، لكنه لم يستجب لهم، ولما رأوا عزمه على إرجاعها، "قالوا: فإن أبيت إلا هذا، فأمسك الأصل و أقسم الغلة ففعل"^(٢).

وأيضاً: روي أنّ الإمام الباقر عليه السلام نصح عمر بن عبد العزيز بتقوى الله وعدم تناول ما ليس له، فردّ عليه عمر فداكاً:

(عن هشام بن معاذ قال: كنت جليساً لعمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتى محمد بن علي - يعني الباقر - عليهما السلام فدخل إليه موله مزاحم فقال: إن محمد بن علي بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال له محمد بن علي: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكاه كذا وكذا يا ابن رسول الله، فقال محمد بن علي: يا عمر إنما الدنيا سوق من الأسواق، منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرهم، وكم من قوم قد ضرهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا مما أحبوا من الآخرة عدة، ولا مما كرهوا جنة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصالوا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله محقوقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نغيظهم بها فنوا فقههم فيها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نتخوف عليهم منها فنكف عنها، فاتق الله، واجعل في قلبك اثنتين: تنظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك وتنظر الذي تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربك فابتغ فيه البديل ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك. واتق الله عزوجل يا عمر، و افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم، ورد الظالم. ثم قال: ثلاث

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٧٨.

٢- المصدر السابق.

من كن فيه استكمل الايمان بالله فجثى عمر على ركبتيه، ثم قال: إيه يا أهل بيت النبوة، فقال: نعم يا عمر من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرج غضبه من الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له. فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي فدك" (١).

ولا مانع من أن يكون عمر بن عبد العزيز عزم على رد المظالم ومنها فدك وهو في الشام، ثم لما ذهب إلى المدينة والتقى بالإمام الباقر عليه السلام ونصحه الإمام قام بتنفيذ قراره. ومسألة نصح الإمام له بتقوى الله وأموار أخرى رويت في مصادر المسلمين (٢).

وربما يقال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسترجع فدكاً لما آلت إليه الأمور، وقد روي أنه كان لأمير المؤمنين عليه السلام في ترك فدك أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله فإنه لما خرج من مكة باع عقيل داره فلما فتح مكة قيل له: يا رسول الله ألا ترجع إلى دارك؟ فقال عليه السلام: وهل ترك لنا عقيل داراً وأبي أن يرجع إليها، وقال: إنا أهل بيت لا نسترجع ما أخذ منا في الله عز وجل (٣). فكيف استرجع الإمام الباقر عليه السلام فدكاً؟

وإجابة أقول: إن الإمام المعصوم في حال تمكين الناس له من القيادة والحكم تُفرض عليه أمور لا تُفرض عليه في غير ذلك الحال، فالإمام علي عليه السلام كان قائداً وحاكماً مكنه المسلمون من حكمهم وتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله (القائد الممكن له) يوم فتح مكة، فلم يقم باسترجاع حقه المأخوذ، بينما الإمام الباقر عليه السلام لما قبل برجوع فدك إليه (ليستعين بها على إعالة من كان يعول بهم) لم تكن الأمة قد مكنته من القيادة والحكم ليُفرض عليه التأسى بفعل جده الرسول وأبيه علي صلوات الله عليهما.

١- الخصال، الصدوق: ١٠٤ - ١٠٥.

٢- روى ابن عساکر: (... قال عمر فأوصني يا أبا جعفر قال أوصيك بتقوى الله واتخذ الكبير أباً والصغير ولداً والرجل أخاً فقال رحمك الله جمعت لنا والله ما إن أخذنا به وأماتنا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله) تاريخ مدينة دمشق: ٥٤ / ٢٧٠.

٣- انظر: كشف الغمة في معرفة الأنمة، الأربلي: ٢ / ١١٦.

وعموماً، بعد عمر بن عبد العزيز، ولي الحكم عمّه يزيد بن عبد الملك بن مروان فعاد واغتصب فدكاً من آل محمد عليهم السلام مجدداً، وبقيت تحت يد بني مروان حتى انقضاء مملكتهم وحكمهم الشيطاني عام ١٣٢ هـ. وفي زمن العباسيين قام أبو العباس السفاح بمنحها لعبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي أبي طالب، ثم استرجعها المنصور في حكمه، وردّها ابنه المهدي على الفاطميين واسترجعها ابنه موسى منهم وبقيت تحت أيدي العباسيين حتى ولي المأمون فأرجعها إلى الفاطميين سنة ٢١٠ هـ ثم انتزعها منهم المتوكل العباسي^(١).

بدء بني العباس بدعوتهم:

ذكرنا سابقاً: أن محمد بن الحنفية رجع للحق واعتقد بإمامة علي بن الحسين عليه السلام، لكن بعض مريديه بقوا على عقيدتهم الضالة، وبعد موت ابن الحنفية تزعم ابنه عبد الله (أبو هاشم) أمر الكيسانية وتصدّى للأمر، وكان له أتباع ومريدون، وكان على علاقة وطيدة بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي أبعده الحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك من المدينة إلى "الحميمة" في منطقة "الشرارة" بأرض الشام.

وفي أيام سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)، أرسل سليمان على أبي هاشم (عبد الله بن محمد بن الحنفية) ليحضر عنده في الشام، فذهب ومر في طريقه على صاحبه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثم أكمل مسيره للقاء سليمان فالتقاه ودس إليه سليمان السم في لبن، وفي طريق عودته أحس بالأمر فقصد "الحميمة" والتقى محمد بن علي العباسي وأعلمه أنّ هذا الأمر صائر إلى ولده، وكان أبو هاشم قد أعلم أتباعه ومريديه ومن كان يتردد عليه بذلك وأمرهم أن يقصدوا محمد بن علي العباسي بعده. وفعلاً، بأشر

١- انظر: معالم المدرستين، مرتضى العسكري: ١٦٤/٢ - ١٦٥. علماً، أنّ المهدي والمأمون لم يردوها على آل محمد (الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام) الذين عاصروهم، فمثلاً: المأمون كتب إلى واليه أن يسلمها إلى: "محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب"، و"محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب" وولاهما القيام بأمرها.

محمد بن علي في سنة ١٠٠ هـ ببعث أنصاره إلى الأفاق لدعوة الناس إليه وإلى أهل بيته بشكل سرّي وبدأ عددهم يزداد شيئاً فشيئاً^(١).

وفي سنة ١٠٤ هـ ولد أبو العباس السفاح، وكان قد وصل إلى أبيه محمد بن علي العباسي بعض أتباعه من خراسان منهم أبو محمد الصادق، فأخرج لهم ابنه أبو العباس ملفوفاً بخرقه وقال لهم: (هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده فقبلوا أطرأه وقال لهم: والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تدركوا تارككم من عدوكم)^(٢).

توضيح: "تدركوا تارككم": حقيقة، لا تارلدى بني العباس عند الأمويين غير تارالحسين عليه السلام، وهم (أعني العباسيين) استقطبوا الناس باسم الحسين وآل محمد عليهم السلام، ولهذا كانوا يطمحون إلى أن يتحالف معهم إمام من ولد الحسين (جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالتحديد) لكنه كان يعلم نواياهم جيداً فرفض مشاركتهم، فبحثوا عن رجل من ولد الحسن عليه السلام ليسهل عليهم مشروعهم فعثروا على ضالّتهم وأنموا مشروعهم به وتركوه يلاقي مصيره، وسيوضح ذلك لاحقاً بالتفصيل.

على أي حال، استمر أتباع محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالدعوة إليه وإلى أهل بيته سرّاً خلال فترة حكم يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ)، ثم أخيه هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ)، وبدأت بالتوسع والانتشار بشكل ملحوظ بعد هلاك هشام بن عبد الملك؛ خصوصاً في خراسان بفضل الجهود التي بذلها بكير بن ماهان وصهره أبي سلمة الخلال كما سيتبين.

ملاحظة: من يلاحظ كلام محمد بن علي العباسي يجد أنه كان عارفاً تماماً أنّ الأمر بالنهاية سيؤول إلى ولده، مثل قوله لأتباعه وهو يشير إلى ابنه أبي العباس: "هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده!"

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/ ٥٣ - ٥٤.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/ ١١٤ - ١١٥.

والسؤال: من أين عرف ذلك؟

يقول السيد أحمد الحسن: (الأئمة عليهم السلام صرّحوا بهذا الأمر، وكمثال تصريح الصادق عليه السلام لما أرسل عليه عبد الله بن الحسن حيث ذكر له أنّ الأمر لولد العباس^(١)، وأكد هذا ليس أول تصريح. كما أنّ ولد ابن الحنفية سمعوا هذا الأمر من أبناء عمومتهم علي بن الحسين وولده عليهم السلام)^(٢).

وسيأتي التعرض لمسألة وصول الحكم إلى العباسيين بعد بني أمية وكيفية استغلالهم لآل الحسن لتمير مشروعهم والوصول إلى مبتغاهم (الحكم والدنيا)، وسيوضح لنا موقف الإمام الصادق صلوات الله عليه من الأحداث في تلك الفترة في قادم البحوث إن شاء الله تعالى.

١- انظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤١ - ١٤٢: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٩٢ - ١٩٣.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

(٤)

ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع)

من الثورات التي تأثرت بثورة الحسين صلوات الله عليه هي ثورة زيد الشهيد في الكوفة في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان سنة ١٢٠ - ١٢٢ هـ؛ حيث رفع شعار الرضا من آل محمد وسعى إلى الإطاحة بحكم بني أمية المجرمين وإرجاع الحق لأهله.

وزيد هو ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام، ولشدة تأثره بجده الحسين عليه السلام كان يكتفى بـ "أبي الحسين". عاصر ثلاثة من الأئمة المعصومين هم: أبوه زين العابدين عليه السلام، وأخوه محمد الباقر عليه السلام، وابن أخيه جعفر الصادق عليه السلام.

سيرة زيد وفضله:

ولادة زيد وسيرته مع أبيه (ع):

لم يُحدّد بالضبط تاريخ ولادة زيد ^(١)، لكن بعض المصادر أوضحت أنّ عمره يوم مقتله كان ٤٢ عاماً ^(٢)، وهذا يعني أنّ ولادته كانت بحدود سنة ٧٨ - ٨٠ هـ تقريباً؛ باعتبار أنّ تاريخ مقتله مردد بين ١٢٠ - ١٢٢ هـ ^(٣).

١- يرى البعض أنّ ولادته كانت في سنة ٧٦ هـ. انظر: مسند زيد بن علي: ١٠، المقدمة.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٧٤؛ مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٢٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٧٤.

لكن هذا التحديد قد لا يكون دقيقاً؛ باعتبار أنّ المختار استشهد سنة ٦٧ هـ، والرواية الآتية تذكر أنّ أم زيد كانت جارية اشتراها المختار وبعث بها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام^(١)؛ والإمام بنى بها مباشرة لرؤيا رآها، وهذه هي الرواية:

(عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت أزور علي بن الحسين عليهما السلام في كل سنة مرة في وقت الحج، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي، فقام الصبي يمشي فوق عتبة الباب، فانشج رأسه، فوثب إليه مهرولاً، فجعل ينشف دمه ويقول: اني أعينك أن تكون المصلوب في الكناسة. قلت: بأبي أنت وأمي، وأي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة. قلت: ويكون ذلك؟ قال: اي والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة، ثم ينزل فيحرق ويذرى في الهواء. فقلت: جعلت فداك، وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد، ثم دمعت عيناه وقال: لأحدثنك بحديث ابني هذا، بينا أنا ليلة ساجد ورايح إذ ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد زوجوني حوراء من حور العين. فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت، هتف بي هاتف، لمينتك زيد. فاستيقظت وتطهرت وصليت صلاة الفجر، فدق الباب رجل فخرجت إليه فإذا معه جارية ملفوف كمها على يده، مخمرة بخمار، قلت: ما حاجتك؟ قال: أريد علي بن الحسين عليهما السلام. قلت: أنا هو. قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار أخرى فاستعن بها على دهرك، ودفع إليّ كتابا كتبت جوابه، وقلت: ما اسمك؟ قالت حوراء، فهيوؤها لي وبت بها عروسا، فعلقت بهذا الغلام، فأسميته زيدا، وسترى ما قلت لك.

قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت كل ما ذكره عليه السلام في زيد)^(٢).

١- روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده، قال: (حدثنا زياد بن المنذر قال اشترى المختار بن أبي عبيدة جارية بثلاثين ألفا فقال لها: ادبري. فأدبرت، ثم قال لها: اقبلي. فأقبلت ثم قال: ما أدري أحدا أحق بها من علي بن الحسين "ع" فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي "ع" مقاتل الطالبين: ٨٦.

٢- ذوب النضار، ابن نما: ٦٣ - ٦٥.

واضح أنّ الإمام عليه السلام علق له زيد في يوم (أو أيام) بنائه بأمر زيد، وبالتالي فإذا لم يكن زيد ولد في سنة شهادة المختار (سنة ٦٧ هـ) فيكون قد ولد بعدها بسنة، أي أنّ ولادة زيد لا تتعدى سنة ٦٨ أو ٦٩ هـ بكل الأحوال.

وروى أبو حمزة الثمالي أيضاً، قال: (حججت فأتيت علي بن الحسين عليهما السلام، فقال لي: يا أبا حمزة، ألا أحدثك عن رؤيا رأيتهما؟ رأيت كأني أدخلت الجنة، فأوتيت بحوراء لم أر أحسن منها، فبينما أنا متكئ على أريكتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا علي بن الحسين، لهيئتك زيد، يا علي بن الحسين لهيئتك زيد، فهينتك زيد.

قال أبو حمزة: ثم حججت بعده، فأتيت علي بن الحسين عليهما السلام فقرعت الباب، ففتح لي فدخلت، فإذا هو حامل زيدا على يده - أو قال حامل غلاماً على يده. فقال لي: يا أبا حمزة هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً^(١).

وروي أيضاً: (لما بشر به أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام أخذ القرآن وفتحه متفانلاً به فخرجت الآية الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ" التوبة: ١١١، فطبقه وفتحه ثانياً فخرجت الآية: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" آل عمران: ١٦٩، وطبق المصحف ثم فتحه فخرجت الآية: "وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ" النساء: ٩٥، ومهر الإمام بذلك وأخذ يقول: "عزيزت عن هذا المولود وأنه لمن الشهداء"^(٢).

عاش زيد مع أبيه ما يزيد على الـ ٢٥ عاماً؛ باعتبار أنّ الإمام زين العابدين استشهد سنة ٩٥ هـ. وبالرغم من أنّه عليه السلام كان لديه أولاد كثير، فإننا إذا استثنينا ولده محمد الباقر لمنزلته ومكانته المخصوصة في نفس أبيه، نرى أنّ زيداً كانت له مكانة وتقدير مميز عند أبيه، وهو ما لاحظناه في روايتي أبي حمزة المتقدمتين، فزيد مسمّى في السماء، وقد وعد به أبوه قبل ولادته، وكان يعلم بما سيؤول إليه أمره وتدفع عينه لمصيبته.

١- الأمالي، الصدوق: ٤١٥ - ٤١٦.

٢- انظر: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / هامش ص ٨٩٨.

تعلم زيد على يد أبيه عليه السلام، ولذا كانت أغلب رواياته عنه، وقد جمعت في مسند يُعرف بـ "مسند زيد بن علي" الذي يضم مجمل أبواب الفقه، رواه عنه أبو خالد الواسطي^(١).

زيد والإمامين الباقرين (ع):

أعني: الإمام محمد بن علي الباقر، وابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام. أما الإمام الباقر، فقد ولد سنة ٥٧ هـ، وكان موجوداً يوم شهادة جده الحسين صلوات الله عليه في كربلاء وعمره أربع سنين تقريباً، إذ كان يقول: "قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله، وما نالنا في ذلك الوقت"^(٢)، بينما ولد زيد بن علي كما عرفنا في أواخر الستينات هجرية، وهذا يعني أنّ الإمام الباقر أكبر من أخيه زيد بعشر سنين أو أكثر بقليل.

وأيضاً: استشهد الباقر عليه السلام سنة ١١٤ هـ، وكانت مدة إمامته ١٩ عاماً بين عامي: (٩٥ - ١١٤ هـ)، عاصر فيها خمسة حكام أمويين^(٣).

وأما الصادق عليه السلام، فقد ولد سنة ٨٣ هـ، وبالتالي فهو أصغر سنّاً من عمّه زيد، ولما كانت شهادة الإمام سنة ١٤٨ هـ (بعد معاصرته لخمسة حكام أمويين)^(٤) فهذا يعني أنّ مدة إمامته كانت ٣٤ عاماً بين عامي: (١١٤ - ١٤٨ هـ)، قضى زيد ٦ - ٨ سنين منها مع ابن أخيه الإمام قبل أن يستشهد سنة ١٢٠ - ١٢٢ هـ في أيام هشام بن عبد الملك.

١- انظر: مسند زيد بن علي، منشورات دارمكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠.

٣- هم: أواخر عهد الوليد بن عبد الملك: (٨٦ - ٩٦ هـ)، وعهد سليمان بن عبد الملك: (٩٦ - ٩٩ هـ)، وعهد عمر بن عبد العزيز: (٩٩ - ١٠١ هـ)، وعهد يزيد بن عبد الملك: (١٠١ - ١٠٥ هـ)، ونصف عهد هشام بن عبد الملك: (١٠٥ - ١٢٥ هـ).

٤- هم: نصف عهد هشام بن عبد الملك: (١٠٥ - ١٢٥ هـ)، وعهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك: (١٢٥ - ١٢٦ هـ)، وعهد يزيد بن الوليد: (١٢٦ هـ)، وعهد إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: (١٢٧ - ١٢٨ هـ)، وعهد مروان بن محمد بن مروان: (١٢٧ - ١٣٢ هـ)، وسيتضح أنّ حكم بني أمية ضعف كثيراً وتشتت بعد هلاك هشام بن عبد الملك.

ثم إننا سنلاحظ في قادم البحوث أنّ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كانت لديهم حلقات ودروس علمية وتلاميذ كثير نهلوا من علومهم ومعارفهم الربانية، وبعض التلاميذ عُرفوا بملازمتهم لهم وكثرة روايتهم عنهم، لكن الملفت أنّ زيداً لم يكن واحداً من هؤلاء الملازمين بالرغم من روايته عنهما أحياناً، وسيوضح سبب ذلك لاحقاً إن شاء الله.

وعموماً، كان زيد يحظى بمنزلة رفيعة عند أخيه الإمام الباقر عليه السلام:

- نظر الباقر عليه السلام لزيد وهو مقبل، فقال: (هذا سيد من أهل بيته، والطالب بأوتارهم، لقد أنجبت أمّ ولدتك يا زيد) ^(١).
- قال الباقر عليه السلام لجابر وقد سأله عن أخيه زيد: (سألتني عن رجل ملئ إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه) ^(٢).
- قال عليه السلام: "إنّ زيداً أعطي من العلم بسطة" ^(٣).
- وقال أيضاً: "لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد، اللهم اشدّد أوزري بزيد" ^(٤).

وبالنسبة للإمام الصادق عليه السلام، فقد كان يجلُّ عمّه زيداً ويقدره ويكنّ له محبة خاصة، وهذه بعض أفعاله وأقواله معه:

- (عن عبد الله بن جرير قال: رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد ابن علي بالركاب ويسوي ثيابه على السرج) ^(٥).
- ولما بلغه استشهاد بكّي الإمام الصادق عليه السلام وقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله احتسب عمي إنه كان نعم العم إنّ عمي كان رجلاً لدينانا

١- الأمالي، الصدوق: ٤١٥.

٢- مسند زيد بن علي: ٨، المقدمة.

٣- مسند زيد بن علي: ٧، المقدمة.

٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٤ / ٢٥٨.

٥- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٧.

وآخرتنا مضى والله عبي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم^(١).
 - وقال عليه السلام لشيئته في وصف زيد: (... فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفي بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه)^(٢).

سيرة زيد بين المسلمين:

عموم من كان في المدينة آنذاك يعرف بورع زيد وتقواه وعبادته وانقطاعه إلى الله، فكان يذكر الله فيغشى عليه حتى يقال ما يرجع إلى الدنيا!^(٣)

كان شديد التعلق بالقرآن الكريم حتى سمّاه بعض المسلمين بـ "حليف القرآن":

(عن أبي الجارود قال: قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذلك حليف القرآن)^(٤).

لم يهتك زيد لله محرماً، هذا ما وصف به زيد نفسه:

(حدثني أبو قرّة قال: خرجت مع زيد بن علي ليلاً إلى الجبان وهو مرخي اليدين لا شيء معه فقال لي: يا أبا قرّة أجانع أنت؟ قلت نعم فناولني كمرأة ملء الكف ما أدري أريحها أطيّب أم طعمها ثم قال لي: يا أبا قرّة أتدري أين نحن؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر أمير المؤمنين علي "ع" ثم قال لي: يا أبا قرّة والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ١ / ٢٢٨.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٦٤.

٣- انظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٧.

٤- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨.

علي إن زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله، يا أبا قره من أطاع الله أطاعه ما خلق) (١).

وأيضاً: ذكر يحيى بن زيد بعض خصال والده الشهيد للمتوكل بن هارون لما التقاه بعد شهادة أبيه، فقال: (.....) ثم قال: يا أبا عبد الله إني أخبرك عن أبي عليه السلام وزهده وعبادته، إنه كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جن عليه السلام نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة، ثم يقوم يصلي الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا قرب الزوال قعد في مصلاه فسيح الله تعالى ومجده إلى وقت الصلاة، فإذا حان وقت الصلاة قام فصلى الأولى وجلس هنيئة وصلّى العصر وقعد تعقبه ساعة، ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمة.

قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنه كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويصوم في الشهر ثلاثة أيام. قلت: فكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه. ثم أخرج إليّ صحيفة كاملة فيها أدعية علي بن الحسين عليهما السلام) (٢).

وأما علم زيد فهو أمر يقرب به الجميع.

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٦.

٢- كفاية الأثر، الخزاز القي: ٣٠٩.

زيد الثائر الشهيد:

الإخبار بما يجري على زيد:

هذه بعض الروايات الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

• تقدم رواية أبي حمزة الثمالي، قال: (كنت أزور علي بن الحسين عليهما السلام في كل سنة مرة في وقت الحج، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي، فقام الصبي يمشي فوق على عتبة الباب، فانشج رأسه، فوثب إليه مهرولاً، فجعل ينشف دمه ويقول: اني أعينك أن تكون المصلوب في الكناسة. قلت: بأبي أنت وأمي، وأي كناسة؟ قال: كناسة الكوفة. قلت: ويكون ذلك؟ قال: اي والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة، ثم ينزل فيحرق ويذرى في الهواء. فقلت: جعلت فداك، وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد، ثم دمعت عيناه.....)^(١).

• (عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي "ع" قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له زيد في أهبة (والأهبة الملك) لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق تتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله "ص" فيقول: "يا بني قد عملتم ما أمرتم به فأدخلوا الجنة بغير حساب")^(٢).

• (خالد مولى آل الزبير قال: كنا عند علي بن الحسين فدعا ابناً له يقال له زيد فكبا لوجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: أعينك بالله أن تكون زيدا المصلوب بالكناسة، من نظري إلى عورته متعمداً أصلى الله وجهه النار)^(٣).

١- ذوب النضار، ابن نما: ٦٣ - ٦٥.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨.

٣- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٩.

وهذا بعض ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

- قال عليه السلام لزید: "... أعینک بالله أن تكون قتیل العراق" ^(١).
- (عن یونس بن جناب قال: جئت مع أبي جعفر إلى الكتاب فدعا زیداً فاعتنقه وألزق بطنه ببطنه وقال: أعینک بالله أن تكون صلیب الكناسة) ^(٢).
- وروی جابر عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين: يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب" ^(٣).
- وبالطبع، فإنّ ما أخبر به الإمام علي بن الحسين وابنه الباقر عليهما السلام كان قد أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله:
- (عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم نظريوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: المظلوم من أهل بيتي سمي هذا والمقتول في الله والمصلوب من أمي سمي هذا وأشار إلى زيد بن حارثة ثم قال: ادن مني يا زيد زادك الله حباً عندي فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد) ^(٤).
- (عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: قال رسول الله "ص": "يقتل رجل من أهل بيتي فيُصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته") ^(٥).

١- موسوعة المصطفى والعترة، الشاكري: ٦٦ / ٨.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٩.

٣- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨.

٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥٨ / ١٩.

٥- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨.

لم يكن آل محمد عليهم السلام وحدهم يعلمون بمصير زيد وما سيلاقيه وحسب، ولكن كان بعض أخوتهم وعمومتهم يعلمون ذلك أيضاً، وبالتأكيد بتعليم متهم، فمثلاً: كان محمد بن الحنفية يعلم بذلك:

• روى: (الحسين بن زيد بن علي عن ريطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية عن أبيها قال: مرّ زيد بن علي بن الحسين على محمد بن الحنفية فرقّ له وأجلسه وقال: أعينك بالله يا ابن أخي أن تكون زيدا المصلوب بالعراق ولا ينظر أحد إلى عورته. ولا ينظره إلا كان في أسفل درك من جهنم) (١).

• (عن عون بن عبيد الله، قال: كنت مع محمد بن علي بن الحنفية في فناء داره، فمر به زيد بن الحسين، فرفع طرفه إليه، ثم قال: ليقتلن من ولد الحسين رجل يقال له زيد بن علي، وليصلبن بالعراق، ومن نظر إلى عورته فلم ينصره أكبه الله على وجهه في النار) (٢).

ثم إن إخبار الرسول وآله صلوات الله عليهم بما يجري على زيد وثنائهم عليه يكشف - بلا شك - عن رضاهم عنه وعن ثورته.

دوافع ثورة زيد وشرعيتها:

يعترف بعض المؤرخين بأنّ سبب قيام زيد بثورته مختلف فيه، قال الطبري: (ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه: اختلف في سبب خروجه ...) (٣).

مع هذا، فقد ابتدأ الطبري (وغيره) بذكر سبب مالي أدى - بحسبه - إلى قيام زيد بن علي على بني أمية بالكوفة، خلاصته:

١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٨ - ٨٩.

٢- الأمالي، الصدوق: ٤١٥.

٣- تاريخ الطبري: ٥ / ٤٨٢.

إنّ خلافاً مالياً حصل بين زيد وبين خالد بن عبد الله القسري، حيث ادّعى خالد على زيد ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن عباس وآخرين مالياً، فأخبر يوسف بن عمر الثقفي (عامل هشام بن عبد الملك على العراق) بذلك، فكتب يوسف إلى هشام يخبره، فبعث عليهم وعند حضورهم عنده سألهم عن ذلك فأنكروا فقرّر أن يبعث بهم إلى يوسف ليجمعهم بخالد، وكتب هشام إليه كتاباً، جاء فيه: "أما بعد، فإذا قدم عليك زيد، وفلان، وفلان، فاجمع بينهم وبينه، فإن أقرّوا بما ادعى عليهم فسرح بهم إليّ، وإن هم أنكروا فاسأله البينة، فإن لم يقمها فاستحلفهم بعد صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم وديعة، ولا له قبلهم شيء، ثم خلّ سبيلهم".

بعد وصولهم إلى يوسف سألهم عن المال فأنكروا ثم أخرج لهم خالد القسري وقال له: "هذا زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي اللذان ادعيت قبليهما ما ادعيت قال: ما لي قبليهما قليل ولا كثير. قال له يوسف: أفبي كنت تهزأ وبأمر المؤمنين (يقصد هشام بن عبد الملك)؟ فعذبته عذاباً ظن أنه قد قتله". ثم أخرجهم إلى المسجد واستحلفهم فحلفوا فخلّى سبيلهم وكتب إلى هشام بذلك. وبعد انتهاء هذه الحادثة لم يغادر زيد الكوفة، واجتمع إليه بعض الشيعة فيها وطلبوا منه أن يقبل بيعتهم ليقوم بهم على بني أمية، فحدثت الثورة.

هذا مجمل ما ذكره بعض المؤرخين عند تعرّضهم لبيان الدافع في ثورة زيد^(١).

وبالرغم من وضوح براءة زيد من التهمة باعتراف خالد نفسه وتخليه سبيله، إلا أنّ المسألة – ولا شك – لها أبعاد أخرى؛ إذ قضية وجود خلاف مالي بين طرفين لا يستدعي – بطبيعة الحال – تدخّل حاكم الشام بنفسه كما لا يخفى! وإليكم ملخص الحكاية من البداية، وبايجاز يوقفنا على الحقيقة:

كان خالد بن عبد الله القسري والياً على العراق من طرف هشام بن عبد الملك، وخالد هذا معروف عنه تعصّبه لبني أمية وانحرافه عن الإمام علي وأبنائه عليهم السلام، فكان معتاداً على شتمهم على منبره لعنه الله. وأيضاً: كان مشهوراً بقسوته

١- انظر على سبيل المثال: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٠-٩١؛ تاريخ الطبري: ٥/٤٨٢-٤٨٣؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/٢٢٩ فما بعد.

وإجرامه وفساده الأخلاقي والمالي حتى بلغ به الحال إلى اختلاس بيت المال وتعيده على أموال وضياع أميره هشام بن عبد الملك، ولما فاحت جيفة فساده وبلغ طاغية الشام حاله قرر عزله بهدوء وولى يوسف بن عمر الثقفي مكانه، وواضح أنّ قضية الاختلاس هذه كانت كبيرة وضحمة بحيث استدعت تدخل هشام بنفسه.

بالتأكيد سيتطلب الأمر تبادل رسائل بين هشام وعامله الجديد (يوسف بن عمر الثقفي) تتضمن سير التحقيق في فساد خالد الذي ألقى يوسف عليه القبض وقام بتعذيبه، ومما جاء في أحد كتب يوسف لهشام أنّ خالداً يدعي أنه أودع ستمائة ألف درهم (من الأموال التي اختلسها) عند زيد بن علي وآخرين، وإثر ذلك استقدم هشام زيداً إلى الشام وجرى بينهما نقاشاً حاداً:

(و أقدم هشام زيد بن علي بن الحسين، فقال له: إن يوسف بن عمر الثقفي كتب يذكر أنّ خالد بن عبد الله القسري ذكر له أنّ عندك ستمائة ألف درهم وديعة، فقال: ما لخالد عندي شيء! قال: فلا بد من أن تشخص إلى يوسف ابن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد. قال: لا توجّه بي إلى عبد ثقيف يتلاعب بي، فقال: لا بد من إشخاصك إليه، فكلمه زيد بكلام كثير، فقال له هشام: لقد بلغني أنك تؤهّل نفسك للخلافة، وأنت ابن أمة. قال: ويلك مكان أمي يضعني؟ والله لقد كان إسحاق ابن حرة وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد إسماعيل، فجعل منهم العرب، فما زال ذلك ينمي حتى كان منهم رسول الله، ثم قال: اتق الله، يا هشام! فقال: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟ فقال: نعم! إنه ليس أحد دون أن يأمر بها، ولا أحد فوق أن يسمعها. فأخرجه مع رسل من قبّله، فلما خرج قال: والله إني لأعلم أنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل. وكتب هشام إلى يوسف بن عمر: إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد، ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيت رجلاً حلوا اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله.

فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال: لم أشخصتني من عند أمير المؤمنين؟ قال: ذكر خالد بن عبد الله أنّ له عندك ستمائة ألف درهم. قال: فأحضر خالداً! فأحضره وعليه حديد ثقيل، فقال له يوسف: هذا زيد ابن علي، فاذا ذكر ما لك عنده! فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه. فأقبل يوسف على زيد، وقال له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك. قال (زيد):

فأستريح ثلاثاً ثم أخرج. قال: ما إلى ذلك سبيل. قال: فيومي هذا. قال: ولا ساعة واحدة. فأخرجه مع رسل من قبله، ... فلما صار رسل يوسف بالعذيب انصرفوا، وانكفاً زيد راجعاً إلى الكوفة، فاجتمع إليه من بها من الشيعة ...^(١).

واضح جداً أنّ الخلاف كان بين حاكم أموي وعمّاله في موضوع سرقة أموال ضخمة ودنيا قدرة، لكن الزج باسم زيد في الموضوع كان لأجل غاية أوضحها هشام في نقاشه مع زيد لما قال له: "لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة!"

وللتوضيح أكثر، أقول: لا شك أنّ سياسة الأمويين وولاتهم عموماً (ومنهم هشام بن عبد الملك وولاته) كانت قائمة على عدااء آل محمد عليهم السلام وسبهم والإساءة لهم والتضييق عليهم ومحاصرتهم بل وقتلهم، ولم يقتصر الأمر على الامام الحسين عليه السلام فقط، بل لم يقف الحال عند الأئمة المعصومين من ولده أعني السجاد والباقر عليهما السلام اللذين قضيا بسم طغاة بني أمية، وإنما تعدى الأمر ليشمل أبنائهم وأخوتهم المعروف عنهم الوجاهة والقوة والشجاعة وعدم اللين أو الانخراط مع عموم الناس في توجههم ورضوخهم للحكم الأموي، كزيد الشهيد مثلاً.

زيد كان معروفاً عنه صلابته في الحق وبغضه لبني أمية وإنكاره لعموم النهج المخالف لآل محمد عليهم السلام، وهذه رواية تبين صلابته في الحق:

(عن سدير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعني سلمة بن كهيل، وأبو المقدام ثابت الحداد، وسالم بن أبي حفصة، وكثير النواء، وجماعة معهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي عليهم السلام فقالوا لأبي جعفر عليه السلام نتوئى عليك وحسنأ وحسينأ ونتبرأ من أعداهم! قال: نعم. قالوا: نتوئى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم! قال: فالتفت إليهم زيد بن علي فقال لهم: أتبرؤن من فاطمة بترتم أمرنا بتركم الله، فيومئذ سموا البترية)^(٢).

١- تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦. وانظر أيضاً: تاريخ الطبري: ٥/ ٤٨٦.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢/ ٥٠٥.

وأيضاً: كانت لزيد مكانة كبيرة بين عموم الناس وقد تقدم اشتهاره بين أهل المدينة بتقواه وورعه وعبادته وعلمه، وأيضاً: لزيد مكانة خاصة عند أهل العراق (الشيعة بالخصوص)، ولذا طلب هشام من عامله يوسف بن عمر أن لا يبقى زيدا ساعة في الكوفة ويأمره بالخروج منها فوراً!

بالتأكيد، انجذاب الناس لزيد أمر يقلق الطاغية الأموي هشام بن عبد الملك وواليه يوسف بن عمر، فعمدوا إلى أساليب خبيثة: الهدف منها الحط من مكانة زيد في النفوس، من قبيل النج باسمه في مسألة الخلاف المالي المتقدم مع أنه لا دخل له بالموضوع أصلاً، وحتى خالد القسري "السارق" نفسه اعترف أنه لم يدع عليه شيئاً وكان حشره في القضية وإحضاره ظلماً له، حيث قال: "والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه!"

لم تكن محاولة هشام - لعنه الله - هذه للإساءة إلى زيد هي الوحيدة، بل قبل ذلك كان هناك سعي حثيث من قبل عامل هشام على المدينة (خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم) لإحداث فجوة وخلاف بين زيد (ممثلاً لولد الحسين) وبين بعض ولد الحسن وتحديداً جعفر ابن الحسن المثنى، وبعد موته تولى أخوه عبد الله بن الحسن المثنى مخاصمة زيد في بعض أموال الوقف العائد للإمام علي عليه السلام:

وهذا حوار دار بين زيد وبين عبد الله بن الحسن المثنى بمحضر والي المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث:

(فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحرث بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال: يا ابن السنديّة، فضحك زيد وقال: قد كان إسماعيل لأمة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها إذ لم يصبر غيرها، يعني: فاطمة ابنة الحسين أم عبد الله فإنها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن، ثم ندم زيد واستحيا من فاطمة وهي عمّته فلم يدخل عليها زماناً فأرسلت إليه: يا ابن أخي إني لأعلم أن أملك عندك كأم عبد الله عنده وقالت لعبد الله: بئسما قلت لأم زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت.

قال: فذكر أنّ خالداً قال لهما: اغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا. فلما كان الغد جلس خالد في المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشامتا فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد فقال: أجمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر! فقال خالد: ما لهذا السفية أحد! فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال: يا ابن أبي تراب وابن حسين السفية أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة؟ فقال زيد: اسكت أيها القحطاني فإننا لا نجيب مثلك، قال: ولم ترغب عني فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك، فتضاحك زيد وقال: يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب فذهب الأحساب! فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم، فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفساً وأماً وأباً ومحتدأً، وتناوله بكلام كثير وأخذ كفاً من حصباء وضرب بها الأرض ثم قال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر) (١).

لاحظ أنّ والي المدينة كان: "يحب أن يتشامتا"، وهذا يكشف غرض الأمويين الذي أشرت إليه أعني إذكاء الفتنة بين ولد الحسين وولد الحسن، وواضح أنّ الهدف من الإساءة إلى آل محمد وذرية الرسول صلى الله عليه وآله عموماً هو توهين قدرهم عند الناس لتبقى الساحة خالية لبني أمية، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام من ولد الحسين عليهم السلام ملتفتين لهذا المخطط الشيطاني تماماً وعازمين على إفشاله مهما بلغ الألم، لذلك استمروا بالنصح وصبروا كثيراً وتحملوا كل الأذى الذي سببه لهم أبناء عمومته من ولد الحسن كما سيتضح ذلك لاحقاً بالتفصيل.

زيد الشهيد أيضاً كان نبهاً وملتفتاً إلى مخطط الأمويين هذا، ولذا عاب على "والي المدينة" تدخله في خصومة عائلية، ووعد ابن عمّه عبد الله أن لا يخاصمه أبداً!

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٣١ - ٢٣٢: تاريخ الطبري: ٥ / ٤٨٥ - ٤٨٦.

أعود لتحديد الدافع الحقيقي لثورة زيد الشهيد، فأقول:

إنّ التحليل المنطقي للأحداث لا يقبل أن يكون دافع الثورة خلافاً مالياً بين زيد وبين والٍ أموي أو بين زيد وبين بعض بني عمومته؛ إذ من غير المعقول أن يقود خلاف مالي تمت تسويته إلى ثورة على بني أمية في الكوفة تؤدي بالنتيجة إلى مقتل قائد الثورة وخيرة أصحابه ثم صلبه وحرق جسده الشريف!

السبب الحقيقي وراء ثورة زيد الشهيد هو اعتقاده بانحراف الأمويين وظلمهم وضرورة جهادهم والإطاحة بحكمهم الجائر وإعادة الحق إلى آل محمد عليهم السلام بوصفهم أوصياء الرسول وخلفائه الشرعيين والمرضيين عند الله، ولهذا كان شعاره: "الرضا من آل محمد" ودعوة الناس إلى ذلك.

قال الإمام الصادق: (... فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمتع لينقضه ...) (١).

بنو أمية الذين قتلوا الحسين صلوات الله عليه لا زالوا يحكمون. ولا زال دم الحسين معلّق في رقابهم، فما قتل الحسين ليس شخص يزيد - لعنه الله - وحسب، ولكنه منهج شيطاني مستمر، بل لا زال علي وأبنائه الأوصياء يُشتمون ويُساء إليهم، وقبل قليل قرأنا إساءة أحدهم للحسين عليه السلام بمحضر والي هشام على المدينة، وبالتالي فمقومات الثورة ضد بني أمية كلها لا زالت كما هي. نعم، الله سبحانه لم يأذن لآل محمد الأوصياء بالثورة والقيام بعد الحسين؛ حفظاً على الدين الذي يذهب بدهابهم كما بيتاً وسيأتي مزيد من البيان له لاحقاً، لكن هذا لا يعني أنّ مبررات الثورة ضد بني أمية غير موجودة، وأنّ الجميع غير مأذون لهم بالثورة إن استأذنا الإمام المعصوم وأذن لهم كما حصل مع المختار وسليمان بن صرد فيما سبق. ولذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في وصف أخيه زيد: "الطالب بأوتارهم" أي بقتلهم والمعتدى عليهم، يعني بذلك: الحسين وأهل بيته في كربلاء!

(عن أبي الجارود زياد بن المنذر، قال: إني لجالس عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ أقبل زيد بن علي عليه السلام، فلما نظر إليه أبو جعفر عليه السلام وهو مقبل، قال: هذا سيد من أهل بيته، والطالب بأوتارهم، لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد) (١).

وأيضاً: الإمام الصادق عليه السلام أوضح أنّ زياداً خرج لأجل دعوة الناس إلى الرضا من آل محمد ولم يدعهم إلى نفسه ولا طمعاً بمنصب أو جاه دنيوي ونحو ذلك، كما أنه عليه السلام نهى شيعته عن التحرك بعد شهادة زيد عليه السلام، وأعلن لهم أنه لا يرضى بذلك، وربما قدّر بعلمه وحكمته - وهو الإمام المعصوم - أن لا فائدة من الخروج؛ إذ الاجتماع لا يحصل والثمرة لا تتحقق والأمر صائر إلى منتهاه الذي يعلمه، وبالتالي تذهب الدماء هدراً:

(عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيما الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجها ويحيى بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية فعمل على ما قد استبان لها ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون ولا تقولوا خرج زيد فإنّ زياداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفي بما دعاكم إليه إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام فنحن نشهدكم إننا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد ...) (٢).

وأيضاً: الإمام الرضا عليه السلام بيّن أسباب نهوض زيد الشهيد بوجه بني أمية، وأن ثورته غضب لله وجهاد أعداء الله، كما أنه دعا الناس إلى الرضا من آل محمد:

١- الأمامي، الصدوق: ٤١٥.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٦٤.

(ابن أبي عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام يقول: رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولي قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وإنه كان اتقى الله من ذلك إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله تعالى نص عليه ثم يدعوا إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية: "وجاهدوا في الله حق جهاده هو أجتبيكم" (١).

كلام الإمام الرضا صلوات الله عليه بحق عمه زيد في غاية الأهمية، فهو لم يحدد سبب ثورته فقط، وإنما بين - أيضاً - شرعية ثورته بعد بيان أن زيدا استشار الإمام المعصوم (الصادق عليه السلام) في خروجه وثورته وأذن له الإمام، وبعد قوله بحقه: "ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه!"

وهو نفس مؤدى قول أبيه الباقر عليه السلام الذي أوجب نصرته زيد:

(قال سدير الصيرفي: كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فدخل زيد بن علي فضرب أبو جعفر على كتفه وقال هذا سيد بني هاشم فإذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه) (٢).

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ١/ ٢٢٥.

٢- سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري: ٥٧.

وأيضاً: زيد الشهيد نفسه أوضح سبب قيامه وثورته لأبي حمزة الثمالي، لما التقاه في الكوفة في دار معاوية بن إسحاق وسأله عن سبب قدومه الكوفة، فأجابته زيد: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وبالتأكيد فإنّ باطل وانحراف الأمويين وظلمهم هو رأس المنكر، كما أنّ إرجاع الحق لأهله (آل محمد) هو رأس المعروف.

وهذا مقطع من رواية أبي حمزة التي أخبر فيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام بمصير ولده زيد، إلى أن قال لأبي حمزة: (..... وسترى ما قلت لك.

قال أبو حمزة: فما لبثت إلا برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق فسلمت عليه. ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكنت أختلف إليه فجئته ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه وجلست عنده. فقال: يا أبا حمزة تقوم حتى تزور قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام؟ قلت: نعم جعلت فداك. ثم ساق أبو حمزة الحديث حتى قال: أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ثم رجعنا فكان من أمره ما كان. فوالله لقد رأيت مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً بالكناسة ثم أحرق ودق وذري في الهواء^(١).

فتلخص بما تقدم: أنّ دافع زيد عليه السلام الحقيقي في ثورته بوجه طغاة بني أمية هو طلب الرضا من آل محمد وإرجاع الحق لهم ودعوة الناس إليهم، وأنّ ثورته المباركة شرعية بعد أن استشار الإمام الصادق عليه السلام بخروجه وأذن له، وبالتالي فهي غير مشمولة بالنهي الوارد عن آل محمد عن الخروج قبل قيام القائم عليه السلام، ولا ينطبق عليها الوصف المذكور للرايات التي تخرج قبل قيامه:

- قال الإمام الصادق عليه السلام: "خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفنياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني، فقلت: جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أخرج معه؟ قال: لا"^(٢).

١- الغارات، الثنفي الكوفي: ٢ / ٨٦١: فرحة الغري، ابن طاووس: ١٤٠، باختلاف يسير.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٣١٠.

- قال الإمام الصادق عليه السلام: "كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزوجل" (١).

ثورة زيد الشهيد غير مشمولة بهذا النهي وهذا الوصف؛ لأنها - كما قلت - مأذون بها من قبل الإمام المعصوم.

ملاحظة: نحن بينا الدافع الحقيقي الذي قصده زيد بقيامه وثورته، وبالتأكيد فإنّ الظلم والجور الذي عانى منه المسلمون في تلك الحقبة من حكام وولاة بني أمية لو كان وحده لكان سبباً كافياً في منح المسلمين الحق للثورة بوجه الأمويين الطغاة المنحرفين، ولذلك - بحسب البعض - أيد أبو حنيفة "النعمان بن ثابت" ثورة زيد، وكان زيد دعاه لنصرته فتعدّروا وقال لرسوله: "ابسط عذري إليه" واكتفى بحث الناس على نصرته ومدّه بمعونة مالية (٢):

(ويروى أنّ أبا حنيفة قال - لما بلغه خروج زيد -: ضاهى خروجه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم بدر، فقيل له: لم تخلّفت عنه؟ قال: حبسني عنه ودائع الناس، عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقبل، فخفت أن أموت مجهلاً) (٣).

(وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتى سرّاً بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسّمي بالإمام والخليفة) (٤)، يقصد: هشام بن عبد الملك.

١- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٩٥.

٢- الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران: ١ / ٢١٤.

٣- المصدر السابق.

٤- الكشاف، الزمخشري: ١ / شرح ص ٣٠٩.

ثورة زيد في الكوفة وشهادته:

- المكان: العراق / الكوفة
- الزمان: صفر سنة ١٢٠ - ١٢٢ هـ

قلت سابقاً: إنَّ هشام بن عبد الملك طلب من واليه على الكوفة يوسف بن عمر أن لا يسمح لزيد بالبقاء بالكوفة، وفعلاً طلب من زيد أن يرحل منها فوراً، ولما ألح عليه خرج زيد إلى القادسية (على أطراف الكوفة) فالتقوه الشيعة وناشدوه أن يقوم بهم على بني أمية ووعده أنهم في الكوفة والبصرة وخراسان سيلتفون حوله، فأبى عليهم وما زالوا به وقد أعطوه العهود والمواثيق، فقال له محمد بن عمرو كان معه: "أذكرك الله يا أبا الحسين لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك، فإنهم لا يفون لك، أليسوا أصحاب جدك الحسين بن علي". فأبى أن يرجع وأقبلوا يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل البصرة والمدائن وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان.

أقام زيد بالكوفة بضعة عشر شهراً وأرسل دعواته إلى الأفاق يدعون الناس إلى بيعته، ولما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد وحدد لذلك أجلاً في غرة شهر صفر، فشاع خبره ووصل إلى يوسف بن عمرو وكان مقيماً بالحيرة، فأرسل الحكم بن الصلت لجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم والتهيؤ للقضاء على حركة زيد.

من جهته، اضطر زيد إلى أن يتعجل أمر الخروج قبل دخول صفر بأسبوع تقريباً، فأمر أصحابه أن يشعلوا الهرادي بالنار وينادوا: "يا منصور أمت"، وفي الصباح أرسل زيد القاسم بن عمر التبعي ورجلاً آخريناديان بالناس بهذا الشعار، فاعترضه رجال يوسف بن عمرو وقتلوا فقتل القاسم وكان أول قتيل من أصحاب زيد.

ثم إنَّ يوسف بن عمر خرج إلى تل قريب من الحيرة ومعه رجال من قريش وأشرف الناس وأمير شرطته العباس بن سعيد المري، وبعث الريان بن سلمة بأكثر من ألفي فارس إلى مواجهة زيد وأصحابه. وكان قد وافى زيد في ليلة ثورته الأولى مائتان وبضعة عشر رجلاً، وكان يقول: "سبحان الله فأين الناس؟ قيل: هم محصورون في المسجد، فقال: لا والله ما هذا لمن يابعدنا بعذر!" وكان يقول لصاحبه نصر بن خزيمة: "يا نصر بن خزيمة أتخاف أهل

الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية"؟ يعني بذلك غدرهم بالحسين عليه السلام، فقال: نصر: "جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت".

وأقبل زيد إلى جبانة الصيادين بالكوفة وكان بها خمسمائة من عسكر الأمويين فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتى انتهى إلى كناسة الكوفة وكان بها جمع آخر منهم فهزمهم أيضاً. وما زالوا يهزمون الجموع حتى أقبل زيد ومن معه نحو المسجد فخرج إليهم عبيد الله بن العباس الكندي بمن معه فالتقوا عند باب عمر بن سعد فانهزم عبيد الله وأصحابه حتى بلغوا دار عمرو بن حريث وتبعهم زيد وناداهم نصر بن خزيمة: "يا أهل الكوفة أخرجوا من النذل إلى العزوالى الدين والدنيا"! فرموهم من فوق المسجد بالحجارة. فكان ذلك اليوم النصر لزيد وأصحابه.

تدارك يوسف بن عمر الموقف فأرسل في اليوم التالي الريان بن سلمة في خيل ودعا العباس بن سعد المري فبعثه بجمع، فخرج لهم زيد وأصحابه وكان معه نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق و اقتتلوا قتالاً شديداً فهزمهم زيد لكنه فقد صاحبه نصر إذ قُتل رحمه الله في ذلك اليوم.

ثم عبأ يوسف بن عمر جيشه وأرسله لزيد وصحبه مرة أخرى، وأرسل معهم رماة، فرموا زيدا وأصحابه فثبتوا لهم وحدث قتال شديد وأصاب زيد سهماً في جبهته اليسرى ولم يتمكن من نزعه، وقيل له: إن نزعته تمت؛ لأنه تعدى إلى دماغه، فترع عن رأسه فمات شهيداً رضوان الله عليه.

واختلف أصحابه في دفنه، بين قائل بتثقيله ورميه في الماء، وبين قائل بفصل رأسه ورمي جسده بين القتلى لئلا يتعرفوا عليه، فقال يحيى بن زيد: "لا والله لا يأكل لحم أبي السباع"، وأخيراً استقر رأيهم على دفنه في "العباسية" قرب الكوفة. وأثناء الدفن رأهم فلاح نبطي كان يسقي زرعته فذهب إلى الحكم بن الصلت (أحد رجال بني أمية) ودلّه على قبر زيد، فأرسل يوسف بن عمر - لعنه الله - قائد شرطته العباس بن سعيد فاستخرجه وحمله على بعير وألقاه عند باب القصر فأمر اللعين بصلبه بالكناسة ومعه معاوية بن إسحاق وزباد الهدي ونصر بن خزيمة. وأما رأسه الشريف فبعث به إلى هشام بن عبد الملك لعنه الله.

(قال أبو مخنف: حدثني موسى بن أبي حبيب: انه مكث مصلوباً إلى أيام الوليد ابن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف: "أما بعد. فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفاً والسلام". فأمر به يوسف - لعنه الله - عند ذلك خراش بن حوشب. فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار، ثم جعله في قواصر ثم حمله في سفينة ثم ذراه في الفرات) (١).

وروي: أنَّ زيداً لما صُلب (كان يوجّه وجهه ناحية الفرات فيصبح وقد دارت خشبته ناحية القبلة مراراً، وعمدت العنكبوت حتى نسجت على عورته) (٢).

استشهد زيد رضوان الله عليه في يوم الجمعة من شهر صفر، وأما السنة فقد اختلف فيها بين قائل إنها كانت سنة ١٢٠ هـ وقائل إنها سنة ١٢١ هـ وثالث يرى أنها سنة ١٢٢ هـ (٣).

وبالنسبة للإمام الصادق عليه السلام، فقد ظل يتربخ خبر عمّه زيد الشهيد وهو بالمدينة وكان يسأل عنه بعض من يفد عليه من الكوفيين، حتى بلغه خبر مقتله فحزن عليه وبكى ورتاه بكلمات من نور:

(عبد الله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لنا: أعتدكم خبر عمي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني فمكثنا أياماً فأتى رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أما بعد فإن زيد بن علي عليه السلام قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر فمكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكى ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله احتسب عمي إنه كان نعم

١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٨.

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٩ / ٤٧٩.

٣- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٧٤؛ مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٨؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٤٢.

العم، إن عمي كان رجلاً لدينانا وآخرتنا مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم^(١).

وأيضاً: كان الإمام الصادق صلوات الله عليه يساعد عوائل من استشهدوا مع عمه زيد من ماله الخاص:

(عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: دفع إلي أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ألف دينار، وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي عليه السلام فقسمتها، فأصاب عبد الله بن الزبير أخا فضيل الرسان أربعة دنانير)^(٢).

وأبلغ رجل الإمام يوماً أنّ شاعر الحاكم الأموي (حكيم بن عباس الكلبي) يهجوكم، فقال للرجل: (هل علقته منه بشيء؟ قال: بلى فأنشده:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نرمهدياً على الجذع يصلبُ
وقستم بعثمانٍ علياً سفاهةً وعثمان خير من عليٍّ وأطيبُ

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدةً فقال: "اللهم إن كان كاذباً فسَلِّطْ عليه كلباً من كلابك"، قال: فخرج حكيم من الكوفة فأدلج، فلقية الأسد فأكله! فجاءوا بالبشير لأبي عبد الله عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بذلك، فخرَّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده)^(٣).

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ١ / ٢٢٨.

٢- الأمالي، الصدوق: ٤١٦: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٧٣.

٣- دلائل الإمامة، الطبري: ٢٥٣.

اعتقاد زيد بالإمام الصادق (ع):

كون فرقة "الزيدية" ينتسبون إلى زيد الشهيد ويعتقدون بإمامته، فهذا لا يعني أنّ زيداً كان يدعي الإمامة باطلاً، وحاشاه، وقد رأينا أنّ الإمام الرضا عليه السلام نفى مثل هذا الادعاء عن عمّه الشهيد وطهره منه.

نعم، كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام – ومثله ابنه الباقر عليه السلام – لم يخبر ولده زيداً بإمامته لحكمة يراها، وكذلك فعل أخوه الباقر عليه السلام معه، فكلاهما لم يعلماه بأنهما إمامان واجبا الطاعة عليه، والسبب أوضحه أحد أصحاب الإمام الصادق لزيد في حوارٍ كان له معه بمحضر الإمام الصادق عليه السلام، وقد أقرّ الإمام تلك الحقيقة، وخلصتها: إنّ الإمام زين العابدين – ومثله الباقر – ترك زيداً مرجوّاً لأمر الله وله فيه الشفاعة؛ باعتبار أنّ من تُعرض عليه إمامة الإمام الحق ويرفض سيكون العذاب بالنسبة له أمراً حتمياً، بخلاف من لم تعرض عليه ولم يلتفت لها فإنّ الله فيه المشيئة كما أنّ للإمام فيه الشفاعة.

يقول السيد أحمد الحسن:

(ومسألة ترك الناس مرجون لأمر الله لم تقتصر على زمن الفترة الذي لا يعلن فيه المرسل رسالته للناس، بل أيضاً قد تكون في أزمان يعلن فيه المرسل رسالته لبعض الناس، ولكن لا يعلنها لبعضهم لمصلحة أو فائدة أعظم كالتقية أو الحفاظ على حياتهم أو لأيّ أمرٍ يريده الله. وهذا الأمر كان حتى مع بعض أبناء الأئمة^(١).)

وأدناه رواية^(٢)، هي عبارة عن نقاش بين زيد بن علي وبين مؤمن الطاق وبقرار الإمام الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام ترك ابنه زيداً مرجوّاً لأمر الله وله فيه الشفاعة:

١- ولا مانع أن لا يبلغ الإمام بعض أبنائه بإمامته إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك، ولا يمكن أن يدعي أحد أنه أعرف بالمصلحة من الإمام حيث إنه متصل بالله ويوحى له من الله. الهامش للسيد أحمد الحسن.

٢- انظر: ملحق (١). الهامش للسيد أحمد الحسن، وسيأتي نقل كلامه الذي ذكره في الملحق ١ بعد قليل.

"عن مؤمن الطاق واسمه محمد بن علي بن النعمان أبو جعفر الأحول، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل زيد بن علي فقال لي: يا محمد بن علي أنت الذي تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه؟ قال: قلت: نعم كان أبوك أحدهم. قال: ويحك فما كان يمنعه من أن يقول لي فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدي على فخذه ويتناول البضعة فيبردها ثم يلقمنيها، أفتراه كان يشفق على من حر الطعام ولا يشفق على من حر النار؟ قال: قلت: كره أن يقول لك فتكفر فيجب من الله عليك الوعيد ولا يكون له فيك شفاعاة، فتركك مرجئاً لله فيك المشيئة وله فيك الشفاعاة" انتهى (١).

لكن هذا لا يعني أنّ زيدا مات على هذا الحال، وإنما اعتقد بإمامة ابن أخيه جعفر الصادق عليه السلام، ولهذا استشاره قبل خروجه وأذن له وقال: "ويل لمن سمع واعيته ولم يجبه!"

يقول السيد أحمد الحسن:

(الرواية التي استشهدت بها بينت أنّ زين العابدين والباقر تركا زيدا مرجواً لأمر الله ولهما فيه الشفاعاة، ولكن هذا لا يعني أنه مات على هذا؛ لأنّ زيدا لم يمّت في هذه الحال وفي حياة أبيه أو أخيه الباقر عليه السلام، بل عرف الحق وأقرّه وقاتل عليه واستشهد عليه، وهذه رواية واضحة في معرفة زيد عليه السلام للحق في زمن ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام وإقراره بالحق:

"عن معتب قال: قرع باب مولاي الإمام الصادق عليه السلام فخرجت فإذا زيد بن علي عليه السلام فقال الصادق (عليه السلام) لجلسائه: أدخلوا هذا البيت وردوا الباب ولا يتكلم منكم أحد، فلما دخل قام إليه فاعتنقا وجلسا طويلاً يتشاوران ثم علا الكلام بينهما، فقال زيد: دع ذا عنك يا جعفر، فوالله لئن لم تمد يدك أبايعلك أو هذه يدي فبايعني لأتعبنك ولأكلفنك ما لا تطيق، فقد تركت الجهاد وأخلدت إلى الخفض وأرخيت الستر، واحتويت على مال المشرق والمغرب، فقال الصادق عليه السلام: يرحمك الله يا عم يغفر لك الله يا عم. وزيد يسمعه ويقول: موعدنا الصبح أليس الصبح بقريب؟ ومضى فتكلم

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث أزمنة الفترات.

الناس في ذلك فقال الصادق عليه السلام: مه لا تقولوا لعبي زيد إلا خيراً رحم الله عبي زيداً فلو ظهر لوفى، فلما كان في السحرقع الباب ففتحت له الباب فدخل يتشبهق ويبكي، ويقول: ارحمني يا جعفر رحمك الله، ارض عني يا جعفر رضي الله عنك، اغفر لي يا جعفر غفر الله لك، فقال الصادق عليه السلام: غفر الله لك ورحمك ورضي عنك، فما الخبر يا عم؟ قال: نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داخل علي، وعن يمينه الحسن وعن يساره الحسين عليهما السلام، وفاطمة عليهما السلام خلفه، وعلي عليه السلام أمامه، وبيده حربة تلتهمب التهباً كأنها نار، وهو يقول: يا زيد أذيت رسول الله في جعفر، والله لئن لم يرحمك ويغفر لك ويرضى عنك لأطعنك بهذه الحربة فلأضعنها بين كتفيك، ثم لأخرجها من صدرك، فانتهمت فزعاً مرعوباً فصرت إليك، فارحمني يرحمك الله. فقال عليه السلام: رضي الله عنك وغفر الله لك، أوصيني فإنك مقتول مصلوب محرق بالنار، فوصي زيد بعياله وأولاده وقضاء الدين عنه" (١).

وزيد بن علي عالم يقر علمه المخالف والمؤالف، وقد ابتلي وامتحن بابن أخيه وأقرَّ بإمامته، و اقتحم العقبة ولم يعثر بالصادق عليه السلام، رغم أنّ الامتحان لم يكن هيئناً بالنسبة له، فهذا فضل عظيم لزيد عليه السلام، فلو كان ابتلاء زيد بأخيه الباقر فقط لهان، ولو كان ابتلاؤه بأبيه لكان أهون، ولكنه امتحن وابتلي بعقبة أعظم واجتازها، ولهذا فقد ذكر زيدا رسول الله وعلي عليه السلام وبكيا عليه عليه السلام، وهذا هو الفضل العظيم) انتهى (٢).

معرفة زيد بالإمام الصادق عليه السلام واعتقاده به أدى إلى اعتقاد جميع أهل بيته بالإمام بما فهم ولده يحيى الذي استشهد بعد والده، كما سيتضح.

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٣٥٢؛ مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٦/ ١٠٣ - ١٠٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٧ / ٢٨٠.

٢- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: ملحق رقم ١.

يقول السيد أحمد الحسن: (بالنسبة ليحيى بن زيد فهو مؤمن بالصادق عليه السلام، فبعد النقاش الذي دار بين زيد بن علي والإمام الصادق، وبعد رؤيا زيد آمن زيد وكل أهل بيته، ومنهم يحيى) انتهى^(١).

وليس هذا فقط، بل كان زيد عليه السلام قبل شهادته يُرجع من يسأله عن الأمر إلى الإمام الصادق عليه السلام:

(عبد العلا قال: قلت لزيد بن علي عليه السلام: ... فأنت صاحب الأمر؟ قال: لا، ولكني من العترة. قلت: فإلى من تأمرنا. قال: عليك بصاحب الشعر، وأشار إلى الصادق عليه السلام)^(٢).

ثم إن ترك زيد مرجوياً لأمر الله في حياة أبيه وأخيه عليهما السلام لا يعني أنه كان يجهل بأمر إمامة آل محمد تماماً، بل الصحيح أنه كان يعلم بها إجمالاً، والإمامان السجاد والباقر عليهما السلام إنما لم يبلغاه بالتفصيل؛ للغاية التي تقدمت.

يقول السيد أحمد الحسن: (ترك الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام زيداً مرجوياً لأمر الله لا يعني أن معرفة زيد بأمر الإمامة صفر تماماً، فزيد من أهل بيت الإمام ولا يُعقل هذا بحقه، فأكد أنه كان يعرف إجمالاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، كما كان حال ابن الحنفية. ومعنى أنهما تركاه مرجوياً: أن الإمام لم يأت ويبين له ما افترضه الله عليه ويدعوه للاعتقاد به أو بأخيه بالتفصيل) انتهى^(٣).

وهذه رواية تبين معرفة زيد الاجمالية بإمامة آل محمد صلوات الله عليهم:

روي عن محمد بن بكير أنه قال لزيد: (يا ابن رسول الله ألسنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إليّ فقلت: هذا الذي تقوله عنك أو عن رسول الله. فقال:

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٣٠٠.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

"لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير" لا ولكن عهد عهده إيلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

وإذا عرفنا هذا، فما نراه في بعض الروايات من حوار بين زيد وبين بعض أصحاب الصادق عليه السلام كمؤمن الطاق (أبي جعفر الأحول) ودعوته له لنصرته وعدم استجابته له^(٢) لا يعني بحال عدم شرعية ثورته؛ لأن مثل تلك الحوارات كانت قبل اعتقاد زيد بالإمام وقبل استشارته وإذنه له بالثورة، بينما ثار زيد بعد أن اعتقد بالإمام واستأذنه في الخروج، ولذلك كان شهيداً مرضياً عند الله ورسوله وآل الرسول صلوات الله عليهم الذين وعدوا بشهادته ورتوه وبكوه.

لكن مع هذا، من راجع أحداث ثورة زيد واطلع على أسماء أهم رجاله وأصحابه الذين اشتركوا معه في الثورة، فإنه لا يجد اسماً لامعاً من أصحاب الإمام الصادق صلوات الله عليه المعروفين قد اشترك معه من قبيل: زرار بن أعين، محمد بن مسلم، مؤمن الطاق، هشام بن الحكم، هشام بن سالم، وأمثالهم، والسؤال: ما سبب ذلك؟

١- كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٣٠٠.

٢- هذا نص الرواية: (عن أبان قال: أخبرني الأحول أن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام بعث إليه وهو مستخفٍ قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقت طارقاً منا أخرج معه؟ قال: فقلت له: إن كان أباك أو أخاك، خرجت معه قال: فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي قال: قلت: لا ما أفعل جعلت فداك، قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان الله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك وإن لا تكن لله حجة في الأرض فالمتخلف عنك والخارج معك سواء. قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي علي الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد، شفقة علي، ولم يشفق علي من حر النار، إذا أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟ فقلت له: جعلت فداك شفقتك عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك: أن لا تقبله فتدخل النار، وأخبرني أنا، فإن قبلت نجوت، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء قلت: يقول يعقوب ليوسف: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، لم لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك فكذا أبوك كتمك لأنه خاف عليك، قال: فقال: أما والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة أني أقتل واصلب بالكناسة وأن عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي. فحججت فحدثت أبا عبد الله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت له، فقال لي: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، ولم تترك له مسلكاً يسلكه) الكافي، الكليبي: ١ / ١٧٤.

يقول السيد أحمد الحسن:

(أؤكد أنّ أصحاب الإمام الصادق يعرفون أنّ نصرة الصادق عليه السلام أوجب من نصرة أي أحد آخر. أصحاب الإمام كانوا على علم ومعرفة عميقة ولديهم ارتباط قوي بالله سبحانه وتعالى، ولديهم رؤى وكشوفات، إضافة إلى أنّ معرفتهم بالدين كانت معرفة دقيقة فهم علماء وفقهاء، وهؤلاء يعرفون أنّ حياتهم وبقاءهم مع الإمام أفضل وأوجب من أي أمر آخر إلا إذا أمرهم الإمام بالذهاب والاشتراك. فصحيح أنّ نصرة زيد لا إشكال فيها، لكن - كما قلت - نصرة الصادق أولى وأوجب والبقاء مع الامام الصادق - خصوصاً لمن لديه علم كأصحابه المذكورين - أهم وأعظم؛ لأنها نصرة لدين الله) انتهى (١).

انهيار حكم بني أمية بعد شهادة زيد:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي عليهما السلام فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه، وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع الله ملكه على قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله" (٢).

فعلاً، بمجرد أن قتل يزيد - لعنه الله - الإمام الحسين صلوات الله عليه هلك بعده بثلاث سنين وانتهى حكم آل أبي سفيان وانتقل الحكم إلى بني مروان، كما أنّ هشام بن عبد الملك انتهى أمره بقتله زيد الشهيد؛ إذ لم يمكث بعده سوى ثلاث سنين أيضاً وهلك سنة ١٢٥ هـ وبعد هلاكه تشتت حال الأمويين ووهنوا واختلفوا.

(لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية، ... واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين، ولكن في اختلاف وهيج، وما زالوا كذلك حتى

١- من حوار خاص مع السيد احمد الحسن.

٢- ثوب الأعمال، الصدوق: ٢٢٠.

خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة) (١).

شاء الله سبحانه أن يشتت أمر الأمويين بعد قتل زيد عليه السلام والتمثيل به وصلبه، وما عجل أكثر بزوالهم وانقضاء حقيبتهم السوداء قتلهم لولده الشهيد يحيى بن زيد سنة ١٢٥ هـ بأمر من الوليد بن يزيد لعنه الله، كما سيتضح الآن.

مقتل يحيى بن زيد:

إلحاقاً بثورة زيد الشهيد، من المناسب التعرض لما جرى على ولده يحيى أيضاً.

شهادة يحيى:

- المكان: إيران / خراسان
- الزمان: شعبان سنة ١٢٥ هـ

اشترك يحيى مع أبيه زيد في ثورته بالكوفة، وبعد استشهاد أبيه وتفرق من بقي من أصحاب أبيه عنه، بقي متخفياً بالكوفة فترة ثم خرج منها إلى المدائن ثم منها إلى الري ثم إلى خراسان، فوصل إلى "سرخس" و أقام بها، فأتاه جماعة من الخوارج وسألوه أن يخرج معهم ضد بني أمية فرفض ذلك نتيجة موقفهم من علي وأبنائه عليهم السلام.

سار يحيى عن "سرخس" وبلغ "بلخ" و أقام عند الحريش بن عمرو إلى أن هلك هشام بن عبد الملك وولي بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فكتب عامله على العراق (يوسف بن عمر) إلى والي خراسان (نصر بن سيار) بمسير يحيى بن زيد إلى "بلخ" وإقامته عند الحريش وأمره بمعاقبة الحريش، فأخذ نصر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر علمه به، فأمر بجلده فجلدوه ستمائة سوط، فقال الحريش: "والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما عنه!" وكان عند الحريش ولد اسمه قريش فلما رأى تعذيبهم لأبيه قال لهم: "لا تقتلوا أبي

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ٩ / ٣٨٧.

و أنا أدلكم على يحيى" ، فدلّهم وألقي القبض على يحيى وقيدوه هو وأصحابه ، فكتب نصر إلى الوليد بخبره فأمره أن يخلي سبيله وسبيل أصحابه وحذّره من الفتنة ، فأمر نصر بن سيار عامله على "سرخس" عبد الله بن قيس بن عباد البكري أن يبعده عنها ، وكتب إلى عامل "طوس" أن لا يبقيه فيها ساعة إن مر بها .

وعموماً ، سار يحيى بسبعين من أصحابه حتى انتهى إلى "بهق" وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فرجع إلى نيسابور وعاملها آنذاك عمرو بن زرارة ، فكتب إلى نصر بخبر يحيى ، فأمره بمحاربتة بعد أن أرسل إليه عامله على سرخس وطوس بمن معهما ، فاجتمعوا وصاروا جيشاً كبيراً ، فقاتلهم يحيى بمن معه ، فهزّمهم وقتل عمرو بن زرارة وأخذ ما كان في معسكرهم ، ثم سار يحيى وأصحابه عن نيسابور ، فبلغ نصر بن سيار الخبر فسرّح في أثرهم سالم بن أحوز في ثمانية آلاف فلحقوا بهم في "الجوزجان" فقاتلهم يحيى وأصحابه قتالاً شديداً ثلاثة أيام ولياليها حتى قُتل أصحاب يحيى كلهم ، ورمى رجل من عترة يحيى بسهم في جبهته فاستشهد رضوان الله عليه ، ثم احتزوا رأسه وسلبوه قميصه^(١) .

(فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه يعني زيدا وأحرقه بالنار ثم أنسفه باليم نسفاً فأمر يوسف به فأحرق ثم رضه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات . وأما يحيى فإنه لما قتل صلب بالجوزجان فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه في خراسان وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل فمن كان حياً قتله ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء وكانت أم يحيى ربطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية)^(٢) .

١- انظر: مقاتل الطالبين ، أبو الفرج الأصفهاني: ١٠٤ - ١٠٧ : الكامل في التاريخ ، ابن الأثير: ٢٧١ / ٥ - ٢٧٢ .

٢- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير: ٢٧١ / ٥ - ٢٧٢ .

اعتقاد يحيى بن زيد:

ذكرت سابقاً أنّ اهتداء زيد للحق واعتقاده بإمامة ابن أخيه جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه أدّى إلى اهتداء كل أهل بيته، فكان ولده يحيى معتقداً بإمامة الصادق عليه السلام، ولذا كان شهيداً مرضياً عند الإمام وآل محمد عليهم السلام عموماً، وهذه رواية تؤكد معرفة يحيى بالحق، وأيضاً: تبين بكاء الصادق عليه السلام على ابن عمّه يحيى بعد شهادته ودعاءه له:

(المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان، فما رأيت رجلاً في عقله وفضله، فسألته عن أبيه عليه السلام فقال: إنه قُتل وصُلب بالكناسة، ثم بكى وبكيت حتى غشي عليه، فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجك إلى قتال هذا الطاغى وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سألت أبي عليه السلام يحدث عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صليبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد يقتل شهيداً إذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: رحم الله أبي زيداً، كان والله أحد المتعبدين قائم ليله صائم نهاره يجاهد في سبيل الله عز وجل حق جهاده. فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة. فقال: يا أبا عبد الله إنّ أبي لم يكن بإمام ولكن كان من سادات الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن ادعى الإمامة كاذباً، فقال: مه يا أبا عبد الله إنّ أبي عليه السلام كان أعقل من أن يدعي ما ليس له بحق، وإنما قال: "أدعوكم إلى الرضا من آل محمد" عنى بذلك [ابن] عمي جعفر.

قلت: فهو اليوم صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم^(١).

وأيضاً: روى عمير عن أبيه متوكل بن هارون رواية طويلة تحكي لقائه بيحيى بعد شهادة أبيه زيد، ثم لقائه بالإمام الصادق عليه السلام، والرواية مهمة وهذا نصّها:

قال متوكل بن هارون: (لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان بعد قتل أبيه فسلمت عليه فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت من الحج، فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة وأحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام فأخبرته بخبره وخبرهم وحزّهم على أبيه زيد بن علي، فقال لي: قد كان عمّي محمد بن علي أشار على أبي بترك الخروج وعرفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمّي جعفر بن محمد؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلت: نعم، قال: بم ذكرني خبرني! قلت: جعلت فداك ما أحب أن أستقبلك بما سمعته منه! فقال: أبا الموت تخوّفتي هات ما سمعته! فقلت: سمعته يقول: إنك تُقتل وتُصلب كما قُتل أبوك وصلب، فتغيّر وجهه وقال: "يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"، يا متوكل إن الله عزوجل أيّد هذا الأمر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجمعنا لنا، وخُصَّ بنو عمنا بالعلم وحده! فقلت: جعلت فداك إني رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إن عمّي محمد بن علي وابنه جعفر دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت! فقلت: يا ابن رسول الله، أهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم، ولا نعلم كل ما يعلمون!

ثم قال لي: أكتبت من ابن عمّي شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرنيه فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه عليّ أبو عبد الله "الصادق" عليه السلام وحدثني أن أباه محمد بن علي عليه السلام أملاه عليه وأخبره أنه من دعاء أبيه علي بن الحسين عليه السلام من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره، وقال لي: أتأذن في نسخه؟ فقلت: يا ابن رسول الله أتستأذن فيما هو عنكم؟! فقال: أما لأخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل مما حفظه أبي عن أبيه وإنّ أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها.

قال عمير: قال أبي "أي متوكل": فقمتم إليه فقبّلت رأسه وقلت له: والله يا ابن رسول الله إني لأدين الله بحبكم وطاعتكم، وإني لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم، فرمى صحيفتي التي دفعها إليّ إلى غلام كان معه وقال: أكتب هذا الدعاء بخط بيتي حسن واعرضه عليّ لعليّ أحفظه، فإني كنت أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعني.

قال متوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدري ما أصنع، ولم يكن أبو عبد الله "الصادق" تقدم إليّ إلا أدفعه إلى أحد! ثم دعا بعبية فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبله وبكى، ثم فضّبه وفتح القفل ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينه وأمرها على وجهه وقال: والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي أنني أقتل وأصلب لما دفعتها إليك، ولكنت بها ضنيناً، ولكني أعلم أنّ قوله حق أخذه عن آبائه وأنه سيصبح، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أمية فيكتموه ويدخروه في خزائهم لأنفسهم، فاقبضها واكفنيها وتربّص بها، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام فإنهما القائمان في هذا الأمر بعدي.

قال المتوكل: فقبضت الصحيفة فلما قُتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد الله "الصادق" عليه السلام فحدّثته الحديث عن يحيى فبكي واشتد وجده به وقال: رحم الله ابن عمي وألحقه بأبائه وأجداده، والله يا متوكل ما منعتني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟ فقلت: ها هي ففتحها وقال: هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين صلى الله عليه وآله ثم قال لابنه: قم يا إسماعيل فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها إليّ يحيى بن زيد، فقبّلها أبو عبد الله ووضعها على عينه وقال: هذا خط أبي وإملاء جدي صلى الله عليه وآله بمشهد مني، فقلت يا ابن رسول الله: إن رأيت أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى؟ فأذن لي في ذلك وقال: قد رأيتك لذلك أهلاً، فنظرت وإذا هما أمر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأخرى، ثم استأذنت أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصحيفة إلى ابني عبد الله ابن الحسن، فقال: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا"، نعم فادفعها إليهما، فلما نهضت للقائهما قال لي: مكانك، ثم وجه إلى محمد وإبراهيم فجاء فقال: هذا ميراث ابن عمكما يحيى من أبيه قد خصّكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكم فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة، قالوا: ولمّ ذاك؟ قال: إنّ ابن عمكما خاف عليهما أمراً أخافه أنا عليكما. قالوا: إنما خاف عليهما حين علم أنه يُقتل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وأنتم فلا تأمنا فوالله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل! فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

فلما خرجا قال لي أبو عبد الله: يا متوكل كيف قال لك يحيى: إن عمي محمد بن علي وابنه جعفرًا دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت؟ قلت: نعم أصلحك الله قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك. فقال: يرحم الله يحيى، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً يترؤون على منبره نزوا القردة، يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يُعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا". يعني بني أمية! قال: يا جبريل على عهدي يكونون وفي زمي؟ قال: لا، ولكن تدوررحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرًا، ثم تدوررحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسًا، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطعها، ثم ملك الفراعنة. قال: و أنزل الله تعالى في ذلك: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ" يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر. قال: فأطلع الله عزوجل نبيه عليه السلام على أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم، قال: وأنزل الله تعالى فيهم: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ". ونعمة الله محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، حيم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك إلى علي وأهل بيته.

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلمًا أو ينعش حقًا إلا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا! قال المتوكل بن هارون: ثم أملى علي أبو عبد الله عليه السلام الأدعية وهي خمسة وسبعون باباً... (١).

أقول: في الرواية فوائد جمّة، منها:

١- ذكرنا سابقاً، بعض إخبارات المعصومين عليهم السلام بشهادة زيد وما يجري عليه، وفي هذه الرواية ذكر يحيى بن زيد قول عمّه الباقر عليه السلام كمثل لها، إذ قال لمتوكل بن هارون: "قد كان عمّي محمد بن علي أشار على أبي بترك الخروج وعزّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره".

٢- الرواية بيّنت اعتقاد يحيى بالصادق وأبيه الباقر عليهما السلام، إذ سأله متوكل بن هارون: "أهم أعلم أم أنتم؟" (هم): يقصد الباقر والصادق عليهما السلام، (أنتم): يقصد يحيى وأباه زيد، فأجاب يحيى: "كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم، ولا نعلم كل ما يعلمون!". وفيه اعتراف ضمني بإمامة عمّه وابنه صلوات الله عليهما.

وأيضاً: قول يحيى لمتوكل: "والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي أنني أقتل وأصلب لما دفعتهما إليك، ولكني أعلم أنّ قوله حق أخذه عن آبائه وأنه سيصح" فيه اعتراف ضمني واضح بإمامة الصادق عليه السلام.

٣- طلب يحيى من متوكل بن هارون دفع صحيفة أبيه "زيد" لابني عمّه محمد وإبراهيم ولدا الحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام وقوله: "فإنهما القائمان في هذا الأمر بعدي"، لا يعني عدم اعترافه بإمامة الصادق عليه السلام، وإنما أقصى ما يعنيه قوله هذا أنه كان يعلم بما سيؤول إليه أمرهما من القيام بالسيف أيضاً، فهو أمر أخبر به الأئمة عليهم السلام وبلغ يحيى بالتأكيد، بل في نفس الرواية رأينا أنّ الصادق عليه السلام أخبرهما بأنهما سيقومان ويُقتلان، إذ دفع إليهما متوكل بن هارون الصحيفة بمحضر الصادق عليه السلام واشترط عليهما الإمام عدم إخراجها من المدينة، وقال: "وأنتما فلا تأمنا فوالله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قُتل!"

وأما نفس دفع الصحيفة إليهما فهو مجرد فعل ليس فيه أي دلالة على انحراف معتقد يحيى وحاشاه، بل على العكس ربما فيه طلب هداية لبعض ولد الحسن؛ خصوصاً أنّ يحيى أرسل الصحيفة لهم بيد أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الثقات المقربين منه!

يقول السيد أحمد الحسن:

(يحيى يعلم جيداً أنّ الصحيفة السجادية موجودة عند الإمام الصادق، ولهذا ذكر للمتوكل أنّ كل ما عندنا عندهم وليس كل ما عندهم عندنا أي أنّ الصادق وأباه عليهما السلام أعلم، وأيضاً: هو أعطى الصحيفة لأحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وكان يعلم أنه سيطلع الإمام عليهما، وإبراهيم ومحمد موجودان بالمدينة، وما فعله يحيى مع أبناء عمه وطلبه بوصول صحيفة جده زين العابدين عليه السلام لهما هو بالحقيقة باب هداية لهم وللناس الذين اتجهوا إلى أولاد الحسن وغيرهم، فوضع يحيى لهم طريقاً لمعرفة الحق وأرجعهم إلى الإمام الصادق صلوات الله عليه) انتهى^(١).

٤- أما ما يظهر من كلام يحيى بن زيد من أنّ في نفسه شيئاً من طلب الإمامة، مثل قوله لمتوكل بن هارون: "إنّ عمي محمد بن علي وابنه جعفرأ دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت!"، أو قوله: "كلنا له علم..." في جواب سؤال متوكل بن هارون: "أهم أعلم أم أنتم؟" فهو لا يعني انحراف عقيدته، بقدر ما يشير إلى حقيقة تضمهرها كل النفوس وليس يحيى فقط، باستثناء من عصمهم الله سبحانه! فمن من الناس لا يرى لنفسه فضلاً أو شأناً أو تقديراً معيناً بأي نسبة كانت! ومن منهم لا يطمح إلى منصب إمامة أو قيادة أو أقل طلب الجاه والرفعة ونحو ذلك! مَنْ منهم ليس عنده "أنا" وظلمة؟!

يقول السيد أحمد الحسن:

(الحقيقة، إنّنا لا ننتظر من يحيى ولا غيره أن يتصرف كما الإمام المعصوم.

فلا يوجد إنسان ليس في نفسه شيء من حب الإمامة أو خلافة الله في أرضه أو نبيل منصب رفيع وما شابه غير الإمام المعصوم نفسه، ولذا اختاره الله مع أنه ليس في نفسه شيء تجاه تلك الأمور لا سابقاً ولا بعد تنصيبه. أما غيره - أياً كان - فالنفس تضعف أمام

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

المغريات والشهوات، ولنفرض أنّ أحداً ليس في نفسه شيء من الإمامة لكن هل لا يحب أن يكون له منصب أو لا يرى لنفسه فضلاً أو شأنًا أو مكانة ... إلخ؟

"في نفسه": يعني الأنا.

ومن يقول إنه ليس في نفسه شيء من ذلك كله فهو كذاب!

فقط خليفة الله هو الوحيد الذي ليس في نفسه شيء من ذلك كله، ولأن الله يعلم بأنه ليس في نفسه شيء اختاره الله خليفة له.

خلفاء الله يركز في نفوسهم أنهم مقصرون مع الله سبحانه دائماً؛ فـ "ظلمة" الخلق التي لا تبارح فكرهم أورثت لهم حزناً وحياء من الله وقراراً في دواخلهم بأنهم غير مستحقين لشيء. خليفة الله يعتبر تلك الظلمة شر وذنوب يستغفر الله منه، لكن غيره لا ينظر إلى وجوده بهذا الشكل، وبالتالي فهو يرى أنه يستحق أموراً كثيرة. ولو كان غير الأئمة نظروا لهذه المسألة كما نظروا الأئمة عليهم السلام لكانوا أئمة!

نعم، بعض أصحاب الأئمة "الحواريين" قاربوا هذه الحقيقة، لكنهم وصلوا لها لا بأنفسهم وإنما بعد أن لفت الأئمة انتباههم وبعد أن نهلوا منهم، ومع هذا تحصل لهم الغفلة في بعض الأحيان، وهم أفراد قلائل جداً انتهى^(١).

٥- الرواية أشارت إلى إخبار الرسول صلى الله عليه وآله بما سيجري بعده من أحداث وملاحم، ومنها ما يجري على عترته وأهل بيته، وتقهر الناس بعده، ونزو القردة (الأمويين) على منبره، وأنّ الإسلام الحقيقي سيكون عشرين سنين يحكمها الرسول صلى الله عليه وآله بالمدينة بعد هجرته إليها، وأيضاً خمس سنين يحكمها وصيه أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالكوفة بين عامي ٣٥ هـ - ٤٠ هـ: "ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً!"

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

ثم بعد شهادة أمير المؤمنين يبدأ حكم بني أمية (الفرعنة)، كما ورد وصفهم في الرواية)، ومدة حكمهم ألف شهر^(١)، أي: ٨٣ عاماً وثلاثة أشهر. ونحن إذا علمنا أن ملك بني أمية ابتداءً في ربيع الأول سنة ٤١ هـ: الوقت الذي اضطرب فيه الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح مع معاوية، وانتهى بمقتل مروان بن محمد في ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ، نعلم أن المدة بين هذين التاريخين هي: ٩٢ سنة تقريباً^(٢)، وهي مدة تزيد عن التقدير المذكور في الروايات بتسع سنين، فما الحل؟

ربما يذهب أحد إلى ما ذكره بعض المؤرخين - ونقلت قول أحدهم فيما سبق - من أن ملك بني أمية الفعلي انتهى بموت هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٥ هـ، وبالتالي تكون مدة ملكهم الفعلية: ٨٤ سنة، وهو تقدير قريب من المدة المحددة في الروايات!

عرضت هذا التوجيه على السيد أحمد الحسن، فقال: (الأصح أن تطرح من مدة ملكهم مدة ملك عبد الله بن الزبير) انتهى^(٣).

مدة ملك ابن الزبير هي: ٩ سنين بالضبط، ابتدأت بهلاك يزيد سنة ٦٤ هـ وانتهت بمقتل ابن الزبير في سنة ٧٣ هـ، وواضح أننا إذا طرحنا الـ ٩ سنين من ٩٢ سنة يتبقى ٨٣

١- ليست رواية الإمام الصادق عليه السلام المتقدمة هي الوحيدة التي حددت ملك بني أمية بألف شهر، وإنما هناك روايات عديدة بهذا الصدد، منها على سبيل المثال:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقري فأصبح كئيباً حزينا قال: فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله مالي أراك كئيباً حزينا قال: يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي ويضلون الناس عن الصراط القهقري فقال: والذي بعثك بالحق نبيا إن هذا شيء ما اطلعت عليه فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بأبي من القرآن يؤنسه بها قال: "أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" وأنزل عليه "إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدريك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر" جعل الله عز وجل ليلة القدر لنبينا صلى الله عليه وآله خيراً من ألف شهر ملك بني أمية) الكافي، الكليني: ١٥٩ / ٤.

٢- باعتبار أن الصلح حدث في مطلع سنة ٤١ هـ، كما أن هلاك مروان بن محمد كان في آخر سنة ١٣٢ هـ، وبالتالي فالمدة الحاصلة بين هذه التاريخين هي ٩٢ سنة تقريباً.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

سنة = ١٠٠٠ شهر، وهو التحديد المذكور في روايات آل محمد عليهم السلام ملك بني أمية بالتمام.

٦- الملفت أنّ الرواية أكدت أنّ بني أمية لا بد أن يبلغوا في ملكهم هذه المدة، أي لا مجال لأن يزول ملكهم قبل تمام المدة المحددة، لذا قال الصادق عليه السلام: "قلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم!" ومسألة عدم إمكان إزالة ملك قبل إتمام أجله أكدته روايات كثيرة، منها: قول الصادق عليه السلام: "إنّ الله لا يعجل لعجلة العباد، وإزالة جبل عن موضعه أهون من إزالة ملك لم ينقض أجله"^(١)!

هذا الأمر واضح بالنسبة إلى آل محمد الأوصياء عليهم السلام، لذلك لم ينهضوا بالسيف بعد الحسين صلوات الله عليه وكانوا مأمورين بالإبقاء على أنفسهم وحفظ الدين وتربيته الأمة المرحومة ونشر الحق والدين والعلم فيها، لكن غيرهم - بما في ذلك بعض أهل بيته من أخوتهم وأبناء عمومتهم - لم يدركوا هذه الحقيقة أو أدركوها نظرياً لكن لا يريدوا الاقتناع بها عملياً؛ لأسباب كثيرة، لذلك قال الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة: "ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنّا وشيعتنا!"

الحقيقة، لو كان الأمر لآل محمد (الأئمة من ولد الحسين) واختيارهم، لكان أيسر لهم النهوض بالقوة طلباً بتأثر جدهم الحسين صلوات الله عليه، ودفع ظلم الأمويين وجورهم عنهم، ليس فقط بسبب كونهم الموتورين الحقيقيين بأبهم الحسين، ولا بسبب كونهم أكثر من تعرّض لظلم واضطهاد الأمويين، ولا بسبب أنّ الناس في ذلك الوقت كانت ترغب وتفضّل النهوض بالسيف وهو أمر يسهل مهمة القيام بالتأكيد؛ إذ لم يعد الحال كما كان أيام قيام الحسين، أقول: ليس قيام آل محمد عليهم السلام بالسيف أريح وأيسر لهم (لو كان الخيار بأيديهم)؛ لما تقدم من أسباب وحسب، ولكن أيضاً لكف ما يلاقوه باستمرار - يكاد يكون شبه يومي - من أذى ولوم وعتب الكثيرين من أهل بيته وأصحابهم، وهو أمر مؤلم جداً بطبيعة الحال ويضيف ظلماً للأئمة فوق مظلوميتهم، فهذا يتهم الإمام بالركون للعالمية وذاك يتهمه بطلب الدعة والراحة وثالث يتهمه بمخالفة نهج

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٥ / ٥٢.

الحسين ورابع بالخوف ... وهكذا، كما رأيناها - على سبيل المثال - من عتب زيد على الإمام الصادق عليه السلام في رواية اهتدائه للحق التي تقدمت، وكم له من نظير صدر من غيره من أهل بيت الأئمة أو أصحابهم، وهم - صلوات الله عليهم - مع كل هذا الممرار يصبرون ويتحملون ويستوعبون بصدور كبيرة كل هذه الاساءات: إنفاذاً لمراد الله وإتماماً لدينه ورسالته وحرصاً على إقامة الحجّة وهداية من شاء من عباده.

وكمثال لمعاناة الصادق عليه السلام، إليك هذه الرواية:

(أحمد بن رشيد، عن عمه أبي معمر سعيد بن خثيم، عن أخيه معمر، قال: كنت جالسا عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فجاء زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق عليه السلام: يا عم، أعينك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة. فقالت له أم زيد: والله ما يحملك على هذا القول غير الحسد لابني. فقال عليه السلام: يا ليتته حسد، يا ليتته حسد، ثلاثاً. ثم قال: حدثني أبي، عن جدي عليهما السلام: أنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء، يبتهج به أهل السماوات، تجعل روحه في حوصلة طير أخضر يسرح في الجنة حيث يشاء) (١).

وأيضاً: لما أغرى العباسيون عبد الله بن الحسن المثنى وأقتعوه أنّ ابنه "محمد" هو المهدي وطلبوا له البيعة في اجتماعهم بآل الحسن، ولما جاءهم الإمام الصادق عليه السلام ونصح عبد الله بن الحسن المثنى وذكر له أنّ الأمر لهم وأنّ ابنه (محمد وإبراهيم) سيقتلان بالنهاية ويصفو الأمر لبني العباس، لكن عبد الله غضب وقال للإمام: (علمت خلاف ما تقول، والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال: والله ما ذلك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم. وإن ابنك لمقتولان. ثم نهض ...) (٢).

١- الأمالي، الصدوق: ٩٤.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤١ - ١٤٢؛ الإرشاد، المفيد: ١٩٢/٢ - ١٩٣.

وكان الإمام الصادق عليه السلام كلما رأى محمد ابن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه وقال: "بنفسي هو إن الناس ليقولون فيه إنه المهدي وإنه لمقتول..."^(١).

لله صبرك يا ابن رسول الله! الصادق عليه السلام يعلم بأن الأمر صائر إلى منتهاه وأن بني أمية لا بد أن يكملوا مدتهم، وأن الأمر بعدهم يؤول إلى بني العباس، وأن كل ثورة بعد الحسين وقبل قيام القائم من آل محمد مصيرها الفشل ومصير صاحبها القتل. الصادق عليه السلام يعلم ذلك تماماً، وكان قلبه على عمّه زيد وعلى ابن عمّه محمد بن عبد الله بن الحسن ويريد الإبقاء عليهما رافة بهما، لكن المقابل يفهم موقف الإمام وحرصه على أرواحهم "حسداً"! ويا لها من مصيبة!

وبالنتيجة حصل ما أخبر به الإمام عبد الله بن الحسن المثني بالضبط، تماماً كما أخبر من قبل عمّه زيداً بما يجري عليه، ولما بلغه مقتل زيد بالكوفة وهروب ابنه يحيى إلى خراسان وبدء اجتماع الناس إليه، قال عليه السلام: "إنه يُقتل كما قُتل أبوه ويُصلب كما صُلب أبوه"^(٢)، وفعلاً قُتل بـ "الجوزجان" وصُلب.

عموماً، هذا باختصار ووسياًتي مزيد من التوضيح لهذه الحقائق في البحوث القادمة من "يوم الحسين" إن شاء الله.

١- انظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٢.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ١٦١.

حوادث متفرقة بعد ثورة زيد:

هذه بعض الأحداث المهمة التي حصلت في أواخر حكم بني أمية لعنهم الله:

ولاية الوليد بن يزيد "الناقص" ومقتله:

بعد هلاك هشام بن عبد الملك بويج لابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الملقب بـ "الناقص"، في ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ؛ إذ كان يزيد أوصى لابنه الوليد بولاية العهد بعد أخيه هشام بسبب ضغوط بعض الأمويين، وكان يقول لابنه: "الله ببني وبين من جعل هشاماً ببني وبينك!"

عقد يزيد ولاية العهد لابنه الوليد بعمر ١١ عاماً وهلك أبوه وعمره ١٥ عاماً، فنشأ مائعاً مدلاً حتى ظهر منه المجون وشرب الخمر والندماء الفسقة، وأراد عمّه هشام صرفه عنهم فولاه الحج سنة ١١٦ هـ لكنه حمل معه إلى مكة صناديق تحمل الكلاب وأنواع الخمر، وعمل قبة كبيرة على قدر الكعبة وأراد أن ينصبها فوق الكعبة للعريضة وشرب الخمر فخوّفه بعض أصحابه من ردود فعل الناس فلم يفعل^(١)!

ظهور فسق الوليد للناس دفع هشاماً إلى التفكير بمخالفة وصية أخيه يزيد والطمع بأخذ البيعة لابنه "مسلمة" وخلع ابن أخيه الوليد عن ولاية العهد، لكن الوليد رفض ذلك، فأخذ هشام يعمل بالسرويمهد لولاية ابنه بعد أن أجابه بعض خاصته والمقربين منه.

من جهته، أفرط الوليد في الشراب وطلب اللذات فقال له هشام: (ويحك يا وليد، والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا! ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتته غير متحاش ولا مستتر به فكتب إليه الوليد:

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٦٤.

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
نشرها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاثر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أبا شاكِر وقال له يعيرني الوليد بك وأنا
أرشحك للخلافة! (١).

وعموماً، ابتعد الوليد عن دمشق فترة واستقر في "الأزرق" في الأردن حتى هلاك هشام
ثم عاد إلى دمشق بعد أن جاءه الحكم وبويع له سنة ١٢٥ هـ، وعقد ولاية العهد لابنيه
الحكم وعثمان واحداً بعد الآخر وقدام الحكم، وكتب بذلك إلى جميع الأمصار (٢). لكنه في
نفس الوقت استمر بمجونه وفسقه وانتهاك حرمان الله حتى إنه كان معروفاً عنه الزنا
بأمهات أولاد أبيه، فاتفق بعض أهل بيته والمقربين من بني أمية مع بعض رعيته وجنده
على إنكار أفعاله ومهاجمته؛ خصوصاً بعد أن حبس بني عميه هشام والوليد ابنا عبد
الملك وضرب بعضهم بالسياط وأخذ بعض جوارهم. وكان أشد أبناء عمه عليه هو يزيد
بن الوليد بن عبد الملك وكان بعض الناس يميلون إليه.

على أي حال، انقسم الناس في عهد الوليد الناقص بين مؤيد له وهم المضربة وبين
معارض له وهم أهل بيته واليمانية، فحدثت معارك بين الطرفين وكانت الغلبة لليمانية
حيث احتلوا دمشق وطردوا المقربين من الوليد وتحصن هو بقصره، فبويع لابن عمه يزيد
وهو محصور في قصره فترة، ثم دخلوا عليه وقتلوه سنة ١٢٦ هـ، ولم يدم حكم الناقص
أكثر من سنة وشهرين فقط (٣).

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٦٥.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٦٩.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٨٠ - ٢٨٣.

اضطرابات تعصف بالأمويين في أواخر حكمهم:

بدأت الاضطرابات تحتاج مملكة بني أمية في مركزها بالشام، فهاجت الفتنة بين الأمويين أنفسهم بسبب مقتل الوليد. ففي عمان وثب سليمان بن هشام بن عبد الملك وأخذ ما بها من الأموال؛ لأن الوليد كان قد حبسه فيها. وفي حمص أقام أهلها النياحة على الوليد الناقص وأغلقوا أبوابهم بوجه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ولم يبايعوه، وعمدوا إلى دار أخيه العباس فهدموها وسلبوا حرمه؛ لأنه كان أعان على قتل خليفته المقتول، ثم طلبوا العباس فهرب من حمص إلى أخيه يزيد في دمشق. ثم هبوا الجيوش للسير إلى دمشق، ووافقهم بعض الأمويين مثل مروان بن عبد الله بن عبد الملك، ثم قتلوه مع ابنه لاحقاً لما تبين لهم ميله إلى يزيد بن الوليد. ولما سمع يزيد بن الوليد بمسيرهم جهز جيشاً لملاقاتهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزم جيش حمص وبايع من بقي منهم يزيد بن الوليد.

أيضاً: وثب أهل فلسطين على أميرهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه والياً عليهم. فسمع يزيد بن الوليد (حاكم دمشق الجديد) بخبرهم فسير إليهم جيشاً كبيراً لضبط الأمور في فلسطين والأردن أيضاً.

وفي العراق، عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر الثقفي (عامل الوليد) وولى مكانه منصور بن جمهور (وأبدله لاحقاً بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز)، ولم يكن ليوسف مكان يأويه فقرر الذهاب إلى يزيد بن الوليد بالشام لطلب عفوهِ وإظهار الطاعة له، فألقي القبض عليه وهو بالطريق ثم هرب وتخفى بين النساء فأمسكن به وأتين به إلى يزيد بن الوليد فقام بنتف لحيته وأمر بحبسه مع ابني الوليد الناقص ثم قتلوا بعد ذلك^(١).

ثم إنَّ يزيد بن الوليد مرض في نفس السنة، فأمر بالبيعة لأخيه إبراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٩٢ - ٢٩٧.

من جانب آخر: وثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران والجزيرة وبسط سيطرته عليها بعد مقتل الوليد، وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بالأمر، فسار إليه بجنده وأظهر الطلب بدم الوليد وكتب بعض أهل الشام للانضمام إليه.

وفي ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ هلك يزيد بن الوليد وكان حكمه ستة أشهر فقط، فقام بالأمر بعده أخوه إبراهيم لكن الأمور لم تستقم له؛ إذ سار إليه مروان بن محمد بجند الجزيرة فهرب من دمشق بعد أن دخلها مروان بن محمد بجيشه وثار بعض أتباع الوليد الناقص في داخل دمشق وذهبوا إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد واستخرجوه وصلبوه على باب الجابية. فتمت البيعة لمروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ، وبعد ثلاثة أشهر من بيعته ترك دمشق وأقام بجران.

لم تمضي إلا فترة قليلة وانتفض أهل حمص على مروان ونكثوا بيعته فبعث مروان من يقاتلهم وأسرمهم جماعة وصلب آخرين. ووثب أهل الغوطة على مروان وطردهوا عامله ولوا أمرهم يزيد بن خالد القسري وساروا لمحاصرة دمشق، فوجه إليهم مروان جيشاً كبيراً فهزمهم وقتل يزيد القسري.

ثم بعدهم وثب أهل فلسطين، وهكذا استمر الحال بين مد وجذب وكلما سكنت ناحية ثارت أخرى، وأقدم سليمان بن هشام بن عبد الملك على خلع مروان بن محمد وحاربه؛ إذ سار إليه بأخوته ومن التف حولهم من الجنود وبعض أهل الشام حتى بلغوا سبعين ألفاً، وزحف إليهم مروان بجموع كبيرة أيضاً و اقتتل الطرفان قتالاً عنيفاً أدى إلى مقتلة عظيمة بلغت الألوف في الوقعة المعروفة بوقعة "خساف"!

بالتأكيد، هذه الاختلافات والاضطرابات المتتالية داخل البيت الأموي أدت إلى إضعاف حكمهم بشكل كبير، وكان مروان بن محمد هو آخر حكام بني أمية.

خروج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة:

اضطرابات البيت الأموي في الشام والقتال المحتدم بين الأطراف المتصارعة على الحكم، أُلقت بظلالها على بلاد المسلمين الأخرى وخصوصاً الكوفة.

في سنة ١٢٧ هـ قدم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وأخوته إلى الكوفة، وكان الوالي يومذاك عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فخصص عطاءً مجزياً لعبد الله بن معاوية وأخوته، ثم بعد هلاك يزيد بن الوليد وحصول النزاع بين أخيه إبراهيم ومروان بن محمد إلى أن آلت الأمور إلى مروان، قرّر عبد الله بن عمر أن يزيد العطاء على عبد الله بن معاوية؛ طمعاً بكسبه وضمّه إلى صفوفه والدفع به لمواجهة مروان بن محمد وقتاله!

من جانب آخر: لم تكن سياسة عبد الله بن عمر المالية مرضية عند كثير من الكوفيين، فاستغل عبد الله بن معاوية الأمر وصار يدعو إلى نفسه ويطلب البيعة؛ فبايعه بعض الكوفيين (الشيعة منهم بالخصوص) ثم أتته بيعة بعض أهل المدائن، فخرج بجيشه إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وكان وقتها بالحيرة فأخرج أموالاً كثيرة وطلب تفريقها على قادة جيش ابن معاوية فخذلوه وانهمزم هو ومن بقي معه إلى الكوفة.

(ثم إن ربيعة أخذت أماناً لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية ليذهبوا حيث شاؤوا وسار ابن معاوية من الكوفة فنزل المدائن فأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج بهم فغلب على حلوان والجبال وهمذان وأصبهان والري)^(١).

"الزيدية": هم بعض أصحاب زيد بن علي الشهيد، فهو وإن مضى شهيداً ولم يدع الإمامة، بل اعتقد بإمامة ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام كما عرفنا سابقاً، لكن بعض أصحابه بقوا بعده يسمون أنفسهم بـ "الزيدية" نسبة له، وهم يصطفون دائماً مع من يقوم بالسيف كاصطفافهم مع آل الحسن في قتالهم بالمدينة والبصرة ضد العباسيين كما سيتضح، ونراهم الآن مصطفين مع ابن معاوية؛ لأنه قام بالسيف!

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٢٧.

بعض المؤرخين ذكروا أنّ سيرة ابن معاوية كانت سيئة جداً وكان معروفاً بالقسوة والظلم وبطانة السوء وكان يغضب فيأمر بضرب الرجل بالسياط وينسأه حتى يموت^(١)، وبعضهم اعتبره نديماً للوليد بن يزيد^(٢).

أقول: واضح أنّ من بايع ابن معاوية أو تعاطف معه ليس حياً به لذاته، وإنما حياً بآل محمد عليهم السلام، إلا أنّ تحديد مصاديق "الأل" بشكل مرضي لله سبحانه لم يكن أمره واضحاً لجميع المسلمين. ومهما يكن الأمر، فقد ذكر القاضي أنه: (ادعى الإمامة، وهو الذي قيل إن أبا هاشم أوصى إليه.. وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة)^(٣).

وروي أنّه تحرك بالكوفة في أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس إلى بيعته على الرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر سيماء الخير، فاجتمع إليه نفر من أهل الكوفة فبايعوه، ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه، وقالوا له: "ما فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت"، وأشاروا عليه بقصد فارس ونواحي المشرق، فخرج إلى ظهر الكوفة فقاتل ابن عمر قتالاً شديداً، ثم ولى وجهه منهزماً فنجأ وجعل يجمع من أجابه من الناس من الأطراف والنواحي حتى صار في عدة فغلب على مياه الكوفة، ومياه البصرة، وهمدان وقم، والري، وأصبهان، وفارس، وأقام هو بأصبهان. وكان إذا أخذ البيعة من الناس وسأله: علام نبايع؟ يقول لهم: "على ما أحببتكم وكرهتم، فبايعوه على ذلك"^(٤).

كما روي أنه دعا الناس إلى نفسه وليس إلى الرضا من آل محمد:

(وكتب عبد الله بن معاوية ... إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد. قال: واستعمل أخاه الحسن على إصطخر، وأخاه يزيد على شيراز وأخاه عليا على كرمان، وأخاه صالحا على قم ونواحيها. وقصدته بنو هاشم جميعاً، منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي. وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب: وقصده وجوه قريش من بني أمية

١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١١٢.

٢- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٣٣ / ٢١٢.

٣- شرح الأخبار، القاضي النعمان: ٣ / ٣٢١.

٤- انظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١١٤.

وغيرهم^(١)، فمن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان فمن أراد منهم عملاً قلّده ومن أراد صلته وصله. فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له: مروان الحمار، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب ابن معاوية أصحابه إلى الخروج إليه وقتاله، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دهش هو وإخوته قاصدين لخراسان، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفي عنها نصر بن سيار فلما صار في طريقه نزل على رجل من الثناء ذي مروءة ونعمة وجاءه فسأله معونته فقال أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قال: أفأنت إبراهيم الامام الذي يدعى له بخراسان؟ قال: لا. قال: فلا حاجة لي في نصرتك. فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده واختلف في أمره بعد محبسه) وذكر أنه أمر بقتله^(٢).

أما لماذا قتله أبو مسلم؟ فواضح أنّ ابن معاوية يشكل خطراً على دعوة العباسيين، لا سيما وأنه يدعي أنّ أبا هاشم (عبد الله بن محمد ابن الحنفية) أوصى إليه.

١- منهم: أبو جعفر المنصور العباسي؛ إذ قصده مع من صار إليه من بني هاشم فولاه ابن معاوية إيذرج من الأهواز فجى خراجها. ولما ضعف أمر ابن معاوية، هرب المنصور يريد البصرة، فقبض عليه سليمان بن حبيب بن المهلب والي الأهواز وأغرمه المال، وضربه وحبسه وأراد قتله، فمتمعه من ذلك سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٢/ ٦٣ - ٦٤، ولذا لما تولى المنصور قتل ابن المهلب بالرغم من أنّ أخاه السفاح عفا عنه وولاه الأهواز، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٣/٧.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١١٤ - ١١٦.

ثورة العباسيين وبداية حكمهم:

لم يكن لبني العباس موقف يذكر في نصرة الحسين صلوات الله عليه، ومن كان منهم موجوداً أيام ثورة الحسين كعبد الله بن عباس وأخوته فقد خذلوه بأجمعهم، ولا لواحد منهم موقف يذكر لما نفى الأمويون زينب ابنة علي صلوات الله عليها من المدينة بعد رجوع موكب سبايا الحسين إلى المدينة كما تقدم في أواخر الجزء الثاني من "يوم الحسين".

كذلك لم يكن لبني العباس موقف يذكر في المشاركة بثورات الثأر التي خرجت بعد شهادة الحسين عليه السلام للطلب بدمه، فلم يشتركوا مع التوابين ولا مع المختار الثقفي في ثوراتهم، بل وأيضاً لم يكن لهم موقف واضح مع زيد الشهيد الذي ثار بوجه الأمويين بالكوفة إن لم يكن العكس هو الصحيح؛ إذ منعوا أتباعهم من الاشتراك في ثورة زيد كما سيتضح، لكنهم استثمروا ما أنتجته ثورته من متغيرات وما أحدثته من ضعف دب في جسد الحكم الأموي.

وعموماً، انطلقت ثورة العباسيين بالمشرق، وهي - بامتياز - استغلال واضح لدم الحسين الشهيد، وسطوً لائح على مقام الأئمة من ولده (آل محمد الحقيقيين)، وتسلقاً فاضح على أكتافهم، وخطفٌ جامع لشيعتهم ومحبيهم!

رجال الثورة واختيار خراسان:

استغل العباسيون ضعف بني أمية بعد شهادة زيد عليه السلام، واعتبروا الظروف مناسبة لتنشيط دعوتهم في خراسان ودعوة الناس (المحبين لآل محمد بالخصوص) لها.

ومن يقرأ تاريخ ثورة العباسيين يلاحظ أنّ من قادها وخطط لها ثلاث شخصيات، هم: بكير بن ماهان، وأبو سلمة الخلال، وعبد الرحمن بن مسلم (أبو مسلم الخراساني) الذي تمكن في ظرف سنتين من إخضاع بلاد المشرق كلها ثم العراق لسلطة العباسيين؛ وصولاً إلى بيعة أول ملوكهم: أبو العباس السفاح، أما جهود السفاح وولي عهده "المنصور" فتلخصت بالانتقال بعياهم من "الحميمة" إلى الكوفة متخفين وبقوا كذلك إلى حين إسقاط الحكم الأموي بالكوفة بتخطيط أبي سلمة وأبي مسلم.

العباسيون - حقيقة - لم يتعبوا أنفسهم بالثورة على الحكم الأموي، وأول من أثار الفكرة في رؤوسهم هو أبو هاشم (عبد الله بن محمد ابن الحنفية) عند موته سنة ٩٨ هـ؛ حيث أوصى - على طريقة "وهب الأمير ما لا يمك" - إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كما عرفنا سابقاً، ثم بعد موته تصدى ابنه إبراهيم للأمر، وبحسب سيرة هذا الأخير فإنه اكتفى بالتواصل السري المحدود مع قادة الحركة لا أكثر، أما مسألة اعتقاله من قبل مروان الحمار فكانت عندما قاربت الأحداث على الظفر بالمشرق وبلغت حدّاً من الشهرة علم بها الجميع.

أما اختيار "خراسان" بالذات، فلم يكن صدفة، وعين والده (محمد بن علي) كانت عليها منذ البداية، إذ قال في كلمة له يصف فيها حال بلاد المسلمين: (أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصرى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهاً متراماً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة وقلوباً فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فهم كتحازب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر)^(١).

لا شك أنّ البدء بخراسان كخطوة أولى لانطلاق الحركة العباسية اختيار ذكي وينطوي على دهاء؛ لسببين:

الأول: إنّ شهادة الحسين صلوات الله عليه، بمرور الوقت، اكتسبت عنوان "آل محمد" تعاطفاً جماهيرياً كبيراً، ولذا وجدنا أنّ أغلب الثورات ترفع شعار "الرضا من آل محمد" بصرف النظر عن المصداق. وبخصوص المشرق، فإنّ هذا الشعار رفع فترة من الزمن بدون تسمية مصداق له، فاستغل العباسيون هذا الأمر واعتبر إبراهيم بن محمد "الإمام" نفسه مصداقاً له بحجة أنّ جده العباس عم النبي وبالتالي فهو هاشمي ومن آل

١- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري: ١/٣٠٣.

محمد! ولهذا وجدنا أبا مسلم الخراساني يقول لابن معاوية في النص المتقدم: "أفأنت إبراهيم الامام الذي يدعى له بخراسان؟ قال: لا. قال: فلا حاجة لي في نصرتك!"

هذا الأمر الذي مرّه إبراهيم الإمام بخراسان بسهولة لم يكن من السهل عليه تمريره بالكوفة مثلاً؛ لأن أكثر من شخصية كبيرة فيها تعرف المصداق الحقيقي لآل محمد وهم الأئمة المنصوص عليهم من ولد الحسين عليه السلام، ومحمد بن علي (والد إبراهيم) كان يعرف هذا الشيء جيداً وأشار إليه بكلامه المتقدم في وصف الكوفة: "أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب!"

السبب الثاني: إنّ بلاد المشرق عانت من ويلات الأمويين كثيراً؛ حيث اتسمت فترة حكمهم بالتمييز العنصري بشكل مقيت، وهو أمر يدفعهم للنهوض بوجه بني أمية. إضافة إلى وجود قاعدة تضم عدد وفير من الرجال الذين يمكن الاستعانة بهم على تأليف الجيوش التي يتحقق بها الغرض المطلوب، لا سيما وأنهم لم يعانوا ما عاناه أهل العراق من كثرة حروب وصراعات وانقسامات على مدى سنين طويلة.

انطلاق أبي مسلم بالثورة في خراسان:

في الوقت الذي أنهكت الحروب الداخلية حكم بني أمية وأضعفته كثيراً، كان أتباع بني العباس يشهدون ويزدادون، ففي سنة ١٢٧ هـ بدأت وفود خراسان تلتقي بإبراهيم بن محمد بن علي العباسي المعروف بـ "إبراهيم الإمام" في الحميمة، حيث أرسل إليهم أبا سلمة ليدير أمر الدعوة العباسية في خراسان، فالتفوا حوله وصارت شيعة خراسان يدفعون إليه صدقاتهم وأخماسهم^(١).

وفي سنة ١٢٨ هـ، صار أبو مسلم الخراساني يتردد على الخراسانيين، و (لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية^(٢) بها فلما اضطرب الحبل كتب سليمان

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٥٦ - ٣٥٨.

٢- إذ حدثت صراعات بين قبائل مضرو قبائل اليمن الموجودة هناك، كما ذكر المؤرخون.

بن كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم يسأله أن يوجه رجلاً من أهل بيته فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم فبعث أبا مسلم ...^(١).

معروف عن أبي مسلم الخراساني شدة طاعته للعباسيين، وكان إبراهيم قد كتب لأهل خراسان بطاعته، فلم يقبل به سليمان بن كثير ومن معه أول الأمر؛ لحدائثة سنة ثم ارتضوه أخيراً وولّوه أمرهم.

كان من وصايا إبراهيم لأبي مسلم أن قال له: (... فاقتل من شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء! وإن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل، فأیما غلام بلغ خمسة أشبار تهمه فاقتله! ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني)^(٢).

ومهما يكن، فقد اشتد أمر الدعوة إلى بني العباس في خراسان، واتسعت حركة أبي مسلم في مدن متعددة ودخل الناس في دعوته أفواجا، وشيئاً فشيئاً انتقل أمره من الدعوة والتبليغ إلى القتال وحمل السلاح ضد الوالي الأموي نصر بن سيار وعمّاله. وكان إبراهيم الإمام بعث إلى أبي مسلم الخراساني لواء يُدعى "الظل" وراية تدعى "السحاب"، فأظهرهما قبل نهاية شهر رمضان سنة ١٢٩ هـ وهو يتلو: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير"، ولبس هو وسليمان بن كثير ومن معهم السواد، وأوقدوا النيران لأتباعهم وشيعتهم، وتأول الظل والسحاب: "أن السحاب يطبق الأرض وأن الأرض كما لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي إلى آخر الدهر"، وقدم عليه أتباعه من أماكن مختلفة^(٣)!

الحقيقة، إن إقبال الناس في المشرق على دعوة العباسيين وتجاوبهم مع حركة أبي مسلم الخراساني ليس حباً بالعباسيين أنفسهم وإنما لأنهم يرونهم من "آل محمد"، فبنو العباس يلتقون مع الطالبين بجد واحد "عبد المطلب"، والعلويين والعباسيين من بني

١- تاريخ الطبري: ٦/ ٢٢ - ٢٣.

٢- تاريخ الطبري: ٦/ ١٤ - ١٥: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/ ٣٤٨.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/ ٣٥٦ - ٣٥٨.

هاشم، وكثير من الناس - بسبب الجهل وأسباب أخرى - كانوا يوسعون دائرة "آل محمد" لتشمل جميع بني هاشم، وبعضهم كان يقصر "الآل" على بني فاطمة فيعم جميع ولد الحسن والحسين عليهما السلام، بينما القلة هم من يضعون الأمر في نصابه الصحيح أي يعرفون أن "آل محمد" الذين تجب طاعتهم وولايتهم هم الأئمة المعصومون المنصوص عليهم، وهم بعد الحسين في ولد الحسين حصراً.

وعموماً، بعد سنة ونصف من ظهور حركة أبي مسلم بخراسان، وجّه نصر بن سيار جيشاً لقتال أبي مسلم الذي كان هو وأصحابه يدعون إلى الرضا من آل رسول الله، وقد وصف أحد قادة نصر بن سيار حالهم لأميته فقال: "إنهم والله يصلون الصلاة لمواقبتهم بأذان وإقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيراً ويدعون إلى ولاية رسول الله وما أحسب أمرهم إلا سيعلو"^(١)!

في تلك الأثناء، صادف أن حدثت فتنة كبيرة بخراسان بين نصر بن سيار وبين الحرث بن سريح الذي اجتمع حوله عدد كبير من الناس ويزعم أنه صاحب الرايات السود المشرقية، وأضيف لهم شخص ثالث يسمى "الكرماني"، وكل منهم يريد الظفر بمرو، وحصلت بين الأطراف معارك أنهكتهم. وكان أبو مسلم قريباً من الأحداث وبإمكانه أن يستغل الفرصة لحسم الأمور لصالح العباسيين والسيطرة على "مرو"، لكنه لم يفعل؛ الأمر الذي أغاض إبراهيم الإمام كثيراً لما بلغه رسول أبي مسلم، فكتب إليه يلعنه ويسبه ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله!

تسرّب "كتاب إبراهيم لأبي مسلم" وبلغ مروان بن محمد "مروان الحمار"، فكتب إلى عامله بالبلقاء أن يسير إلى "الحميمة" ويعتقل إبراهيم ويرسله إليه، فسار إليه وأوثقه وبعث به إلى مروان فقام بحبسه، ثم قتله لاحقاً.

من جهته، طلب نصر بن سيار من مروان الحمار الممدد؛ لإعادة السيطرة على الأوضاع فاعتذر له مروان الذي كان يعاني هو الآخر من الضعف، لكن نصر لم يستسلم؛ إذ كان قد حكم خراسان فترة طويلة ولديه علاقات واسعة مع رؤوس قبائل العرب المقيمين هناك،

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٦٠ - ٣٦١.

فتواصل معهم وتعاقدت كلمتهم على قتال أبي مسلم، فبلغه خبرهم فاستعان بابن الكرماني "علي" الذي كان موتوراً بأبيه الذي قتله نصر بمرور في الأحداث التي حصلت فيها، وتجهز الطرفان للقتال والاستعداد للحرب لكن كفة أبي مسلم رجحت بعد انضمام ابن الكرماني وجماعته إليه وخصوصاً بعد انضمام قبائل اليمن وعموم الشيعة لجهته.

وبالنتيجة تمكن أبو مسلم من دخول "مرو"، فمضى إلى قصر الإمارة فيها وبدأ بأخذ بيعة الجند والناس فيها، وكانت بيعته: "أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعناق والمشي إلى بيت الله الحرام وعلى أن لا تسألوا رزقا ولا طعاما حتى يبتدئكم به ولا تكلم". وألقى القبض على أغلب رجال نصر بن سيار وأودعهم السجن ثم أمر بقتلهم، وأما نصر فقد هرب من مرو إلى سرخس ثم منها إلى نيسابور^(١).

وأيضاً: سعى أبو مسلم إلى قتل وتصفية كل المنافسين ومن لديهم أتباع، فقتل ابن الكرماني وشيبان الخارجي وآخرين، وبهذا صفت ساحة خراسان لأبي مسلم والعباسيين في سنة ١٣٠ هـ.

(وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم من عند إبراهيم الإمام ومعه لواءه الذي عقد له إبراهيم فوجهه أبو مسلم في مقدمته وضم إليه الجيوش وجعل إليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له)^(٢). فسارت جيوش أبي مسلم بقيادة قحطبة إلى نيسابور وقتلت ابن نصر بن سيار وآخرين، وهرب نصر منها إلى "قومس" بعد أن تفرق عنه أصحابه، ثم فرمها إلى "ساوة" قرب الري ومرض بها ومات سنة ١٣١ هـ. واستمر قحطبة بالتقدم حتى دخل "الري" وكتب لأبي مسلم بذلك، ثم منها إلى همدان ونهاوند وحلوان وغيرها من المدن التي أخذت تنضم إلى العباسيين تباعاً.

وبالنسبة إلى العراق، فقد كان الوالي على الكوفة في وقت مروان بن محمد هو يزيد ابن عمر بن هبيرة، فتحرك قحطبة بن شبيب نحو العراق بجيش كبير لا يحصى، وأرسل

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٧٨ - ٣٨٢.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٨٥.

قسماً من جيشه إلى الأنبار، وقسم قصد الكوفة، فعبرت جيوش خراسان الفرات في محرم سنة ١٣٢ هـ بعد أن عسكر قحطبة قرب الفلوجة. وفي هذه الأثناء مات قحطبة وكان أوصى إلى ابنه الحسن بقيادة الجيش، وقال قبل موته: "إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد أبوسلمة الخلال فسلّموا هذا الأمر إليه"^(١)!

سارالحسن بن قحطبة بجيشه نحو الكوفة، وقد ثار فيها محمد بن خالد بن عبد الله القسري بعد أن هرب ابن هبيرة إلى واسط، وكتب إلى الحسن بن قحطبة يعلمه بذلك، فدخل ابن قحطبة الكوفة بجيشه، واتجه مع أصحابه إلى أبي سلمة فتسلّم منهم زمام الأمور وعسكر بالنخيلة، فقام بإرسال ابن قحطبة إلى واسط والمدائن لقتال ابن هبيرة، وأرسل المسيب بن زهير وخالد بن برمك وبسام بن إبراهيم إلى الأهواز وأماكن أخرى، واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة. وباع الناس أبا سلمة الخلال "حفص بن سليمان" وكان يقال له "وزير آل محمد" إلى أن ظهر أبو العباس السفاح^(٢).

بيعة أبي العباس السفاح:

- المكان: العراق / الكوفة
- الزمان: ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ

في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ بويح لأبي العباس السفاح بالكوفة، بعد أن أوصى إليه أخوه إبراهيم الإمام؛ حيث ذكرنا سابقاً أنّ مروان الحمار أرسل جماعة إلى "الحميمة" ليأتوه بإبراهيم، فنعى إبراهيم نفسه لأهل بيته وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس السفاح، وأوصى لأخيه بالسمع والطاعة من بعده. فسار أبو العباس بأهل بيته وإخوته - وكان معه أخوه الأكبر أبو جعفر المنصور - وأعمامه بنو علي بن عبد الله بن عباس حتى قدموا الكوفة في صفر سنة ١٣٢ هـ.

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٠٤/٥.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٠٤/٥ - ٤٠٦.

استقبلهم أبو سلمة الخلال^(١) بحمام أعين (على أطراف الكوفة)، وأنزلهم دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكنتم أمرهم أربعين يوماً عن الجميع، ولم يقيم بمنح أصحاب الجمال التي حملت رحلهم الأجرة، في تصرف يبدو غريباً و أثار استغراب كثير من المؤرخين!

ما قام به أبو سلمة مع العباسيين الوافدين عليه، فعل أقل ما يقال عنه أن فيه اعتراف بعدم ولايتهم عليه، كما أنّ سير الأحداث اللاحقة كشف أنّ إقدامه على كتمان أمرهم لم يكن لأجل الحفاظ عليهم – وإن كان يُوهم ذلك ابتداءً – لكنه كان عزلاً وبمثابة الحبس، ولذا اعتبره "السفاح" لاحقاً خيانة صدرت منه، وصارت سبباً في مقتل أبي سلمة بأمر من السفاح!

بعض المؤرخين^(٢): ذكر أنّ سبب "الكتم" هو أنّ أبا سلمة علم بمقتل إبراهيم الإمام ووصيته لأخيه أبي العباس، وكان يريد تحويل أمر الخلافة من بني العباس إلى آل أبي طالب، وكان إذا سُئل عن الإمام يجيب: "لا تعجلوا"، فلم يزل كذلك حتى صادف إبراهيم الحميري "أبو حميد" خادماً لإبراهيم الإمام يقال له "سابق" بالكوفة فعرفه وسأله عن إبراهيم وأخوته فنذكر له موت إبراهيم ووصيته بأخيه السفاح، وأعلمه أنه الآن بالكوفة مع عامة أهل بيته، ووعده أنه سيأخذ له الإذن من العباسيين إن وافقوا على لقائه. وفعلاً، أخذه لهم في اليوم التالي والتقى بهم وسألهم عن الخليفة منهم فقال له داود بن علي: "هذا إمامكم وخليفتمكم" وأشار إلى أبي العباس، فسلم عليه بالخلافة وقبّل يديه وعزّاه بأخيه إبراهيم.

وهكذا اطلع بعض القادة في الكوفة على الأمر والتقوا أبا العباس وبايعوه، وعابوا على أبي سلمة إخفاء الأمر عنهم، وسيأتي مزيد من الإيضاح ومعرفة علة تصرف أبي سلمة مع العباسيين بهذا النحو. وعموماً، في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ دخل أبو العباس ومن معه من أهل بيته وصحبه دار الامارة بالكوفة وبويع له، ومما جاء في خطبته بالناس:

١- هو حفص بن سليمان الهمداني الكوفي، استوزره أبو العباس السفاح في بداية حكمه، وكان يطلق عليه: "وزير آل محمد"، ثم قتله لاحقاً لما تبين له خيانتته له (بحسبه طبعاً).

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٠٩.

(... وزعمت الشامية الضلال أنّ غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ودحض الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيصة وتمم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة وأهل التعاطف والبر والمواساة في دنياهم وإخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد فلما قبضه الله إليه وقام بالأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم فحرووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خصاصاً منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانبذوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما ملأ الله لهم حيناً حتى أسفوه فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولي نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا. وأني لأرجو أن لا يأتاكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير.

وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على مراقبي المنبر فقال: الحمد لله شكراً الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد إلا وأنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده إلى أبي العباس السفاح. واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله على ما أبلانا وأولانا^(١).

أقول: ما فخر به السفاح في خطبته والميراث الذي زعمه عمه داود، أيدي العباسيين كلهم منه صفراء خالية، فهداية الناس وإنقاذهم من الضلال ... إلخ الفضل فيه يعود

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤١٣/٥ - ٤١٥.

محمد بن عبد الله أمر كرهه، فذكر ذلك لعبد الله بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين ما عليك من محمد شيء تكرهه. وقال له الحسن بن الحسن أخو عبد الله بن الحسن: يا أمير المؤمنين أتتكلم بلسان الثقة والقراية أم على جهة الرهبة للملك والهيبة للخلافة؟ فقال: بل بلسان القراية. فقال: رأيت يا أمير المؤمنين إن كان الله قضى لمحمد أن يلي هذا الأمر ثم أجلبت وأهل السماوات والأرض معك أكنت دافعاً عنه؟ قال: لا! قال: فإن كان لم يقض ذلك لمحمد ثم أجلب محمد وأهل السماوات والأرض معه أضررك محمد؟ قال: لا والله! ولا القول إلا ما قلت! قال: فلم تنغص هذا الشيخ نعمتك عليه ومعروفك عنده؟ قال: لا تسمعني ذاكراً له بعد اليوم. وبلغ أبا العباس أن محمد بن عبد الله قد تحرك بالمدينة، فكتب إلى عبد الله بن الحسن في ذلك وكتب في الكتاب:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فكتب إليه عبد الله بن الحسن:

وكيف يريد ذاك وأنت منه بمنزلة النياط من الفؤاد
وكيف يريد ذاك وأنت منه وأنت لهاشم رأس وهاد

وظفئ أمر محمد في خلافة أبي العباس، فلم يظهر منه شيء. وكان متى بلغ أبا العباس عنه شيء ذكر ذلك لعبد الله فيقول: يا أمير المؤمنين! إنا نحملها بكل قذاة يخل ناظرنا منها، فيقول: بك أتق، وعلى الله أتوكل^(١).

وبعد أن تمت بيعته، خرج "السفاح" إلى معسكر أبي سلمة الخلال بحمام أعين على أطراف الكوفة، وكان قد أضمر تجاه أبي سلمة شراً لم يبح به إليه، واستعمل عمه داود بن علي على الكوفة.

سقوط دمشق ومقتل آخر حكام بني أمية:

سَيَّرَ أبو العباس السفاح الجيوش بقيادة عمّه "عبد الله بن علي" لملاقاة جيش مروان بن محمد في الزاب، وحدثت بين الطرفين معارك، ثم بان الضعف في جهة مروان وكان قد خصص أموالاً للجنود إذا قاتلوا وغلبوا فمال الجنود على المال وانتهبوه، وانتهت المعركة بهزيمة جيش مروان بن محمد (١).

أما مروان، فقد فرّ إلى الموصل ثم منها إلى حرّان، فتبعه جيش عبد الله بن علي فهرب منها بعياله، وخلف عليها ابن أخيه أبان بن يزيد، ولما دخلها الجيش العباسي بايعهم وآمنوه. وصل مروان إلى حمص وكاد أهلها أن يقتلوه فهرب منها حتى وصل دمشق، وكان بها الوليد بن معاوية بن مروان فتركه وخرج إلى فلسطين. وكان السفاح كتب إلى عبد الله بن علي بالسير في إثر مروان وقتله، فسار بالجيش وكلما مرّ مدينة بايعه أهلها، فسقطت مدن الشام بيد العباسيين تباعاً، حتى وصل دمشق:

(ثم تقدم عبد الله فنزل على الباب الشرقي ونزل صالح على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ونزل بسام بن إبراهيم على باب الصغير ونزل حميد بن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصره ودخلوها عنوة يوم الأربعاء لخمس مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة) (٢).

ثم دخلوا دمشق وقتلوا الوالي الأموي "الوليد بن معاوية" فيمن قتل. ثم ساروا في إثر مروان إلى فلسطين فهرب منها إلى مصر، وأعلنت الأردن وفلسطين بيعتها لبني العباس، فلحقه الجيش العباسي إلى مصر وقتلوه بعد أن عثروا عليه في كنيسة في "بوصير" اختبأ فيها هو ووعيلته، وكان قتله في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٢ هـ (٣).

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤١٧ - ٤٢٠.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٢٥.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٢٦.

(ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التي فيها حرم مروان وكان قد وكل مهن خادماً وأمره أن يقتلهم بعده فأخذه عامر وأخذ نساء مروان وبناته فسيرهن إلى صالح ابن علي بن عبد الله بن عباس فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت: يا عم أمير المؤمنين! حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوك ما وسعكم من جورنا. قال: والله لا أستبقي منكم واحدا! ألم يقتل أبوك ابن أخي إبراهيم الإمام؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ألم يقتل ابن زياد الدعي مسلم بن عقيل ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي وأهل بيته ألم يخرج إليه بحرم رسول الله سبايا فوقضهن موقف السبي؟ ألم يحمل راس الحسين وقد قرع دماغه فما الذي يحملني على الإبقاء عليكين؟! قالت: فليسعنا عفوك فقال أما هذا فنعم وان أحببت زوجتك ابني الفضل فقالت وأي عز خير من هذا بل تلحقنا بحران فحملهن إليهما فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء^(١).

فتك العباسيين بالأمويين:

بحسب بعض المؤرخين: أنّ أحد الشعراء اسمه شبيل مولى بني هاشم دخل على عبد الله بن علي العباسي بدمشق وكان عنده تسعين رجلاً أموياً وأمامهم موائد الطعام، فأندش:

أصبح الملك ثابت الأساس	بالبهاليل من بني العباسي
طلبوا وتر هاشم فشفوه	بعد ميل من الزمان وباسي

إلى أن يقول:

ولقد غاظني وغازي سوائي	قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله	بدار الهوان والإنعاسي
واذكروا مصرع الحسين وزيدا	وقتيلا بجانب المهراسي

١- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٢٧ - ٤٢٨.

فلما سمعه عبد الله أمرهم فضربوا بالعمد حتى قتلوا بأجمعهم، واستمر يأكل وهو يسمع أنين بعضهم. ثم أمر بنبش قبور بني أمية بدمشق فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان ولم يجدوا غير خيط، وقبر يزيد بن معاوية فوجدوا كومة رماد، وأمر بنبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته، وكذلك هشام بن عبد الملك فوجدوا جسده صحيحاً فأمر بضربه بالسياط وصلبه وحرقه ثم ذراه في الريح^(١).

(وتتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم، ولم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس فقتلهم بنهر أبي فطرس..... وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضاً جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمرهم فجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق فأكلهم الكلاب. فلما رأى بنو أمية ذلك اشتد خوفهم وتشتت شملهم واختفى من قدر على الاختفاء)^(٢).

السفاح يقتل أهم رجاله:

بمجرد أن بويع له بالخلافة سنة ١٣٢ هـ، بدأ "السفاح" التفكير بالتخلص من أهم المنافسين له في الكوفة وخراسان وهما: أبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني.

أما أبو سلمة الخلال، فالسبب في التخلص منه أنّ السفاح علم بميله لآل أبي طالب لما كتّم أمرهم عن شيعتهم أربعين يوماً عند وصولهم إلى الكوفة، وهذا بنظره غشاً وخيانة له وللعباسيين، فصار عنده متهماً حتى إنّ السفاح اعتزل عنه إلى "الهاشمية" ثم منها إلى الحيرة، وذكر ذلك لأبي مسلم الخراساني فأشار عليه بقتله. لكن داود بن علي (عم السفاح) أشار عليه بعدم الإقدام على قتله بنفسه؛ لئلا تكون حجة بيد أبي مسلم وأهل خراسان عليه، وإنما يكتب لأبي مسلم أن يبعث من قبله رجلاً لقتل أبي سلمة. وفعلاً، كتب إليه وأرسل أبو مسلم مرار بن أنس الضبي فقدم الكوفة وأعلم السفاح بالأمر ونقذ

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٣٠.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٣٠ - ٤٣١.

المهمة وقتل أبا سلمة، وزعموا أنّ الخوارج هم الذين قتلوه، وصلى عليه يحيى بن محمد بن علي العباسي (أخو السفاح) ودفنوه بالهاشمية قرب الكوفة (١).

بعد قتل أبي سلمة، أرسل السفاح أخاه أبا جعفر المنصور إلى أبي مسلم الخراساني، فلما وصل خراسان سايره سليمان بن كثير وعبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي (زين العابدين عليه السلام) المعروف بـ "عبيد الله الأعرج"، فكان مما قال سليمان لعبيد الله: "كنا نرجو أن يتم أمركم فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون"، فظن عبيد الله أنّ الأمر دسيئة من أبي مسلم فأخبر أبا مسلم بقول سليمان، فاعتبره أبو مسلم غشاً وخيانة لإمامه السفاح فأحضر سليمان بن كثير وأمر بضرب عنقه.

ولما رجع أبو جعفر إلى السفاح نصحه بضرورة التخلّص من أبي مسلم الخراساني؛ لأنه - بحسبه - ما يصنع إلا ما يريد هو، فطلب السفاح من أخيه أن يكتم الأمر (٢).

موت السفاح وخلافة المنصور:

في سنة ١٣٦ هـ، استأذن أبو مسلم الخراساني أميره السفاح في الحج، فأذن له وأقبل نحو العراق بأبهة وجند وأموال كثيرة، فاستقبله السفاح وأكرمه، لكن أخاه أبا جعفر "المنصور" لم يكن على حال مع أبي مسلم كما مر بنا، وذكّر أخاه السفاح بضرورة التخلص من أبي مسلم؛ لأنه لديه "غدره" كما يزعم!

ثم إنَّ أبا مسلم كان يرغب بأن يولّيه السفاح الحج هذا العام (١٣٦ هـ)، لكن أبا جعفر قرراً أن يذهب للحج في نفس السنة فولاه أخوه السفاح على الحج، فحقد عليه أبو مسلم وكان يقول: "أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا" (٣)!

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٣٦.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٣٧.

٣- تاريخ الطبري: ٢ / ١٢٨.

وعموماً، ذهباً للحج معاً، وبعد وصولهما مكة مات السفاح في ذي الحجة من نفس العام بالأنبار إثر إصابته بالجذري، بعمر ٣٦ عاماً؛ وقيل أكثر من ذلك بقليل، وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر تقريباً.

هلك "السفاح" وولي عهده "أبو جعفر" في مكة، فكتب إليه ابن عمه عيسى بن موسى بن داود العباسي يعلمه بالأمر، وأنه قام بأخذ البيعة له من الناس، فقال لما بلغه الخبر: "صفت لنا إن شاء الله!" ثم أرسل على أبي مسلم فدخل عليه فرآه يبكي وجزع جزعاً شديداً، فسأله عن سبب جزعه وقد أتته الخلافة! فقال: "أتخوف شرعي عبد الله بن علي وشيعة علي!" فأجاب أبو مسلم: "لا تخفه فأنا أكفيه إن شاء الله انما عامة جنده أهل خراسان وهم لا يعصونني"، وسار أبو جعفر إلى الكوفة، وكان أبو مسلم قد سبقه في الطريق، وهو أمر أزعجه جداً، بطبيعة الحال.

من جانب آخر: أرسل عيسى بن موسى العباسي إلى عمه عبد الله بن علي بالشام يخبره بموت السفاح وخلافة المنصور، ويأمره بأخذ البيعة له من الناس، لكنه قام بجمع الناس وأخبرهم بموت السفاح ودعاهم إلى بيعة نفسه، وبدأ بضم بعض مدن الشام إلى ولايته وبيعته، فبلغ خبره المنصور وكان عنده أبو مسلم الخراساني فعرض عليه المسير إليه أو الإذن له بالرجوع إلى خراسان ومدّه بما يحتاجه من الجند، فأمره بالمسير إلى عبد الله بن علي الذي كان أخوه عبد الصمد بن علي يسنده في دعوته، وقد خندقا بالجيش في "نصيبين" من أرض الشام، فقدم أبو مسلم بجيش كبير، والتقى الجمعان وحصلت بينهما معارك استمرت خمسة أشهر متوالية أزهقت فيها نفوس خلق كثير، وانتهت بهزيمة جيش عبد الله بن علي، وفراره هو مع أخيه عبد الصمد.

فأما عبد الصمد بن علي فقد رجع إلى الكوفة وطلب العفو من ابن أخيه المنصور فأمنه، وأما عبد الله فقد ذهب لأخيه سليمان بن علي (والي البصرة) فأقام عنده زماناً متوارياً عن الأنظار^(١).

١- انظر: تاريخ الطبري: ١٢١/٦ - ١٢٧: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥/٤٦١ - ٤٦٨.

المنصور يفتك بأبي مسلم وأعمامه العباسيين:

اشتد الخلاف بين المنصور وأبي مسلم الخراساني بعد نهاية المعركة مع عبد الله بن علي، والسبب في ذلك: أنّ المنصور أرسل من طرفه رجالاً يحصي الأموال التي غنمها جيش أبي مسلم، وهذا الفعل أغاض أبا مسلم واعتبره إهانة له وهمّ بقتل رسول المنصور، وقال: "أنا أمين على الدماء خائن في الأموال!" وشتم المنصور بحضور بعض الأفراد، ولما عاد بعضهم أخبروا المنصور بما فعله أبو مسلم، فأراد إبعاده عن خراسان التي قويت فيها شوكته، فكتب إليه المنصور: "إني قد وليتك مصر والشام فمحي خيلك من خراسان!"

أحس أبو مسلم بالمكيدة وغضب جداً لما بلغه كتاب المنصور وأجمع على مخالفته، وقرر الرجوع إلى خراسان بمن معه، فسار المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم أن يأتيه، وبعد بلوغ كتابه إلى أبي مسلم نهاه بعض المقربين عن الذهاب إليه ونصحوه بالإقامة بالري؛ إذ كان المنصور قد ولي أبوداود (أحد المقربين من أبي مسلم) على خراسان. وبعد أخذ ورد وعود وفاق أبو مسلم على الذهاب إلى المنصور مع بعض رجاله، وكان كل طرف متخوفاً من كيد الآخر، لكن المنصور دبّر له مكيدة وكلف أربعة من حرسه الخاص بقتله إن صفق لهم بيده كعلامة بينه وبينهم.

ولما وصل أبو مسلم أظهر له المنصور الاحترام وأمر رجاله وحرسه باستقباله، ثم استدرجه وحده في اليوم التالي بحضور الحرس الذين أعدّهم لقتله، وعاتبه على أفعاله التي كان منها: اكتفاؤه بتعزيتته بأخيه السفاح وعدم تهنئته بالخلافة، وتقدمه عليه في المسير عند الرجوع من الحج، وغير ذلك حتى وصل إلى ما صدر منه أخيراً مع رسوله بعد انتهاء القتال مع عبد الله بن علي، ثم ارتفع صوته وصفق بيده لحراسه فخرجوا ومزقوه بسيوفهم، وهلك في أواخر شعبان سنة ١٣٧ هـ^(١).

عاد المنصور لينتقم من أعمامه أيضاً الذين نافسوه على الملك، فقام بتصفيتهم، فأبتدأ بعزل عمّه سليمان عن البصرة سنة ١٣٩ هـ: (ولما عزل سليمان عن البصرة اختفى أخوه عبد الله بن علي ومن معه من أصحابه خوفاً من المنصور فبلغ ذلك المنصور فأرسل

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٤٦٨ - ٤٧٦.

إلى سليمان وعيسى ابني علي بن عبد الله بن عباس في إشخاص عبد الله وأعطاهما الأمان لعبد الله وعزم عليهما أن يفعلا.

فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وقواده ومواليه حتى قدموا على المنصور في ذي الحجة فلما قدموا عليه أذن لسليمان وعيسى فدخلوا عليه وأعلماه حضور عبد الله وسألاه الإذن له فأجابهما إلى ذلك وشغلتهما بالحديث وكان قد هياً لعبد الله مكاناً في قصره فأمر به أن يصرف إليه بعد دخول سليمان وعيسى ففعل به ذلك ثم نهض المنصور وقال لسليمان وعيسى خذا عبد الله معكما فلما خرجا لم يجدا عبد الله فعلما أنه قد حُبس فرجعا إلى المنصور فمنا عنه وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحابه وحبسوا.

وقد كان خفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه معهم وقال: إن أطعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر فوالله لا يحول بينه وبيننا حائل حتى نأتي عليه ولا يعرض لنا أحد الا قتلناه و ننجو بأنفسنا فعصوه. فلما أخذت سيوفهم وحُبسوا جعل خفاف يضرب في لحية نفسه ويتفل في وجوه أصحابه؛ ثم أمر المنصور بقتل بعضهم بحضرته وبعث الباقيين إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها^(١).

مهم أن نعرف أيضاً: أنّ المنصور - في سنة ١٤٤ هـ - قام بعزل واليه على المدينة محمد بن عبد الله القسري وولّى بدلاً عنه رياح بن عثمان، وهذا الخبيث - إضافة إلى عيسى بن موسى العباسي - كان لهما الدور الأبرز في الإجماع الذي سيمارسه "أبو جعفر المنصور" بحق العلويين كما سنرى في البحوث القادمة.

تنبيهات هامة:

١ - استغلال العباسيين ثورة زيد الشهيد لصالحهم:

بنو العباس - حقيقة - فعلوا ما فعله ابن الزبير تماماً، فابن الزبير - كما لاحظنا سابقاً - استغل مقتل الحسين صلوات الله عليه للوصول إلى مبتغاه (الحكم والدنيا)، فهو قبل هلاك يزيد كان يدعو الناس للطلب بدم الحسين ليجمع الناس حوله، وبمجرد أن اقترب من نيل مبتغاه - بعد هلاك يزيد - صار يدعو الناس لنفسه، بل أوى قتلة الحسين وقتل من ثار للطلب بدم الحسين، وهذا هو حال العباسيين بالضبط، فهم استغلوا شهادة زيد بن علي عليه السلام وما أحدثته ثورته في العراق وباقي بلاد المسلمين من ردود أفعال أسهمت بإضعاف الحكم الأموي و أفقدته تماسكه فبعثوا دعواتهم للدعوة لهم في خراسان.

و أيضاً: اتخذوا شعار "الرضا من آل محمد" ذريعة ووسيلة لكسب شيعة آل محمد ومحبيهم إلى جانبهم، مع أنهم لم يكونوا صادقين في ذلك وكانوا طلاب (دنيا وحكم) حالهم حال الأمويين والزييريين، ولذا لم يمد الإمام الصادق عليه السلام لهم يده ولم يشترك معهم من قريب أو بعيد؛ لمعرفة التامة بنو اياهم وقصدهم ومآل أمورهم.

وحتى نعرف مدى استغلال العباسيين لثورة زيد الشهيد لصالح مشروعهم، هذا نص لكبير مخططي الحركة العباسية "بكير بن ماهان"؛ إذ سأله محمد بن علي العباسي فقال: (كم يبلغ أصحابكم بالكوفة؟ قلت: لا يكونون ثلاثين رجلاً. قال: سيكونون ويكثرون) ^(١).

ملاحظة إجابة "بكير" من جهة، ومعرفة أن وقت السؤال كان في سنة ١٢٥ هـ (السنة التي مات فيها محمد العباسي) من جهة أخرى، ينبئان أن دعوة بني العباس، وبعد مرور ما يقرب من الثلاثين عاماً على انطلاقتها، لم تجمع أكثر من ثلاثين رجلاً إلى صفها!

١- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري: ١٩٦.

لكن بسبب ثورة زيد عليه السلام وما أحدثته من نقمة ونفرة شديدة من حكم الأمويين، إضافة إلى نشوء موجة تعاطف كبيرة مع "آل محمد" وطلب الرضا منهم، وهو أمر بدأ بالتنامي تدريجياً بعد مقتل الإمام الحسين صلوات الله عليه وبلغ الذروة بعد مقتل زيد الشهيد؛ إذ انكشفت صفحة الأمويين السوداء تماماً لجميع المسلمين، هذه الأسباب جميعها ساهمت بشكل كبير وأساسي في توسعة مشروع العباسيين وزيادة إقبال الناس على حركتهم؛ وصولاً إلى سقوط حكم بني أمية في نهاية المطاف.

يقول السيد أحمد الحسن:

(ثورات الثأر التي حدثت بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه بدأت تقضم حكم الأمويين شيئاً فشيئاً إلى أن وصل الأمر إلى ثورة زيد، وثورة العباسيين في الحقيقة ما هي إلا امتداد لثورة زيد إذ استغل العباسيون الوضع وردود الأفعال التي أعقبت الثورة واستثمروا نقمة المسلمين وخصوصاً شيعة آل محمد فثاروا على بني أمية وأسقطوا حكمهم، فالفضل في الحقيقة يعود إلى الثورات التي قادها شيعة آل محمد عليهم السلام التي طالبت بدم الحسين وأهل بيته وصحبه صلوات الله عليهم) انتهى^(١).

وقد أشار بعض المؤرخين لهذه الحقيقة:

قال اليعقوبي: (ولما قتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من ياتهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية، وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة ورثت المناجات وتدورست كتب الملاحم ...) (٢).

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٢٦.

٢- العباسيون يعرفون بأن مآل الحكم لهم:

يقول السيد أحمد الحسن: (إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر حكم بني أمية مع أنه محدود بيضع عشرات من السنين "٨٣ عاماً تحديداً"، فما بالك بحكم بني العباس الذي استمر مئات السنين! فلا يعقل أن الرسول أو الإمام علي أو الأئمة صلوات الله عليهم لم يذكروا حكم العباسيين) انتهى^(١).

معرفة العباسيين بأن مآل أمر الحكم بعد الأمويين سيكون لهم يعود لأمرين:

الأول: معرفتهم بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وآل الرسول صلوات الله عليهم، وهذه بعض الاخبارات في ذلك:

• (عن أبي ميسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى السماء من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا فقال: إنه يملك هذه الأمة بعددها من صلبك)^(٢).

• (عن أبان بن عثمان، قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: بيننا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في البقيع ثم التفت إلى العباس، فقال: يا عم النبي، ألا أخبرك بما أخبرني به جبرئيل؟ فقال: بلى، يا رسول الله. قال: قال لي جبرئيل: ويل لذريتك من ولد العباس. فقال: يا رسول الله، أفلا أجتنب النساء؟ فقال له: قد فرغ الله مما هو كائن)^(٣).

• (عن محمد ابن معاوية بإسناده رفعه قال هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه قباء أسود ومنطقة فيها خنجر قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا جبرئيل ما هذا الزي؟ قال: زي ولد عمك العباس يا محمد ويل لولدك من

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- دلائل النبوة، البيهقي: ٦/ ٥١٨.

٣- الغيبة، النعماني: ٢٥٥ - ٢٥٦.

ولد العباس فخرج النبي صلى الله عليه وآله إلى العباس فقال: يا عم ويل لولدي من ولدك فقال: يا رسول الله أفأجيب نفسي؟ قال جف القلم بما فيه (١).

وكذلك الأمر كان واضحاً لابن عباس نتيجة إخبار الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما له:

• (عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال: قدم عبد الله بن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته ثم قال: يا أبا العباس هل تكون لكم دولة؟ قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتخبرني، قال: نعم، قال: فمن أنصاركم؟ قال: أهل خراسان ولبني أمية من بني هاشم بطحات) (٢).

وأيضاً: كان يعرفه ابنه علي بن عبد الله بن عباس، حيث قال للوليد بن عبد الملك لما ضربه: (إنّ هذا الأمر سيكون في ولدي ... والله ليكونن فيهم حتى تملكهم عبيدهم) (٣).

وبالنسبة للإمام الصادق صلوات الله عليه فقد أخبر به بالتفصيل، ولهذا لما دعاه عبد الله بن الحسن المثنى لبيعة ابنه "محمد" بوصفه المهدي، وكان أبو العباس السفاح وأخوه أبو جعفر المنصور من ضمن الحضور، قال له:

(إنّ هذا الأمر والله ليس إليك، ولا إلى ابنك، وإنما هو لهذا - يعني السفاح - ثم لهذا - يعني المنصور -، ثم لولده من بعده، لا يزال فيهم حتى يؤمر الصبيان، ويشاوروا النساء.

فقال عبد الله: والله يا جعفر، ما أطلعك الله على غيبه، وما قلت هذا إلا حسداً لابني. فقال: لا والله ما حسدت ابنك، وإن هذا - يعني أبا جعفر - يقتله (أي محمد) على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه (أي إبراهيم) بعده بالطفوف، وقوائم فرسه في الماء.

١- علل الشرائع، الصدوق: ٢ / ٣٤٨.

٢- دلائل النبوة، البيهقي: ٦ / ٥١٣.

٣- الوافي بالوفيات، الصفدي: ٢١ / ١٣٢.

ثم قام مغضباً بجررداءه، فتبعه أبو جعفر فقال: أتدري ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال: إي والله أدريه، وإنه لكائن.

قال: فحدثني من سمع أبا جعفر يقول: فانصرفت لوقتي فرتبت عمالي، وميزت أموري تمييز مالك لها^(١).

وكان الإمام الصادق عليه السلام لما نهض من اجتماعهم: (توكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري. فقال (لعبد العزيز): رأيت صاحب الرداء الأصفر- يعني أبا جعفر-؟ قال: نعم، قال: فإننا والله نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة. قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيتَه قتلها) (٢).

وبالنتيجة تحقق كل ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام.

وأيضاً: إخبارات الرسول والأئمة صلوات الله عليهم بملك بني العباس وُلدت علماً لدى أهل بيتهم وإخوانهم وأبناء عمومتهم، وإلا فمن أين عرف أبو هاشم (عبد الله بن محمد ابن الحنيفة) بهذا الأمر؟ أبو هاشم هذا، كانت تربطه بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس (والد السفاح والمنصور) علاقة وثيقة كما هو معروف تاريخياً، ولما استدعاه الحاكم الأموي بالشام وسقاه سماً وأمره بالانصراف أحس أبو هاشم بالأمر فجعل طريق عودته على "الحميمة" بالأردن والتقى بمحمد العباسي (والد السفاح) وقال له: "يا ابن عمّ إنّ عندي علماً أنبذه إليك فلا تطلعن عليه أحداً، إنّ هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم. قال: قد علمتُ فلا يسمعه منكم أحد" (٣).

بل حتى بعض الأمويين كان قد سمع بهذه الحقيقة وعرفها، وعرف أيضاً أنّ الرايات السود المشرقية الخراسانية ستطيح بحكم بني أمية، ولذلك لما هاجت المشرق (سجستان

١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٧٢ - ١٧٣.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ١٤٢.

٣- تاريخ الطبري: ٦/ ٧٨: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٠٨.

تحديداً) في زمن عبد الملك بن مروان، قال له خالد بن يزيد بن معاوية: "أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان"^(١).

والخلاصة: مع وضوح المشهد للإمام المعصوم (الصادق عليه السلام) بتعليم من الله وأوليائه السابقين، فمن الطبيعي - والحال هذه - أن لا يُقدم على تأييد العباسيين أو يشاركهم في دنيا أعطوها كما أُعطيت لبني أمية قبلهم!

٣- عدم اشتراك الإمام الصادق عليه السلام مع العباسيين:

لم يؤيد الإمام الصادق عليه السلام حركة العباسيين بشيء نهائياً؛ لعلمه بنواياهم ومآل أمرهم وأنّ حالهم - بالنتيجة - لا يختلف بشيء عن الأمويين ظلماً وفساداً وانحرافاً عن الحق. لكنه في نفس الوقت لم يحاربهم كما لم يحارب الأمويين؛ ليس لعدم وضوح انحرافهم وفسادهم وظلمهم عنده بقدر ما هو امتثال منه لأمر الله سبحانه كما أشرنا له سابقاً وسيوضح لاحقاً بالتفصيل.

فمثلاً: رفض الإمام الصادق عليه السلام إجابة كتاب بعث به أبو سلمة الخلال إليه بعد مقتل إبراهيم الإمام يدعوه إلى تولي الأمر، والكتاب كان موجهاً إليه وإلى عبد الله بن الحسن المثنى:

(قال: وقد كان أبو سلمة لما قتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر الصادق وإلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه. فأما الصادق عليه السلام فلقية الرسول ليلاً فأعلمه أنه رسول أبي سلمة ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيري، فقال له: إني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت، فوضع

كتاب أبي سلمة على السراج حتى احترق وقال: عرف صاحبك بما رأيت وتمثل بقول الكميّ:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

فخرج الرسول من عنده و أتى عبد الله بن الحسن، فقرأ الكتاب وابتهج وجاء في غد ذلك اليوم إلى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال: يا أبا محمد أمر ما أتى بك؟ قال: نعم، هو أجل من أن يوصف هذا كتاب أبي سلمة يدعوني وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم؟ وهل تعرف أحداً منهم؟ فنازعه عبد الله الكلام إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً؛ لأنه مهدي هذه الأمة، فقال أبو عبد الله: والله ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر نفسه ليقتلن، فقال عبد الله: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد، فقال أبو عبد الله: والله ما هذا إلا نصح مني لك ولقد كتب إلي أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك فأحرقت كتابه قبل أن أقرأه، فانصرف عبد الله مغضباً ولم يصل رسول أبي سلمة إليه حتى بويع السفاح بالخلافة^(١).

وفي نص آخر أن أبا سلمة بعث الكتاب إلى ثلاثة من آل أبي طالب، بإضافة عمر بن علي بن الحسين "عمر الأشراف":

(ولما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبي سلمة الخلال الكوفة ستر أمرهم وعزم أن يجعلها شوري بن ولد علي والعباس حتى يختاروا هم من أرادوا ثم قال: أخاف أن لا يتفقوا. فعزم على أن يعزل بالأمر إلى ولد علي من الحسن والحسين، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم جعفر بن محمد علي بن الحسين عليه السلام وعمر بن علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسن، ووجه بالكتب مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد عليه السلام فلقية ليلاً وأعلمه أنه رسول أبي سلمة وأن معه كتاباً إليه منه، فقال: وما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيري؟ فقال الرسول: تقرأ الكتاب وتجيب عليه بما رأيت. فقال

١- أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

جعفر عليه السلام لخادمه: قدم مني السراج، فقدمه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه، فقال: ألا تجيبه؟ فقال: قد رأيت الجواب.

فخرج من عنده وأتى عبد الله بن الحسن بن الحسن فقيل كتابه وركب إلى جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: أي أمر جاء بك يا أبا محمد لو أعلمتني لجئتك؟ فقال: أمر يجلب عن الوصف، قال: وما هو يا أبا محمد؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني لأمر يجلب عن الوصف، قال: وما هو يا أبا محمد؟ قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني لأمر ويراني أحق الناس به، وقد جاءت شيعتنا من خراسان. فقال له جعفر الصادق عليه السلام: ومتى صاروا شيعتك؟ أنت وجهت أبا سلمة إلى خراسان وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك؟ فقال عبد الله: إن كان هذا الكلام منك لشيء. فقال جعفر عليه السلام: قد علم الله أني أوجب على نفسي النصيح لكل مسلم فكيف أدخره عنك؟ فلا تمنين نفسك الأباطيل، فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم ولا تتم لأحد من آل أبي طالب، وقد جاءني مثل ما جاءك. فانصرف غير راض بما قاله. وأما عمر بن علي بن الحسين فرد الكتاب وقال ما أعرف كاتبه فأجيبه^(١).

وروي في نص ثالث: أنّ أبا سلمة طلب من الرسول أن يُبطل الكتاين الآخرين إن قبل الإمام الصادق عليه السلام العرض:

(فلما سبر "أبو سلمة" أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم إلى بني علي، فكاتب ثلاثة من أعيانهم: جعفر بن محمد الصادق، وعبد الله المحض بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وعمر الأشرف بن زين العابدين، وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم، وقال له: أقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب فأبطل الكتاين الآخرين، وإن لم يجب فألق عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمرو إن لم يجب فألق عمر)^(٢).

١- عمدة الطالب، ابن عنبه: ١٠١ - ١٠٢.

٢- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن طقطقا: ١٥٤.

وهذا يعني أنّ أبا سلمة الخلال بدأ فعلاً بتصحيح اعتقاده.

وأيضاً: ذكر البعض - نقلاً عن المسعودي - أنّ الإمام الصادق: (جاءه أبو مسلم الخراساني وناجاه سرّاً بالدعوة له، وأعلمه أنّ خلقاً كثيراً أجابوه، فقال له الصادق عليه السلام: إنّ ما تؤمي إليه غير كائن لنا حتّى يتلاعب بها الصبيان من وُلد العباس، فمضى إلى عبد الله بن الحسن فدعاه، فجمع عبد الله أهل بيته وهَمَّ بالأمر، ودعا أبا عبد الله عليه السلام للمشاورة، فلما حضر جلس بين السقّاح والمنصور، وحين استشير ضرب على منكب السقّاح، فقال: لا والله أو يملكها هذا أولاً، ثمّ ضرب بيده الأخرى على منكب المنصور وقال: وتتلاعب بها الصبيان من وُلد هذا، ووثب وخرج من المجلس)^(١).

ومهما يكن الأمر، فقد نهى الإمام شيعته ومن يستمعوا قوله عن مشاركة العباسيين لما كانوا يسألونه عن حركتهم، وهذه بعض الروايات التي تؤكد ذلك:

(عن المعلى بن خنيس قال: ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم وسديروكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عليه السلام حين ظهرت المسودة قبل أن يظهر ولد العباس بأنا قد قدرنا أن يؤول هذا الأمر إليك فما ترى؟ قال: فضرب بالكتب الأرض ثم قال: أف ما أنا لهؤلاء بإمام! أما يعلمون أنه إنما يقتل السفياي)^(٢).

- "المسودة": أي حركة العباسيين الذين رفعوا السواد شعاراً لهم.
- "أما يعلمون أنه إنما يقتل السفياي": أي إنّ علامة الرايات السود الحقة التي يقودها المهدي والقائم من آل محمد عليهم السلام هي وجود السفياي متزامناً مع حركته حيث يقوم القائم عليه السلام بقتله، ومثل هذا الأمر غير موجود عند خروج رايات العباسيين السوداء.

١- الإمام الصادق، محمد حسن المظفر: ١ / ٢٦٠ - ٢٦١.

٢- الكافي، الكليني: ٨ / ٣٣١.

(عن أبي بكر الحضرمي، قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلح) (١).

٤ - قادة الثورة العباسية:

يمكننا القول - كما ذكرت سابقاً - بأنّ العباسيين لم يكن لهم اليد الطولى في إتمام مشروع ملكهم الدنيوي، وأقصى ما كان عندهم هو علمهم بما أخبر به الرسول وآله الطاهرون صلوات الله عليهم من أنهم سيملكون. مع تحرك بسيط قام به محمد بن علي العباسي في سنة ٩٧ هـ لما بعث تاجرين (أبو عكرمة وحيان العطار) إلى خراسان للدعوة إليه سرّاً، ثم عادا إليه بعد سنين فأخبراه بأنهما غرسا غرساً يتأملاً أن يثمر في وقته، وكان حينها قد ولد له ابنه عبد الله "السفاح" فأخرجه لهما وقال: "هذا صاحبكم" (٢)! بل حتى من أطلق عليهم اسم "النقباء" الذين بعثهم محمد بن علي العباسي لاحقاً للدعوة إليه بخراسان (ومنهم سليمان بن كثير الذي تقدم ذكره) لم يكونوا باختياره، وإنما اختارهم له عكرمة السراج (أبو محمد الصادق) (٣).

لكن كعمل مستمر ودؤوب وتحرك فعلي وتخطيط ونحو ذلك، فهو أمر لم يقم به أحد من العباسيين، وإنما قام به بكير بن ماهان، وهو رجل فارسي الأصل من "مرو"، كان يقيم بالكوفة ويشارك في فتوحات ولاية وأمراء بني أمية في فارس واختاره والي خراسان الجنيد بن عبد الرحمن للعمل معه ككاتب واستطاع أن يجمع ثروة جيدة، وبعد عزل الجنيد عاد بكير إلى الكوفة بثروته: (فلما عزل الجنيد قدم بكير الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب، وعاد بها إلى الكوفة ... فذكروا له أمر دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه، وأنفق ما معه عليهم) (٤).

١- الغيبة، النعماني: ٢٠٣.

٢- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٣٣٢.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٥/ ٣١٦: تجارب الأمم، الرازي: ٤٦٨/ ٢.

٤- تاريخ الطبري: ٥/ ٣٧٦: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١٢٥/ ٥.

ثم إنَّ والي الكوفة قام بسجن الجنيد وعماله، فدخل بكير السجن، وصادف في السجن بني معقل بسبب تهمة فساد تخص مال الخراج، ومعهم غلام يخدمهم يلقبونه "أبو مسلم"، فاشتراه بكير منهم بأربع مائة درهم سنة ١٢٤ هـ^(١).

ولما أنفق بكير أمواله على تقوية دعوة العباسيين واتباعهم استولى شيئاً فشيئاً على قلوبهم ونال ثقة محمد بن علي العباسي به فقام بتفويضه في إدارة أمور الدعوة في الكوفة، بل صار هو الرابط بين محمد واتباعه، وكان يذهب إليه بصفته تاجر عطور ويوصله بالأموال والعطايا، ويكثر من الخلوة به، حتى إنَّ أخاه "عبد الله بن علي" كان يقول: "قد غلبنا هذا العطار على أبي عبد الله!"

وعموماً، هذا نص يوضح بدء العمل الجدي لدعوة بني العباس علي يد بكير بن ماهان بعد أخذه تفويضاً من محمد بن علي:

(فلما تهيأ لبكير انصرافه إلى العراق قال لمحمد بن علي: إني قد جَوَلت الأفاق ودخلت خراسان وشهدت فتح جرجان مع يزيد بن المهلب، فما رأيت يوماً أرق قلباً عند ذكر آل الرسول من أهل المشرق، فقال محمد: يا أبا هاشم دعوتنا مشرقية وأنصارنا أهل المشرق وراياتنا سود، وقد أذنت لك في بث الدعوة بخراسان، واكتم ذلك فلا تظهر شيئاً حتى ترد جرجان، ولا تلق أمرك إلا إلى الثقات من أهلها، فأنت بكر هذا الأمر وبك افتتاحه ولتكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أمية وأن آل محمد أولي بالأمر منهم وأبلغ أصحابك ما ألقى إليك، ومرهم بالكف إلا في مثل ما ألقى حتى يأتيهم رأيي، وحذر شيعتنا التحرك في شئ مما تتحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول وقائهم مخذول، وليس لهم في الأمر نصيب، وسندرك بثأرهم وسنتلى بسعيمهم، ثم لا يكون ضرر ذلك إلا عليهم! واحذروا جماعة أهل الكوفة ولا تقبلن منهم أحداً إلا ذوي البصائر، فإنهم لا يُعزَّبهم من

١- انظر: أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري: ٢٥٤.

نصروه، ولا يوهنون بخذلانهم من خذلوه! يا أبا هاشم أنتم خاصتي وعيبي وثقاتي وأمنائي، ومنكم القائم بأمرنا) (١).

قوله: "فأنت بكر هذا الأمويك افتتاحه" يؤكد ما ذكرناه من أن عمل العباسيين قبل ابن ماهان لم يكن ذا قيمة معتداً بها. علماً، أن التحرك الفعلي مرَّ بطورين، الأول: التحرك السلمي، وكان بعد ثورة زيد الشهيد (٢)، واضطراب الحكم الأموي بعد هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ، والثاني: التحرك المسلح بقيادة أبي مسلم الخراساني (غلام بكير)، وهذا كان في أواخر عام ١٢٩ هـ كما عرفنا.

لم تدم حياة بكير بن ماهان طويلاً؛ إذ مات سنة ١٢٦ هـ عند مقتل الوليد بن يزيد الأموي، وأوصى بالأمر بعده لأبي سلمة الخلال "صهره" (٣): (وكتب إبراهيم "الإمام" إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدّقوه وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم) (٤).

وهذا نص لأحد المؤرخين يوضح فيه سيرة أبي سلمة:

(رجل شهيم، سائس، شجاع، متمول ذو مفاكهة وأدب وخبرة بالأمر، وكان صيرفياً أنفق أموالاً كثيرة في إقامة الدولة وذهب إلى خراسان وكان أبو مسلم تابعاً له في الدعوة، ثم توهم منه ميل إلى آل علي عندما قتل مروان إبراهيم الإمام. فلما قام السفاح ورزّله وفي النفس شيء، ثم كتب أبو مسلم إلى السفاح يُحسّن له قتله فأبى وقال: رجل قد بذل نفسه وماله لنا! فدى عليه أبو مسلم من سافر إليه وقتله غيلة ليلاً بالأنبار، فإنه خرج

١- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري: ١٩٦.

٢- كان بكير ينهى أصحابه عن الاشتراك في ثورة يحيى بن زيد كما أوصاه محمد بن علي العباسي: (لما رجع بكير إلى خراسان قال لهم: إن يحيى بن زيد كامن بين أظهركم وكأنكم به قد خرج على هؤلاء القوم فلا يخرج مع أحد منكم، ولا يسعى في شيء من أمره فإنه مقتول، وقد نعاه الإمام إلى أهل بيته) أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري: ٢٤٢.

٣- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٤/ ١١٨؛ أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري: ٢٤٩ - ٢٥٠.

٤- تاريخ الطبري: ٥/ ٦٢٢.

من السمر من عند الخليفة فشد عليه جماعة فقتلوه، وذلك بعد قيام السفاح بأربعة أشهر سنة اثنتين وثلاثين ومئة في رجبها، وتحدث العوام أن الخوارج قتلوه. وكان سامحه الله يقال له: وزير آل محمد^(١).

مسألة ميل الخلال إلى آل علي عليه السلام أمر ذكره مؤرخون كثير، وهو صحيح؛ باعتبار أنه أصلاً كان يقيم مع الهمدانيين في الكوفة، وهمدان معروف عن كثير من رجالها حبيهم للأمير المؤمنين وأبنائه صلوات الله عليهم وتشيعهم لهم.

وقد نقلنا فيما سبق أنّ سبب كتمانهم أمر العباسيين الوافدين عليه بالكوفة أنه راسل الامام الصادق عليه السلام وعبد الله بن الحسن المثنى وعمر الأشرف ابن الإمام السجاد عليه السلام، وابتدأ بالصادق عليه السلام.

ثم بعد ذلك صحح الخلال اعتقاده، ولذا أقدم "السفاح" على قتله:

يقول السيد أحمد الحسن:

(حركة العباسيين في بدايتها كانت تدعو إلى الرضا من آل محمد، فبالنتيجة كل من قام بهذه الحركة هو محب لآل محمد أو محب لتولّهم، لكن الإشكال كان بتشخيص آل محمد، فهناك من شمل بني العباس، وهناك من اقتصر على بني فاطمة، وهناك من اقتصر على الأئمة عليهم السلام، وهؤلاء هم القلة.

النتيجة آل الأمر لبني العباس.

وخلال الثورة وبعد انتهاء الثورة كثير من الثوار وقادتهم انتهى بهم الأمر للميل للأئمة عليهم السلام، أو التشيع لآل محمد عليهم السلام، والخلال من هؤلاء، مات شيعياً موالياً أو قتل) انتهى^(٢).

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٦ / ٧ - ٨.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وليس بعيد أن يكون حال سليمان بن كثير (أحد قادة الدعوة العباسية في خراسان) كذلك، حيث كان سبب مقتله حديثه مع أحد العلويين (عبيد الله الأعرج ابن الحسين ابن الإمام السجاد عليه السلام)، فواضح أنه جازف بحياته وعرض الأمر على رجل علوي وترك بني العباس؛ لأنه بالحقيقة محب لآل محمد عليهم السلام لكن لديه خطأ واشتباه في تشخيص المصداق فهو يعتبر عنوان "آل محمد" يشمل جميع بني فاطمة عليها السلام، وربما أيضاً صحَّ اعتقاده لاحقاً (كالخلال)، فأقدم أبو مسلم الخراساني على قتله، كما مر بنا سابقاً.

وأما أبو مسلم الخراساني، فقد تقدم بيان اجتهاده في طاعة العباسيين، وكان يسمى "صاحب الدولة": لأنه قائدتها العسكري الأول.

يرى البعض أنه كان كيسانياً أول أمره، ثم عدل عن الكيسانية إلى العباسيين:

(وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول و اقتبس من دعواتهم العلوم التي اختصوا بها وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم فكان يطلب المستقر فيه فبعث إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاته بني أمية إلى موالاته أهل البيت فإن رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب إليه الصادق رضي الله عنه: ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني، فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح وقتلده أمر الخلافة) (١).

(وأرسل أبو مسلم المروزي صاحب الدولة إلى جعفر الصادق رضي الله عنه وقال: إني دعوت الناس إلى موالاته أهل البيت فان رغبت فيه فأنا أبايعك. فأجابه: ما أنت من رجالي، ولا الزمان زماني. ثم جاء أبو مسلم الكوفة، وبايع السفاح وقتلده الخلافة) (٢).

١- الملل والنحل، الشهرستاني: ١/ ١٥٤.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٣/ ١٦١.

في هذين النصين لاحظنا قول الإمام الصادق عليه السلام لأبي مسلم: "ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني"، وروي: أنه ترك كتابه إليه بلا جواب، وربما هو كتاب آخر:

(عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأثاه كتاب أبي مسلم فقال ليس لكتابك جواب أخرج عنا فجعلنا يسار بعضنا بعضاً، فقال: أي شيء تسارون يا فضل إن الله عزوجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقص أجله ثم قال: إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان، قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفيناني فإذا خرج السفيناني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم)^(١).

والخلاصة:

إنّ بني العباس ليس لهم رصيد حقيقي يستحقون به الملك؛ لا أخروياً ولا دنيوياً.

أما أخروياً: فواضح أنّ الدين المرضي لله سبحانه هو الاعتقاد بحاكمية الله التي تفترض أنّ الرجل الذي يُبايع له لا بد أن يكون منصّباً من الله ومنصوصاً عليه من قبل رسوله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن هوى، وحاشاه. وخلافة بني العباس ليست كذلك بالتأكيد.

وأما دنيوياً: فلأنّ العباسيين أصلاً لم يبذلوا جهداً يستحقون به اعتلاء منصب قيادة المسلمين وحكمهم والتصرف بأمورهم وشؤونهم، وإنما من قام بالجهد هم رجال دفعهم حيمهم لآل محمد واستشعار مظلوميتهم والسعي لرفع الظلم والحيث عنهم بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه، فأرادوا إرجاع الحق لهم وطلب الرضا منهم، لكن كان لديهم اشتباه بمصداق "الأل"، فاستغل بنو العباس هذه الخاصرة الرخوة ونفذوا منها نفوذ الخاتل المتسلق المفلس!

ولا أريد الآن فتح ملف أسباب اشتباه المحبين لآل محمد بتحديد مصداق "الآل"، وربما يتمكن الفطن من تحديد بعض الأسباب من خلال اطلاعه على ما مضى من بحوث، لكنها بالتأكيد ستوضح أكثر في قادم بحوث "يوم الحسين" إن شاء الله.

وإجمالاً هنا، أقول:

سيتضح أنّ واحدة من الأسباب - علاوة على الجهل وسياسة الظالمين حكماً ووعاظ سلاطين - هي أنّ "الإمامة" بشكل عام مُدّت لها رؤوس الكثيرين وشرّبت لها أعناقهم، بما فيهم هاشميين وطالبيين فضلاً عن غيرهم، وبالتالي تمت مزاحمة صاحب الحق الإلهي المنحصر بـ "الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه وعلينهم" لا غير. وبالتأكيد، فإنّ هذا الأمر تسبب بإرباك وفوضى في كثرة الادعاءات على طول خط زمان الأئمة عليهم السلام؛ خصوصاً مع الالتفات إلى:

- أنّ المزاحم لصاحب الحق ينتسب للرسول وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم في بعض الأحيان، ولما كان المجتمع قبلياً في تركيبته وطبعه فهذا يعني أنّ مسألة النسب عنده تعد أولوية. وربما يقدمها الكثيرون على النص والعلم؛ الصفة التي يختص بها الإمام الحق دون سواه، وبها يُعرف حقه وفضله على سواه!

- أنّ الأئمة عليهم السلام مكلفون بإنفاذ مراد الله ولا يحسبون لغير الله أي حساب، وكان الجامع في رسالتهم الإلهية بعد أبيهم الحسين - المسفوك دمه الشريف ظلماً - هو الإبقاء على أنفسهم حفظاً لدين الله من الضياع وإقامة للحجة على الخلق وهداية من شاء الهدى من الأمة، وعدم إذن الله لواحد منهم باستعمال القوة العسكرية بعد "يوم الحسين" إطلاقاً، وهذا الأمر - بطبيعة الحال - لا يتفهمه كثير ممن كانوا يرغبون بالخلاص الآني والفوري من الظلم، لكن الله لا يعجل لعجلة العباد، "هلك المستعجلون" كما كان الأئمة يقولون، فالناس عموماً لا يحيطون علماً وإدراكاً بغايات الله التي سعى أولياؤه لبيانها وشرحها لكثيرين لكن لم يتقبلها منهم - بالنهاية - إلا خاصة شيعتهم!

علماء، أنّ واحدة من غايات التأخير، أنّ الخطة المعدة إلهياً لـ "يوم الحسين" هي أن يكون يوماً ممتداً ومتصلاً بيوم ولده القائم في آخر الزمان، وما بين اليومين (يوم الحسين،

يوم القائم) حمل الأئمة عليهم السلام تكليف الله ورسالته وقاموا بالتمهيد لربط اليومين بأتم ما يكون فتتم "كلمة الله" صدقاً وعدلاً، وعلى يدي القائم من ولد الحسين عليه السلام يتحقق هدف ثورة الحسين الشهيد صلوات الله عليه كما أراد الله!

لكنها دنيا الامتحان، ومراد الله وغاياته ليست سهلة المنال بطبيعة الحال، وأكد أنّ إبليس والهوى والحسد والرغبات الجامحة الباطلة لا تترك الأمور على نصايها الصحيح المرسوم إلهياً في دنيا الامتحان والاختبار والفتن!

وفي خضم صراع الإرادات هذا، كان توسعة مفهوم "آل محمد" ليشمل بقية العلويين أو حتى عموم بني هاشم، أحد الحلول التي تلي طموح الكثيرين والمستعجلين، ولهذا وجد بنو العباس في أول الزمان - وكذا آخره - من يسير خلفهم بحجة أنهم من أهل بيت الرسول أو منتسبون لهم!

وأصبح موقف الناس - حتى يومهم هذا - تجاه الأئمة من ولد الحسين:

بين مهتدي للحق ومؤمن بإمامتهم، وبين معرض عنهم، صلوات الله عليهم.

والمهتدي لهم:

- بين مستعجل لأمر الله، وكم كُرّر هذا السؤال على أكثر من إمام حق: "أنت صاحب هذا الأمر؟" بل حتى غير الإمام الحق سئل مثل السؤال، لكن الله لا يعجل لعجلة العباد!
- وبين طامح جامع تمنّيه نفسه ما لا يستحق، فيورط نفسه وغيره ربما، ويبقى يروط به الهوى والأنا فترة، ثم يتدارك حاله أحياناً برحمة الله، ويفوته التدارك أحياناً أخرى، والعياذ بالله!
- وبين مؤمن يبتغي النجاة لا غير، يتجاذبه التقصير وعدم المبالاة، يخلط عملاً صالحاً بغيره، لكن - على كل حال - لا يخرج منه صلاح بعض أعماله عن دائرة الإيمان، وهؤلاء هم الأغلب عادة، ونسب التقصير عندهم متفاوتة.

- وبين مسلّم يعمل بصمت، ناصر لإمامه، لاحق به، حاضر حيثما أراد له أن يكون،
وأيضاً بنسب لحوق متفاوتة، وبالتأكيد أنّ هؤلاء (المسلّمون بجميع درجاتهم)
هم أندر من الكبريت الأحمر!

ويبقى "الحسين" في يومه الإلهي الموعود شاهد على الجميع، فليس حال ما بعد "يوم
الحسين" كما قبله في خط رسالات الله؛ سواء على مستوى رسالة الأئمة من ولده صلوات
الله عليهم، أو على مستوى تكليف المؤمنين بإمامتهم وولايتهم أو حتى عموم محبيهم.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المصادر

القرآن الكريم.

- ١- الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي، مكتبة الشريف الرضي - قم.
- ٢- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- ٣- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٧١ م.
- ٤- الأخبار الطوال، أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٥- الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
- ٦- اختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترآبادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث- قم، ١٤٠٤ هـ.
- ٧- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا "ابن الطقطقا"، دار صادر - بيروت.
- ٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
- ٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
- ١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥. أصدق الأخبار، محسن الأمين

- ١٢- الاعتقادات في دين الامامية، الصدوق، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
- ١٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
- ١٤- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- ١٥- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي.
- ١٦- الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٧.
- ١٧- الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ١٨- الإمام الصادق، محمد حسن المظفر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨ م.
- ١٩- الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- ٢٠- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٢١- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
- ٢٢- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
- ٢٣- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
- ٢٤- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٥- تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
- ٢٦- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٣ م.
- ٢٧- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.

- ٢٨- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٢٩- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري، تحقيق: فهد محمد شلتوت، دار الفكر - قم، ١٤١٠ هـ.
- ٣٠- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت - قم.
- ٣١- تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي، تحقيق: د. أبو القاسم امامي، دار سروش للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م.
- ٣٢- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.
- ٣٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٤- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ٣٥- التنبيه والإشراف، المسعودي، دار صعب - بيروت.
- ٣٦- تهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٣٧- الثقات، محمد بن حبان، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣.
- ٣٨- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، منشورات الرضي - قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
- ٣٩- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، ١٤١٥ هـ.
- ٤٠- حلية الأبرار، هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٤١- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.
- ٤٢- الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.

- ٤٣- خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٤٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر بيروت - لبنان.
- ٤٥- دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٤٦- دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصمباني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
- ٤٧- ذوب النضار، جعفر بن محمد بن جعفر بن نما الحلي، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٤٨- الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: د. هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- ٤٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٠- سر السلسلة العلوية، أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري، تعليق: محمد صادق بحر العلوم، انتشارات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.
- ٥١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- ٥٢- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.
- ٥٣- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٥٤- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٥٥- شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، دار المعارف النعمانية - باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.
- ٥٦- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.

- ٥٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.
- ٥٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دارالفكر- بيروت.
- ٥٩- الصحيفة السجادية، أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، دفتر نشر الهادي - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٦٠- الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، دارالكتب العلمية - بيروت.
- ٦١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دارصادر، بيروت.
- ٦٢- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، علي أصغر بن محمد البروجردي، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٦٣- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
- ٦٤- علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- ٦٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني "ابن عنبة"، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦١ م.
- ٦٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٦٧- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، المعروف بـ "عوالم - الامام الحسين"، الشيخ المحدث عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الغمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- ٦٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين "الصدوق"، تعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٩٨٤ م.
- ٦٩- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق وتقديم: د. يوسف علي طويل، منشورات دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ م.
- ٧٠- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، طبع على طريقة اوفست في مطابع بهمن.
- ٧١- الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٧٢- الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق: فارس حسون كريم، منشورات انوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

- ٧٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الثانية.
- ٧٤- الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
- ٧٥- فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليه السلام، عبد الكريم ابن طاووس الحسيني، تحقيق: تحسين آل سيبب الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ٧٦- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، مطبعة العدل - النجف.
- ٧٧- قاموس الرجال، محمد تقي التستري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٧٨- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ٧٩- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دارصادر- بيروت، ١٩٦٥ م.
- ٨٠- كتاب الأربعين، محمد طاهر القمي الشيرازي، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة الأمير - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٨١- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، مطبعة نكارش - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٨٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٦ م.
- ٨٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، دارالكتاب الإسلامي - بيروت.
- ٨٤- كفاية الأثر، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠١ هـ.
- ٨٥- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر- طهران.
- ٨٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دارالكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م.
- ٨٧- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

- ٨٨- مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
- ٨٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- ٩٠- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: شفق - طهران، الناشر: ابن المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٩١- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٩٢- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - بيروت.
- ٩٣- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر - بيروت.
- ٩٤- مسند أحمد بن حنبل بتحقيق العلامة شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- ٩٥- مسند زيد بن علي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- ٩٦- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد القادر بن عبد الكريم بن عبد العزيز
- ٩٧- معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٠ م.
- ٩٨- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩.
- ٩٩- معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، طبعة منقحة ومزودة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢.
- ١٠٠- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- ١٠١- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥ م.
- ١٠٢- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

- ١٠٣- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.
- ١٠٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
- ١٠٥- من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤ هـ.
- ١٠٦- المنح المكبية في شرح الهمزية، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق: أحمد جسام المحمد، دار المنهاج - بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥ م.
- ١٠٧- موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، نشر الهادي - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ١٠٨- نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار، محمد بن معتمد خان البدخشاني، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، مطابع نقش جهان - طهران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ١٠٩- نهاية الإرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ١١٠- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى، ١٩٦٧ م.
- ١١١- الوافي، محمد محسن "الفيض الكاشاني"، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة - أصفهان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ١١٢- الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت.
- ١١٣- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
- ١١٤- ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

الفهرست التفصيلي

- في البدء كلمة: ٥
- (١) الأمويون بعد مقتل الإمام الحسين^(٤) ٩
- واقعة الحرة: ٩
- ملاحظات تتعلق بواقعة الحرة: ١٥
- موقف بقية الحسين في أحداث الحرة: ٢٣
- حصار مكة وهدم الكعبة: ٢٦
- هالك يزيد وفوضى الحكم بعده: ٣٠
- هالك يزيد وما قيل فيه: ٣٠
- معاوية بن يزيد يعترف بالحق: ٣٥
- سيطرة المروانيين على الحكم: ٣٨
- فوضى وقاتل من أجل الدنيا والحكم! ٤٠
- الشجرة الملعونة ونزو القردة! ٤٣
- (٢) ثورة التّوآيين ٤٩
- الاستعداد للثورة والخروج للحرب: ٤٩
- دوافع الثورة: ٤٩
- نظرة عامة على الكوفة: ٥٣
- اختلاف وجهات النظر في صفوف المحيين: ٥٤
- الخروج للحرب وتخلّف أكثر المحيين: ٥٧
- لماذا الشام؟ ٥٩
- والي الكوفة يحاول تجيير الثورة لصالح آل الزبير: ٦٢

- ٦٤..... زيارة قبر الحسين (ع) والانطلاق نحو الشام:.....
- ٦٦..... معركة عين الوردة:.....
- ٦٦..... تعبئة سليمان لصحبه ووصاياها:.....
- ٦٧..... التقاء الطرفين بعين الوردة ومقتل قادة الثورة:.....
- ٧٠..... ثورة التوابين؛ نتائج ودروس:.....
- ٧٠..... نتائج الثورة:.....
- ٧٣..... من دروس الثورة:.....
- ٧٥..... (٣) ثورة المختار الثقفي.....
- ٧٦..... المختار قبل الثورة:.....
- ٧٦..... اعتقال المختار الأول:.....
- ٧٧..... الطلب بدم الحسين (ع) همُّ المختار الأول:.....
- ٨١..... التحاق المختار بابن الزبير:.....
- ٨٥..... الإعداد للثورة:.....
- ٨٧..... اعتقال المختار الثاني:.....
- ٨٩..... المختار ثائراً للطلب بدم الحسين (ع):.....
- ٨٩..... المختار يبدأ بالتحرك وهو في السجن:.....
- ٩٠..... عبد الله بن مطيع والي الكوفة الجديد:.....
- ٩٢..... تردد بعض المبايعين في شرعية ثورة المختار:.....
- ٩٤..... التحاق إبراهيم بن مالك الأشتر بالمختار:.....
- ٩٦..... ابن مطيع يتخذ التدابير و ابن الأشتر يتعجل الثورة:.....
- ٩٨..... ثورة المختار في الكوفة:.....
- ١٠٢..... المختار أميراً في الكوفة:.....
- ١٠٢.....بيعة أهل الكوفة للمختار:.....

- ١٠٤..... قدوم ابن زياد إلى الموصل:
- ١٠٦..... انقلاب فاشل يقوده قتلة الحسين:
- ١٠٨..... المختار ينتقم من قتلة الحسين:
- ١٢١..... ابن الزبير يغدر بالمختار وابن الحنفية:
- ١٢٤..... معركة الخازر ومقتل ابن زياد لعنه الله:
- ١٢٨..... معركة المذار:
- ١٢٩..... مقتل المختار:
- ١٣٣..... تنبيهات مهمة:
- ١٣٣..... تنبيه ١: تصويب فعل المختار كثائر:
- ١٣٤..... تنبيه ٢: هل خالف المختار أمانه لابن سعد لعنه الله:
- ١٣٦..... تنبيه ٣: مصير إبراهيم بن الأشر:
- ١٣٧..... تنبيه ٤: هل طالب آل الزبير بدم الحسين (ع)؟
- ١٤١..... تنبيه ٥: دروس من ثورة المختار:
- ١٤٣..... اعتقاد المختار وشرعية ثورته:
- ١٤٣..... القول الفصل في المختار:
- ١٥٣..... هل كان المختار كيسانياً وختم حياته على ذلك؟
- ١٦٣..... شرعية ثورات الثار:
- ١٧٧..... هل خفيت إمامة علي بن الحسين (ع) عن خواص الشيعة؟
- ١٨٤..... تميم:
- ١٨٧..... ما بعد ثورة المختار:
- ١٨٧..... عزل مصعب عن العراق ثم إعادته:
- ١٨٨..... مقتل مصعب بن الزبير:
- ١٨٨..... مقتل عبد الله بن الزبير وقصف الكعبة بالمنجنيق:

- ١٩٠..... ولاية الحجاج بن يوسف لعنه الله:
- ١٩٨..... عمر بن عبد العزيز يوقف سب علي (ع) ويعيد فدكاً لأهلها!
- ٢٠٢..... بدء بني العباس بدعوتهم:
- ٢٠٥..... (٤) ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع)
- ٢٠٥..... سيرة زيد وفضله:
- ٢٠٥..... ولادة زيد وسيرته مع أبيه (ع):
- ٢٠٨..... زيد والإمامين الباقرين (ع):
- ٢١٠..... سيرة زيد بين المسلمين:
- ٢١٢..... زيد الثائر الشهيد:
- ٢١٢..... الإخبار بما يجري على زيد:
- ٢١٤..... دو أفع ثورة زيد وشرعيتها:
- ٢٢٥..... ثورة زيد في الكوفة وشهادته:
- ٢٢٩..... اعتقاد زيد بالإمام الصادق (ع):
- ٢٣٤..... اتهيأ حاكم بني أمية بعد شهادة زيد:
- ٢٣٥..... مقتل يحيى بن زيد:
- ٢٣٥..... شهادة يحيى:
- ٢٣٧..... اعتقاد يحيى بن زيد:
- ٢٤٨..... حوادث متفرقة بعد ثورة زيد:
- ٢٤٨..... ولاية الوليد بن يزيد "الناقص" ومقتله:
- ٢٥٠..... اضطرابات تعصف بالأمويين في أواخر حكمهم:
- ٢٥٢..... خروج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة:
- ٢٥٥..... ثورة العباسيين وبداية حكمهم:

- رجال الثورة واختيار خراسان: ٢٥٥
- انطلاق أبي مسلم بالثورة في خراسان: ٢٥٧
- بيعة أبي العباس السفاح: ٢٦١
- سقوط دمشق ومقتل آخر حكام بني أمية: ٢٦٦
- فتك العباسيين بالأمويين: ٢٦٧
- السفاح يقتل أهم رجاله: ٢٦٨
- موت السفاح وخلافة المنصور: ٢٦٩
- المنصور يفتك بأبي مسلم وأعمامه العباسيين: ٢٧١
- تنبيهات هامة: ٢٧٣
- ١- استغلال العباسيين ثورة زيد الشهيد لصالحهم: ٢٧٣
- ٢- العباسيون يعرفون بأنّ مأل الحكم لهم: ٢٧٥
- ٣- عدم اشتراك الإمام الصادق عليه السلام مع العباسيين: ٢٧٨
- ٤- قادة الثورة العباسية: ٢٨٢
- المصادر ٢٩١
- الفهرست التفصيلي ٢٩٩